

DATE DUE

Princeton University Library



32101 073547190



من منشورات جامعة اصفهان

انتشارات دانشگاه اصفهان

۱۳۶

صوت أبي الريحان آوازي ابوريحان

باللغتين العربية والفارسية

الدكتور غلامعلي كريمي
رئيس قسم اللغة العربية
وآدابها

بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على مولد

الاستاذ أبي الريحان البيروني. أكتوبر، ۱۹۷۳

بمناصبته من سلاسل تولد استاد ابوريحان في شهر مهر، ۱۳۵۲

Karīmī, Ghulām 'alī



من منشورات جامعة اصفهان

انتشارات دانشگاه اصفهان

۱۳۶

صوت أبي الريحان آوازي ابوريحان

باللغتين العربية والفارسية

الدكتور غلامعلي كريمي
رئيس قسم اللغة العربية
وآدابها

بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على مولد
الاستاذ أبي الريحان البيروني . أكتوبر : ١٩٧٣

بمناسبة عيد ميلاد تولد استاد ابوريحان البيروني - مهرماه : ١٣٥٢

2268
.752

مقدمة بقلم رئيس الجامعة

إن معرفة عظماء العلم و الثقافة و التعريف بهم و الكشف عن الجهود التي بذلوها لمعرفة أسرار العلوم والفنون ونشر التجارب والأفكار التي حصلوا عليها و بيان تأثيرهم في بناء ثقافة و حضارة عصرهم يعدّ بلا شك من أهم العوامل التي تقوّي و تحفظ الصلة بين الجيل الجديد و بين الثقافة و السنن القديمة ؛ لأنّ معرفة الشباب الشاملة بكبار علماء و أدباء أمتهم - و خاصة أنّ لبعض هؤلاء الأجلّاء تأثيراً كبيراً، في العلم و الثقافة على الصعيد العالمي - من دون شك تجعلهم يشعرون بصلة متينة بينهم و بين تراثهم القومي العريق و تهزّ شعورهم الوطني و تقوّي إرادتهم وإيمانهم للذود عن ذكريات الماضيين كما أنها ستكون دافعاً تلقائياً و دليلاً طبيعياً لازدياد رغبة هذه الطبقة النشيطة في اكتساب العلم على أمل أن يأتي اليوم الذي سيستطيعون فيه أن يحتلّوا منزلة أجدادهم المرموقة . و بناءً على ما ذكرنا، فقد أصدر جلالة شاهنشاه ايران المشجع للعلم أوامره المؤكدة بعقد المؤتمرات والاجتماعات الوطنية والعالمية بغية احياء ذكرى تلك الأسماء الخالدة لمشاهير العلم والأدب و الثقافة من ابناء هذه البلاد ولكي تتاح الفرصة للعلماء والمحققين الايرانيين والأجانب ليجتمعوا و يتبادلوا نتائج دراساتهم و تحقيقاتهم حول حياة هؤلاء العلماء و مميزات آرائهم وآثارهم ولُيَسِّينُوا مكانتهم العلمية العالية للعالم أكثر فأكثر.

إنّ الكلمات الحكيمة التي وجهها جلالته إلى المؤتمرين إبان مراسيم افتتاح المؤتمرات و الاجتماعات - بغض النظر عن اثباتها لأهمية الموضوع - لهى دروس بالغة الأهمية لكل الايرانيين لكى يبذلوا قصارى جهودهم الصادقة متحدّين قلباً و لساناً للاحتفاء بمفاخرهم الوطنية و ليلفتوا أنظار أبناء ايران اليوم إلى مفاخرهم التليدة :

كما أن الاحتفالات بالذكريات الالفية و السنوية المتعددة بمناسبات مختلفة و تأسيس و ترميم و إعادة بناء المرافق و تأليف و ترجمة و طبع و نشر مئات الكتب و الرسائل التحقيقية حول عظماء العلوم و الفنون الايرانيين الاقدمين لهى شواهد بارزة على العناية الدائبة التى يوليها جلالته الحضارة و الثقافة الايرانية وقادة قافلة هذا التراث العريق .

و مما يبرز هذه العناية انعقاد المؤتمر الدولى بطهران فى شهر شهريرور ١٣٥٢ / سبتمبر ١٩٧٣ الذى اشترك فيه عدد كبير من أساتذة و محقّقى ايران و سائر دول العالم لتجليل أبى الريحان البيرونى ، نابغة العلم ، بمناسبة الذكرى الالفية لمولده .

و لقد اتاحت الفرصة فى هذا المؤتمر لمن عرفوا منزلة أبى الريحان العلمية و الفلسفية الشامخة لكى يعلنوا نتيجة دراساتهم و تحقيقاتهم المثمرة لدنيا العلم و ليعرفوا نابغة آخر من نوابغ الفكر ، سطع نور علمه منذ عشرة قرون و أنار الطريق أمام المحققين و المفكرين فى العالم .

كان ابو الريحان انساناً نادراً و فذاً ؛ فقد وقف حياته الطويلة نسبياً على التعلم و التفكير و التحقيق و إجراء التجارب و تأليف المصنفات و عن هذا الطريق أدّى خدمات جليلة ليس لها نظير فى سبيل دفع عجلة العلوم و المعارف

و كان هذا الرجل العظيم استاذاً لايجارى فى اكثر علوم زمانه و له نظريات مبتكرة فى مختلف العلوم كالتاريخ و الجغرافيا و الطب و الطبيعيات و الصيدلة و الادب و الحكمة و غيرها حتى صار قدوة لعلماء عصره و قد وفق إلى اكتشاف نتائج مذهلة فى ميادين الرياضيات و الفيزياء و الهيئة و النجوم .

و قد علم الباحثين ، بشجاعته العلمية ، منذ الف عام و قبل « بيكن » و « ديكارت » بقرون عديدة أن لا يخضعوا لآراء الأقدمين ، و أرشدهم إلى الدراسة و التحقيق و جعل الملاحظة العلمية و التجربة و الاستدلال أساساً لعملهم بدلاً من الاعتماد على نظريات الماضيين .

كان ابو الريحان يعشق تربة ايران المقدسة و تتضح وطنيته هذه بجلاء من خلال مؤلفاته و تصانيفه القيمة ؛ فقد ذكر فى كتابه « الآثار الباقية » ، مسقط رأسه خوارزم بأنها « غصن من دوحة فارس » ، و كانت له علاقة خاصة بالآداب و السنن الوطنية الايرانية و بالرغم من انشغاله بالتأليف و التصنيف و التحقيق طيلة أيام السنة فقد كان يضع القلم جانباً فى يومى النوروز و المهرجان تاركاً كل عمل ليحتفل ، كما ينبغى ، بهذين العيدين كباقي الايرانيين .

كان ابو الريحان ايرانياً و انتسابه إلى ايران أمر لا يقبل الشك و لكننا إذا نظرنا بمنظار انسانى شامل نرى أن هذا العالم و العلماء المشابهين له لا يمكن أن ننسبهم إلى أمة واحدة لأنهم قد نشأوا و ترعرعوا فى مراتع العلم و من البديهي أن رقة العلم الواسعة التى لا تخضع لحد ، هى ملك المجتمع الانسانى بأجمعه . إذن فتجليل مثل هؤلاء الرجال فى الحقيقة تجليل لمنزلة العلم و هل لاحترام و تجليل العلم معنى إلا إكرام الانسانية ؟

و بناءً على ماتقدم ، و فى الوقت الذى كانت فيه مقدمات انعقاد مؤتمر

طهران فى أوائل عام ١٣٥٢ قائمة على قدم وساق ، قامت جامعة اصفهان بتنظيم سلسلة من المحاضرات للتعريف بأبى الريحان و إطلاع المحبين بقيمة مصنفات و افكار و عقائد ابن الانسانية البار هذا .

وكان السيد الدكتور غلام على كريمى الاستاذ المساعد فى كلية الآداب و العلوم الانسانية اوّل من القى محاضراته فى هذه السلسلة و استطاع بأسلوب سلس رائع أن يكشف لمستمعيه عن جوانب مختلفة من حياة أبى الريحان .

و قد ذُكر آنذاك أن هناك كتباً و رسالات عديدة حول ابى الريحان نشرها العديد من المحققين و العلماء الايرانيين و الأُجانب إلاّ أنّها فى مستوى تفيد خاصة اهل العلم و ما كان أجمله أن يؤلّف كتاب بأسلوب سهل تقوم جامعه اصفهان بطبعه ليكون موضع استفادة الجميع و من حسن الحظ أخذ السيد الدكتور غلام على كريمى على عاتقه هذه المهمة و بادى إلى تكميل دراساته السابقة و بذل قصارى جهوده فى مدة قصيرة نسبياً لتأليف هذا الكتاب باللغتين العربية و الفارسية و قد وفق فى ذلك أيما توفيق .

لقد قام المؤلف الفاضل فى هذا الكتاب بدراسة النواحي المختلفة لشخصية ابى الريحان الادبية و العلمية و الفلسفية و الانسانية من خلال بحوث موثوق بها و بأسلوب سهل و جذاب يفهمه الجميع ؛ و فى الفصل الأخير من الكتاب (الذى أخذ منه العنوان) استطاع المؤلف ، بمقدرة تصوره الخيالى ، ان يجعل القارىّ يسمع صوت أبى الريحان الذى يتكلّم من وراء القرون و الأعصار موجّهاً نصائحه الثمينة إلى مسامع شباب و طلاب و أساتذة ايران و البلاد الاسلامية الأخرى .

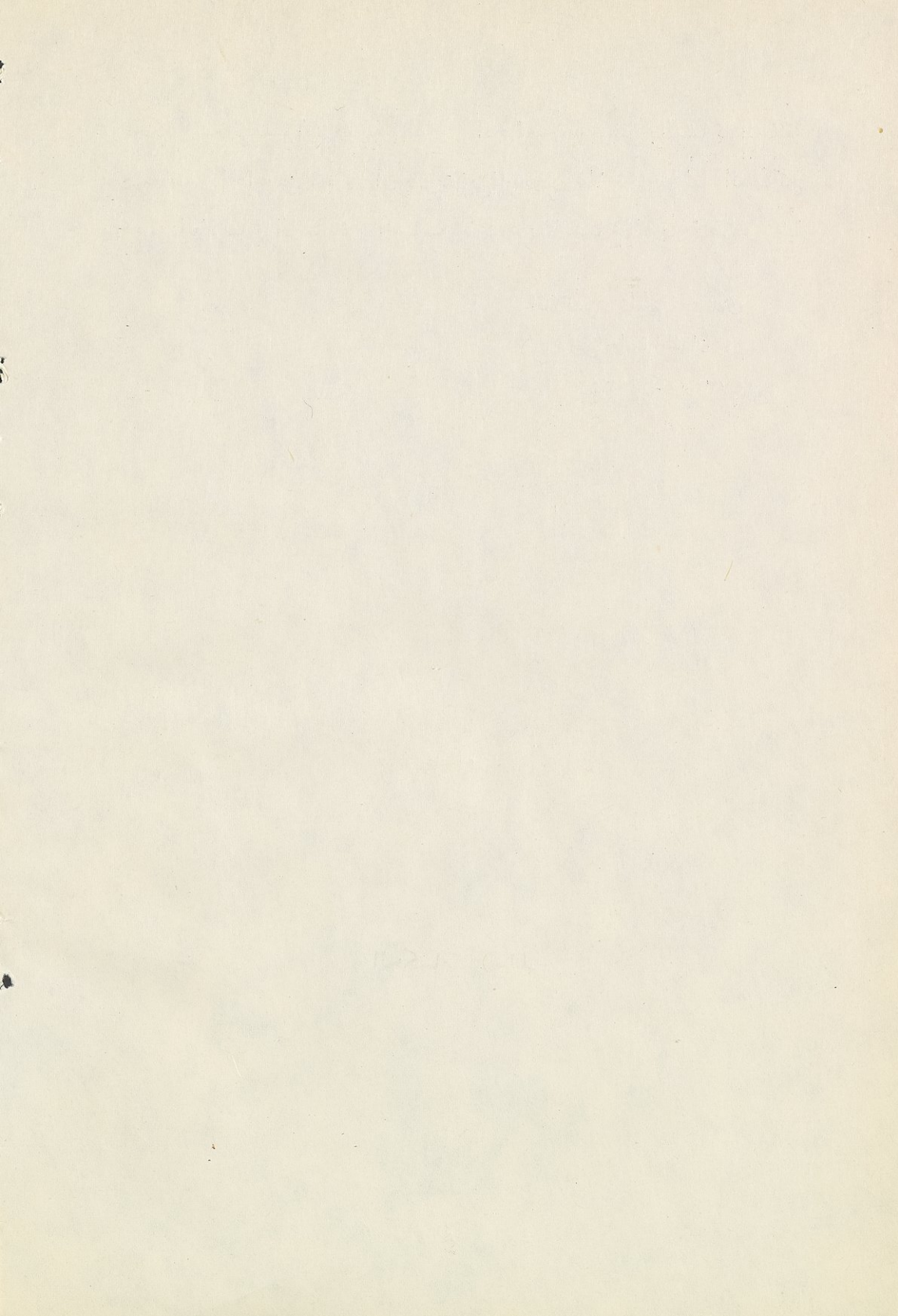
فأتمنى للزميل العزيز ، مؤلف الكتاب ، مزيداً من النجاح و التوفيق

و بحكم اشتغالي سنوات طويلة بالشؤون الجامعية و معرفتي بالمشاكل الحقيقية
للجامعات والجامعيين ، أرى أن صوت ابي الريحان علاج ناجع لهذه المشاكل
وأوصى الطلاب و الاساتذة و الشباب الاعزاء بالاستماع إليه باخلاص و روية

الدكتور قاسم معتمدی

رئيس جامعة اصفهان

مهرماه ۱۳۵۲ / اکتوبر ۱۹۷۳



ابوالريحان البيروني

مولده ونسبته

يُعد ابوالريحان ، محمد بن احمد البيروني الخوارزمي من اكبر العلماء
الايرانيين الذين ظهوروا على مسرح الحياة في اواخر القرن الرابع و أوائل القرن
الخامس الهجري .

رأت عيناه نور الحياة ، على وجه التحقيق في اليوم الثالث من شهر
ذى الحجة عام ثلاثمائة و اثنين و ستين للهجرة المصادف لشهر سبتمبر عام
تسعمائة و ثلاثة و سبعين ميلادي ، في أسرة ايرانية . و هناك أقوال مختلفة
حول مسقط رأسه و نسبته إلى بيرون ، و هل جاءته هذه النسبة لكونه ولد في
بيرون ، و إذا كان الامر كذلك فما هو موقعها الجغرافي ؟

كما أن هناك اختلافاً في ضبط كلمة « بيرون » بين المؤرخين العرب
الذين يتألفون « بيرون » بفتح الباء و بين الايرانيين الذين يتلفظونها بكسر الباء .
فحول موقع بيرون الجغرافي يذكر الشهر زوري في كتابه نزهة الارواح
و روضة الافراح في تواريخ الحكماء ... مايلي : « ... و بيرون مدينة بالسند
... و هي التي منشأه و مولده بلدة طيبة فيها غرائب و عجائب و لاغرو فان
الدر ساكن الصدف ... » (١)

و يذهب ابن أبي أصيبعة أيضاً مذهب الشهر زوري فيقرر أن بيرون

مدينة تقع في السند (١)

أما يا قوت الحموى فمع أنه يعتقد بأن أباالريحان كان ينتسب إلى إحدى قرى خوارزم ، إلا أنه يذكر نقلاً عن أحد العلماء أن أهل خوارزم كانوا يسمون الغريب عن مدينتهم « بالبيروني » . و حيث إن أباالريحان عاش قليلاً في خوارزم وطالت غربته عنها لقب لذلك بالبيروني (٢) ويرى جلال الدين السيوطي أيضاً أن سبب نسبة أبيالريحان بالبيروني تعود إلى طول إقامته خارج خوارزم حيث يقول في كتابه بغية الوعاة :

« ... و هم يسمون الغريب بهذا الاسم فلما طالت غربته عنهم صار

غريباً ... » (٣)

مناقشة هذه الآراء

الرأى الذى ذهب إليه الشهرزورى وابن أبى أصيبعة فى أن بيرون اسم مدينة واقعة فى السند لاشك غير مصيب . ذلك ؛ لأنه لم يكن لمثل هذه المدينة بهذا الاسم وجود فى السند مطلقاً « و إن ما فى السند هى مدينة نيرون بالنون وليس بالباء و تسمى به (نيرون كوت) و حيدرآباد » (٤)

أما ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن طول غربة أبىالريحان عن خوارزم هو السبب فى نسبته الى «بيرون» فلا يبدو صحيحاً أيضاً لان هذه النسبة

١ - أنظر عيون الأنباء ، الجزء الثالث ، القسم الاول ص ٢٩ ، طبعة دارالفكر بيروت

عام ١٩٥٢ .

(٢) جاء فى معجم الادباء الجزء ١٧ ص ١٨٠ طبعة مصر مانصه : « وهذه النسبة معناها البراني لان بيرون بالفارسية معناه برأ ، و سألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً ، و أهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، كانه لما طالت غربته عنهم صار غريباً ، وما أظنه يراد به الا انه من أهل الرستاق يعنى أنه من برالبلد ، »

٣ - انظر بغية الوعاة للسيوطي طبعة القاهرة عام ١٤٢٦ هـ . ص ٢٠

٤ - انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ١

فيما نعلم ، كانت ملازمة لاسمه دائماً ولم تلحقه في فترة معينة من حياته .

والذي تظمن اليه النفس في شرح نسبة البيروني الى أبي الريحان وبيان مسقط رأسه هو ما ذكره السمعاني في كتابه الشهير « الأنساب » ، الذي ألفه بعد مرور قرن وأحد على وفاة أبي الريحان ؛ حيث يقول :

« البيروني بفتح الباء الموحدة و سكون الياء آخر الحروف و ضم الراء بعدها الواو و في آخرها نون هذه النسبة إلى خارج خوارزم فان بها من يكون من خارج البلد و لا يكون من نفسها يقال له فلان بيروني ست و يقال بلغتهم انيترك ست والمشهور بهذه النسبة أبوريحان المنجم » (١)

و رأى السمعاني هذا ، الذي يوافق ما ذهب إليه يا قوت أيضاً ، كما أشرنا من قبل ؛ يوضح أن مسقط رأس أبي الريحان كان إحدى القرى التابعة لمدينة خوارزم .

أما فيما يتعلق بضبط كلمة بيرون بفتح الباء كما يتلقها العرب فيبدو أن رأى البروفيسور ادوارد زاخائو أقرب إلى الصحة حيث يقول إن ياء كلمة بيرون كانت تُلَفَّظ كالكسرة المشبعة في الأزمنة الماضية في اللغة الفارسية وبما أن هذا الصوت في العربية أشبه مايكون بياء ساكن ما قبله حرف مفتوح ، لذلك ضبط الكتاب العرب هذه الكلمة بفتح الباء (٢)

١ - انظر مقدمة الآثار الباقيه ص XVIII ولم نثر على الطبعة التي استفاد منها المستشرق زاخائو في مقدمته للآثار الباقيه و الطبعة التي بين أيدينا وهي طبعة حيدر آباد عام ١٩٦٣ المطبوعة في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، تذكر في الجزء الثاني الصفحة ٣٩٢ : « البيروني بكسر الباء ... » و في الهامش استنداك يبين أن كلمة البيروني ذكرت في بعض النسخ بكسر الباء و في بعضها الآخر بفتح الباء .

٢ - انظر كتاب « شرح حال نابغة شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٢ و ٣

بيئة أبي الريحان

ليست لدينا معلومات قاطعة حول فترة طفولة أبي الريحان و لاحول دراساته الأولية و لأجل أن نقف على العوامل التي ساعدت على ظهور أبي الريحان و العلماء الشهيرين الآخريين فى ذلك العصر لابد لنا من القاء نظرة سريعة على الاحوال السياسية و الاجتماعية و الثقافية فى ايران فى القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجرى .

بدأت سيادة الأتراك على بغداد و سيطرتهم على أجهزة الخلافة ؛ كما نعرف ، منذ خلافة المعتصم (٢١٨-٢٢١هـ) و ازداد نفوذهم منذ أواسط القرن الثالث الهجرى شيئاً فشيئاً حتى وصل الأمر إلى حد أصبح الخليفة العوبة بيد القادة الأتراك و نتيجة لذلك أصبحت بغداد ، التي كانت مناراً للعلم و مشعلاً للثقافة الاسلامية ، تلك المنزلة التي حصلت عليها بفضل و همة الايرانيين و غيرهم من الشعوب الاسلامية ، أصبحت مسرحاً للخصومات و التعصبات و الاضطرابات فضعفت السلطة المركزية للامبراطورية الاسلامية و بدأت الولايات الشرقية و الغربية تشق عصا الطاعة و تعلن الاستقلال .

استطاع الايرانيون ، الذين حاولوا منذ القرن الاول الهجرى الحصول على استقلال بلادهم المسلوب بالفداء و التضحية ، حتى وصل كفاحهم الذروة فى القرنين الثانى و الثالث ، استطاعوا الحصول بالتدريج على ذلك الاستقلال و إحياء لغتهم و أدبهم و ثقافتهم .

و مع أن تجزئة الامبراطورية الاسلامية و استقلال اقاليمها أدى الى إضعاف الحكومة المركزية الاسلامية إلا أن هـ_____ ذا الامر كان سبباً مباشراً فى تقدم العلم و الأدب و تحرك عجلة الثقافة . ذلك ، أن التنافس العلمى بين الأقاليم و مركز الخلافة بلغ أوجه فى ذلك العصر فكان كل أمير

يسعى إلى جذب أكبر عدد من العلماء والشعراء والأدباء إلى بلاطه و بهذا أصبح كل بلاط مؤثلاً لأهل العلم والأدب و محط أنظارهم .

ولئن لم تتح الفرصة للصفاريين ، بسبب قصر حكمهم وضيق حدودهم وتعدد و استمرار حروبهم ، أن يخدموا العلم والأدب كما ينبغي فإن السامانيين الذين امتد حكمهم فترة طويلة من الزمن وانبسط نفوذهم على خراسان و سجستان و ماوراءالنهر و جرجان ، استطاعوا أن يجعلوا من بخارا و سمرقند مركزين للعلم والأدب بفضل وزراءهم العلماء كالجهاني و الباعمي ، فبتشجيعهم العلماء أدوا خدمة كبيرة إلى الانسانية و العلم و باغراقهم الشعراء و الكتاب بالهدايا و العطاء ازدهر الأدب الفارسي و اينتعت ثماره .

ولا شك أن سرّ نجاح السامانيين و الحكومات الايرانية الأخرى المعاصرة لهم في توسيع مجال الأدب و الثقافة يكمن في أن هؤلاء أرسوا قواعد حكمهم على حبهم لايران و إحياء آدابهم و رسومهم القديمة . ذلك لأنهم عن هذا الطريق استطاعوا أن يجلبوا تأييد وحب واندفاع الأمة الايرانية اليهم و هذا ما أعانهم على تثبيت حكمهم و ازدياد نفوذهم و دوام سلطتهم . ان الايرانيين الذين لم ينسوا بعد جور و ظلم حكام بني امية و خداع و معاملة العباسيين اللانسانية لهم والذين كانوا يتمنون الخلاص من قيود و ربة الحكم الأجنبي ، تجسدت ، في الحقيقة ، أمانهم الوطنية كلها في حكومة السامانيين الذين حلوا محل الحكام الظالمين الغرباء عنهم وافتخروا بايرانيتهم وجعلوا نصب اعينهم احياء السنن والاداب و الثقايلد الايرانية واقاموا عيدى السدة (١)

١ - السدة : هو عيد كان يحتفل به في ايران قبل الاسلام و في القرون الاسلاميه الاولى ويقع في اليوم العاشر من شهر بهمن حسب التقويم الايراني و يوافق لليوم الثلاثين من شهر كانون الاول ، وكان الايرانيون قديماً يحتفلون باشعال النيران فيه وهذه العادة لازالت باقيه عند الزرادشتيين الى اليوم .

و المهرجان (١) بما يليق مقامهما من الأبهة و العظمة .

فلاغرواذن أن نرى، في هذا العصر، تجديد حياة القصص الحماسية الوطنية الايرانية القديمة وأن نرى في الشهنامة صرحاً شامخاً من النظم لن تضربه الرياح والامطار (٢) و من بين السنن و التقاليد الايـــــرانية القديمة التي أحياها السامانيون احترام العلماء واشتراك الامراء في مجالس بحثهم ومناظراتهم (٣) فكان ألامراء السامانيون يخصصون يوماً في الاسبوع لاستقبال العلماء و انعقاد مجالس البحث و المناظرة بحضورهم و بذلك رفعوا منزلة العلماء و عظموا شأنهم و من الواضح أن لهذا النوع من التشجيع و الاهتمام بهذه السنة التي خلفها انوشروان (٤) - و التي اقتبسها بعض الخلفاء العباسيين ، مقلدين

١ - مهرگان (المهرجان) هو أكبر أعياد الايرانيين القدماء . وكانوا يخصصون اليوم السادس عشر من كل شهر بالنور «مهر» ويسمونه مهرروز (يوم الشمس) وفي اليوم السادس عشر من شهر «مهر» (اكتوبر) كان الايرانيون يقيمون احتفالاً كبيراً يسمونه بمهرگان وقد عربت هذه الكلمة وأصبحت تعرف بالمهرجان. وجاء في كتاب « بند هشن » وهو من الكتب لزرادشتية الدينية القديمة أن (مشيا) و (مشيانة) وهما بمنزلة آدم وحواء للآريين قد ولدا في هذا اليوم وكان هذا الاحتفال الكبير يستمر ستة أيام من اليوم السادس عشر من شهر مهر الى اليوم الحادي والعشرين الذي كان يسمى بـ « رام روز » أما السنة الايرانية القديمة فكانت تقسم الى قسمين هما فصل الصيف و فصل الشتاء فالنوروز كان يوم الاحتفال ببدء الصيف و المهرجان يوم الاحتفال ببدء الشتاء .

انظر كتاب « فرهنگ فارسی معین »

٢ - اشادة الى بيت مشهور من شهنامه الفردوسی

پی افکندم از نظم کاخی بلند
که از باد و باران نیابد گزند
و معناه :

بنيت قصراً شامخاً من النظم
لن تضربه الرياح والامطار

٣ - انظر كتاب « تاريخ ادبيات در ايران » للدكتور ذبيح الله صفا ج ١ ص ٢٨٠

٤ - أنظر كتاب « تاريخ علوم عقلی » للدكتور ذبيح اله صفا ص ٢٣

سنن الساسانيين (١) - تأثيراً كبيراً على تقدم العلوم و الفنون .
و بما أن صلة السامانيين بالشعب كانت صلة أحاسيس وطنية -
لا كما كانت صلة الأتراك الغزنويين و السلجوقيين بالشعب الإيراني
اذ لم تكن تربطهم بهذه الأمة سوى صلة الدين - لذلك تركوا الحرية
للشعب فيما يتعلق بمعتقداتهم الدينية والمذهبية و لهذا ، لانرى التعصب الاعمى
فى عصرهم كما نراه فى عهد الأتراك بل عاشت الفئات الدينية الأخرى الى
جانب المسلمين فى سلام و وئام يجمعهم اخلاصهم لإيران فترى مثلاً أن
أباعد الله الجيهانى قد تقلد الوزارة و هو كما يبدو مانوى المذهب (٢) ونرى
أيضاً الدقيقى ، الشاعر الشهير يعلن صراحة انتماءه الى المذهب الزرادشتى (٣)
كما أن نصر بن أحمد السامانى اعتنق العقائد الاسماعيلية (٤) و ذلك دليل
واضح على تغلغل الحكمة و المنطق فى بيئة السامانيين و صفوة القول ، ان
الطوائف الدينية كالمسيحية و الزرادشتية و الشيعية و السنية وغيرها على اختلاف
نزعاتها و معتقداتها عاشت بحرية فى كنف السامانيين . و من الواضح أن

١ - انظر ظهرا الاسلام ص ٢٢٩-٢٣١ و تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم

حسن ج ٣ ص ٥١٨ وما بعدها و انظر مروج الذهب للمسعودى طبعة مصر ج ٤ ص ٢٤٥

٢ - انظر كتاب «مانى و دين او» للسيد حسن تقى زاده هامش الصفحه ١٦٣ .

٣ - اشارة الى البيتين التاليين .

دقيقى چهار خصلت بر كزیده بگیتی از همه خوبی و زشتی

لب یاقوت رنگ و ناله چنگ می خون رنگ و کیش زردهشتی

والمعنى

اختار الدقيقى من الدنيا جميلها و قبيحها أربع خصائل :

الشفة الوردية و نعمة العود و الخمر الاحمر (كلون الدم) و الديانة الزرادشتية .

انظر كتاب « تاريخ ادبيات در ايران » ج ١ ص ٤٠٩

٤ - انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٧

لبعد نظر السامانيين هذا ، و تفكيرهم السليم و سعة صدورهم أيضاً تأثيراً كبيراً على تقدم العلوم و الفنون و اعداد العلماء فى شتى مناحى العلم و المعرفة . و حذت الأسر الايرانية الحاكمة على الاقاليم الايرانية الاخرى و التى عاصرت السامانيين ، حذوهم فكان كل أمير يعتز بما فى بلاطه من علماء و مفكرين و كان يبذل لهم العطاء و يشجعهم على المضى "قُدماً فى سبيل العلم و المعرفة . فى مثل تلك البيئة الخصبة عاش أبو الريحان البيرونى و ترعرع فى كنف حماة العلم و الادب و تكونت شخصيته العالمية و اكتملت معارفه الواسعة ، تلك البيئة التى شهدت بزوغ شمس العديد من العلماء الايرانيين من أمثال محمد بن زكريا الرازى و أبى نصر الفارابى و على بن العباس المجوسى الالهوازى (١) و من بعدهم ابن سينا و أبوسهل المسيحى (٢) و غيرهم الذين أسدوا خدمة كبرى للعلم و قدموا عصارة أفكارهم هدية للعالم أجمع .

ولكن ما العمل ، و قد رفضت الاقدار الا أن تزيل بعد النظر ذلك و رحابة الصدر التى تمتع بها الايرانيون فى عصر السامانيين ، و من المؤسف حقاً ان يظهر الاتراك على مسرح الحياة الايرانية - هؤلاء الذين لم تكن تربطهم

(١) يعد على بن عباس المجوسى الالهوازى المتوفى حوالى عام ٤٠٠ للهجرة من أكبر أطباء العالم الاسلامى و تتلمذ لابی ماهر موسى بن سيار القمى و كان الالهوازى الطبيب الخاص لعضد الدولة الديلمى و من أهم مؤلفاته كتاب «كامل الصناعة» انظر فرهنك معين المجلد الخاص بالاعلام .

٢ - أبوسهل المسيحى ، هو الطبيب المشهور الذى عاصر ابن سينا كان يعيش فى بلاط آل المامون فى خوارزم و فى عام (٤٠٣ هـ.ق) توفاه الاجل فى صحراء خوارزم حينما كان بصحبة ابن سينا و هما فى طريقهما الى خراسان وقد خلف لنا أبوسهل كتاباً شهيراً هو «المائة فى الصناعة الطبية» وهو كتاب كبير يشتمل على جميع الابواب الطبية و خلف لناعدة رسائل أخرى اضافة الى الكتاب المذكور و كان أبوسهل مضطلعاً فى الهندسة والنجوم والحكمة و له فى هذه العلوم آثار و مصنفات .

انظر «فرهنك معين» المجلد الخاص بالاعلام .

بالإيرانيين صلة سوى رابطة الدين الظاهرية - ليمسكوا زمام الأمور بأيديهم و
يبدأوا سياساتهم التعسفية ، تلك السياسة الدينية التي اعتمدت على التعصب
الاعمى و التمسك بقشور الدين و التي حلت محل السياسة الوطنية التي اتبعتها
السامانيون ثم بدأت مع حكم الانتراك بذور العداوة للعلوم العقلية و العلماء
بالنمو و لم تلبث حركة العلماء طويلا بل انزوت واختفت عن مسرح الحياة
العلمية بحيث لم نر في الشرق عالماً بعد القرن الخامس الهجري يحاكي العلماء
الكبار الذين عاشوا في ذلك العصر .

حياة أبي الريحان و آثاره :

بدأ أبو الريحان بتعلم العلوم منذ صغر سنه في خوارزم و بقي هناك حتى
الخامسة و العشرين من عمره وفي تلك الحقبة من الزمن درس العلوم على يد
أساتذة كبار من أمثال أبي نصر منصور بن علي بن عراق الرياضي الكبير (١) ،
و ابو نصر هذا ينتمي إلى أسرة آل عراق التي حكمت خوارزم منذ الفترة التي
سبقت الاسلام و حتى عام ٣٨٥ للهجرة حيث قتل آخر ابنائها على يد المامون
ابن محمد مؤسس السلسلة المامونية في خوارزم و أحاطت هذه الاسرة المحبة
للعلم و الادب بأبوالريحان بالرعاية و حسن المعاملة (٢)

بدأ أبو الريحان بتأليف عدة كتب في خوارزم بالذات وفتح باب المكاتبة
في الامور الفلسفية مع أبي علي بن سينا نابغة بخارا الشاب الذي يكبره بسبع
سنين (٣)

(١) كان ابو نصر منصور بن علي بن عراق من اكبر الرياضيين والمنجمين في عصره
و له مؤلفات عديدة في هذه العلوم . انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور ذبيح اله صفا
ج ١ ص ٢٠٧

(٢) انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٧

(٣) أنظر l'Article de D. J Boilot dans l'Encyclopedie
de l'Islam . T. 1 P. 1273 - 1275

و يبدو أن أباالريحان اتصل بالمنصور بن نوح الساماني (٣٨٧-٣٨٩هـ) شخصياً لأنه تحدث عنه كاول مشجع له (١) و يبدو أيضاً أن اباالريحان ذهب في عام ٣٨٨ هـ إلى جرجان ليلتحق بخدمة شمس المعالي قابوس بن وشمگیر عند عودته من منفاه الى عاصمة حكمه. وقد اكرم شمس المعالي وفادة ابيالريحان خير إكرام (٢) و شمس المعالي هذا ، كما نعلم ، ابن وشمگیر و ابن أخي مردآويج رأس سلسلة آل زيار ، هذه السلسلة الايرانية التي كانت تحكم في ذلك الوقت جرجان و كان مردآويج مشهوراً بوطنيته و باحيائه السنن و الآداب الايرانية وفي عام ٣٢٣ للهجرة أراد أن يحتل بغداد و يقضى على الخلافة العباسية أى أنه أراد أن يتمم ما كان قد عزم عليه البطل الايراني يعقوب بن ليث الصفارى قبل وفاته إلا أن عبيده الاثراك اغتالوه في الحمام في مدينة اصفهان والقصة شهيرة (٣) يعد شمس المعالي قابوس ، الذي كان يرعى أباالريحان ، من الكتاب والشعراء الايرانيين الكبار و كان ينظم الشعر باللغتين الفارسية والعربية و كتابه « كمال البلاغة » دليل ناصع على غزارة علمه و أدبه ، فلا عجب أن يخصص شمس المعالي مرتباً للشاعر خسروى السرخسى (٤) وأن يكرم أمثال أبى الفرج

(١) - المصدر السابق

(٢) - المصدر نفسه

(٣) - انظر « تاريخ ادبيات در ايران » للدكتور ذبيح اله صفا ج ١ ص ٢١١-٢١٢

(٤) - خسروى السرخسى هو أبوبكر محمد بن على الشاعر العالم الذى عاش في القرن الرابع وقد لقبوه بالحكيم أحياناً لاستخدامه المصطلحات الحكمية في أشعاره و كان السرخسى يمدح قابوس بن وشمگیر و صاحب بن عباد و ناصر الدولة أبا الحسن محمد سيمجور و كان ينال مرتباً سنوياً من قابوس و صاحب بن عباد . و للسرخسى قصائد شعرية باللغتين الفارسية والعربية . انظر « فرهنك معين » المجلد الخاص بالاعلام

على بن الحسين بن هندو الاديب و الحكيم الكبير (١) و أبى الريحان البيرونى (٢) لقد أمضى أبو الريحان فترة ليست بالقصيرة من عمره فى بلاط قابوس وهناك ألف أول كتاب كبير له (الآثار الباقية عن القرون الخالية) باسم الامير قابوس ومن المحتمل أنه أتم هذا السفر الخالد فى عام ٣٩٠ للهجرة (٣)

و قد قام بطبع هذا الكتاب القيم الذى يضم مباحث مختلفة كالتقويم و بعض البحوث الرياضية المهمة و البحوث التاريخية وفصول عن النجوم ، المستشرق الالمانى البروفيسور ادوارد زاخاثولاول مرة عام (١٨٧٨م) فى مدينة لايبزيغ فى آلمانيا (٤)

ومع أن أبا الريحان كان إيرانياً خوارزمى اللهجة الا أنه كتب مؤلفاته باللغة العربية ، تلك اللغة التى أصبحت لغة التأليف والعلم فى العالم الاسلامى آنذاك ثم كتب بعد ذلك بعض مؤلفاته بالفارسية أيضاً (٥) أو بالفارسية و العربية معاً .

عاد أبو الريحان الى موطنه خوارزم قبل عام ٣٩٩ للهجرة حيث حل موضع احترام و اكرام خوارزمشاه أبى الحسن على بن المامون بن المامون و بعد وفاة خوارزمشاه هذا ، احتفى به أخوه أبو العباس المامون بن المامون و

١ - ابوالفرج على بن الحسين بن هندو : من المتميزين فى علوم الحكمة و الادب وله شعر جيد نشأ بنيشابور و كان من كتاب الانشاء فى ديوان عضدالدولة و لبس الدراعة على رسم الكتاب فى ذلك العصر و توفى بجرجان ، له كتب منها «الكلم الروحانية من الحكم اليونانية» و «مفتاح الطب» و «المقالة المشوقة فى المدخل الى علم الفلك» و «ديوان شعر» . انظر الاعلام للزركلى

٢ - انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور صفا ج ١ ص ٢١٢

٣ - انظر . Encyclopedie de l' Islam T. 1. P. 1273-1275

٤ - انظر المصدر نفسه

٥ - انظر المصدر نفسه

بقى ابو الريحان فى بلاطه مدة سبع سنين و خلال هذه المدة ، فضلاً عن منزلته العلمية لعب دوراً بارزاً فى السياسة كما سنرى و بعد أن قتل خوارزمشاه أبو العباس المامون بن المامون فى عام ٤٠٧ هـ على يد قواده المتمردين وخضعت بلاده للسلطان القدير الغزنوى محمود بن سبكتكين أسر أبو الريحان و نقل بأمر من محمود الغزنوى الى غزنة مع عدد كبير من الاسرى فى ربيع عام ٤٠٨ هـ (١) وكان بين الاسرى عدد من العلماء و الادباء كأبى نصر منصور بن على ابن عراق استاذ أبى الريحان و أبى الخير الحسين بن بابا الخمار البغدادى (٢) و يبدو أن أبا على بن سينا كان قد ترك خوارزم بمعية أبى سهل عيسى بن يحيى المسيحى الطبيب المعروف الى جرجان قبل هذا التاريخ أى قبل عام ٤٠٧ للهجرة .

لم يجد ابو الريحان بداً من البقاء فى بلاط غزنة و يبدو أنه شغل منصب منجم البلاط الرسمى و قد صحب محموداً الغزنوى خلال حملته على شمال غربى الهند .

و فى الهند اشتغل ابو الريحان بتدريس العلوم اليونانية (٣) و فى مقابل ذلك انكب على دراسة اللغة السنسكريتية و لهجاتها و عن هذا الطريق حصل على معلومات قيمة تدور حول عقائد و علوم و آداب الهند و قد جمع

١ - انظر Encyclopie de l' Islam T,I,p, 1273-1275

٢ - هابن الخمار وهو ابو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام فى زماننا من أفاضل المنطقيين ممن قرأ على يحيى بن عدى ، فى نهاية الذكاء والفطنة والاضلاع بعلوم أصحابه و مولده فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وله من الكتب كتاب الهيولى ، مقالة . كتاب الوفاق بين رأى الفلاسفة والنصارى ، ثلاث مقالات . كتاب تفسير ايساغوجى ، مشروح . كتاب تفسير ايساغوجى ، مختصر كتاب الصديق والصدافة ، مقالة ، كتاب سيرة الفيلسوف ، مقالة ، كتاب الحوامل ، مقالة فى الطب ...» انظر الفهرست لابن النديم تحقيق رضا تجدد ص ٣٢٣

٣ - انظر Encyclopie de l' Islam T,I,P, 1273-1275

تلك المعلومات فى كتابه القيم فى «تحقيق مالههند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة»

و قد انتهى ابو الريحان من تأليف كتابه المذكور بعد وفاة محمود الغزنوى بقليل أى فى عام ٤٢١ هـ (١) و قد طبع المستشرق الالمانى ادوارد زاخاو الكتاب أيضاً فى لندن سنة ١٨٨٧م و بعد عام ترجم الكتاب إلى اللغة الانجليزية و طبعه فى نفس البلد .

و كان ابو الريحان قد ألف كتاباً مهماً لريحانة بنت الحسين الخوارزمى قبل هذا الكتاب بسنة ضمنه خلاصة لعلوم الهندسة و الحساب و الهيئة و أحكام النجوم بالعربية و الفارسية (٢) سماه : (التفهيم لاوائل صناعة التنجيم)

و قد طبع R . Ramsy فى لندن عام ١٩٣٤ م النسخة العربية للكتاب المذكور مع ترجمة له باللغة الانجليزية اما النسخة الفارسية فقد حققها وقدم لها الاستاذ القدير جلال الدين همائى الاستاذ بجامعة طهران عام ١٩٤٠ ميلادى .

و بعد هذين الكتابين القيمين الف ابو الريحان سفره الكبير (القانون المسعودى فى الهيئة و النجوم) للسلطان مسعود الغزنوى (٤٢١ - ٤٣٢ هـ) و فى خلال حكم مودود بن مسعود (٤٣٢ - ٤٤١ هـ) الف ابو الريحان كتاباً مهماً آخر فى معرفة المعادن سماه : (الجماهر فى معرفة الجواهر) و قد طبع هذا الكتاب فى حيدرآباد سنة ١٩٣٦ م .

١ - انظر EncycloPédie de l'Islam, T, I, P, 1273-1275

٢ - لانعرف بالضبط هل أنأ بالريحان الف الكتاب اولاً باللغة العربية ام باللغة الفارسية و الذى لانشك فيه هو ان احد الكتابين ترجمة للكتاب الاخر وهناك بعض الدلائل منها ان ابالريحان قد الف الكتاب لريحانة بنت الحسين الخوارزمى الايرانية (و ان كنا لانعلم اليوم شيئاً عنها ولاعن ايها) تشير الى ان الكتاب قد الف بالفارسية اولاً و من ثم ترجم الى العربية ، انظر مقدمة الاستاذ جلال الدين همائى لكتاب التفهيم النسخة الفارسية

و يذكر ابو الريحان فى كتابه القيم الذى الفه فى الطب و الصيدلة و الذى يعرف بـ (الصيدلة فى الطب) او (الصيدنة فى الطب) ، انه قد جاوز سن الثمانين (١) و على هذا يجب ان يكون ابو الريحان قد توفى بعد عام ٤٤٠ هجرى - وهو التاريخ الذى يذكر عادة لوفاته - بقليل ، اى عام ٤٤٢ هـ و من المحتمل انه توفى فى غزنين (٢)

إن كثرة تصانيف و مؤلفات أبى الريحان ، التى تدل على طول بابه و عمله المضمنى المستمر تثير العجب حقاً :

فقد كتب ابو الريحان عام ٤٢٧ هـ رسالة فى فهرست الكتب التى ألفها محمد بن زكريا الرازى اجابة لطلب صديق له سماها (رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى) (٣) و ذكر فى ذيل هذه الرسالة بطلب من صديقه المذكور أيضاً فهرستاً لمؤلفاته هو ، التى بلغت مائة و ثلاثة كتب كاملة و عشرة مصنفات لم ينته من تأليفها الى تاريخ كتابته الرسالة.

ونلاحظ فى الرسالة أيضاً أن كلا من ابى نصر منصور بن على بن عراق (٤) و أبى سهل المسيحي قد ألف اثنى عشر مجلداً باسم أبى الريحان كما ألف أبو- على الحسن بن على الجيلى مجلداً واحداً باسمه أيضاً و ذلك يدل على رفعة منزلة

١ - انظر l'article de D.J. Boilot dans l'encyclopedie de l' Islam . T 1 . P 1273 - 1275

٢ - انظر المصدر نفسه

٣ - طبع هذه الرسالة پل كراوس P.kraus لأول مرة عام ١٩٣٦ م فى باريس.

٤ - فى عام ١٩٤٨ م طبع كتاب فى حيدرآباد تحت عنوان (رسائل ابى نصر الى البيرونى) وقد تضمن احدى عشرة رسالة فى الرياضيات و النجوم بالاضافة الى الرسائل التى كتبها باسم ابى الريحان .

أبي الريحان و سمو مقامه بين علماء عصره (١)

و إذا أخذنا بنظر الاعتبار المؤلفات التي صنفها بعد تاريخ كتابة الرسالة

١ - نظراً لأن هذه الرسالة تجمع القسم الأعظم من مؤلفات ومصنفات البيروني وبما أنها تعتبر أقدم و ثيقة كتبها البيروني نفسه للتعريف بما ألفه ، لذا نذكرها كما جاءت في المقدمة التي كتبها المستشرق الألماني زاخائو لكتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية :
وكما افتتحت كلامي بكتب أبي بكر فاني أختمه بما شاهدتكم وقتاً تطلب مني من أسماء الكتب التي اتفق لي عملها الى تمام سنة سبع و عشرين و اربعمئة و قد تم من عمري خمس وستون سنة قمرية و ثلث و ستون شمسية وما تعجبت ان يصدق تأويل رؤيائي وان لم يصدق حرصي عليه .
الف - قد عملت لزيج الخوارزمي علله ووسمت المسائل المفيدة والجوابات السديدة في ٢٥٠ ورقة ،

ب- وعمل ابوطلحة الطبيب في ذلك شيئاً يوجب مناقضته فعملت ابطال البهتان بإيراد البرهان على أعمال الخوارزمي في زيجته ٣٦٠ ورقة .

ج- وعثرت لابي الحسن الاهوازي على كتاب في هذا الباب ظلم فيه الخوارزمي فاضطرت الى عمل كتاب الوساطة بينهما في ٦٠٠ ورقة .

د- وعملت كتاباً و سميته بتكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل جاء ثلثه في ٢٥٠ ورقة .

هـ - وكذلك عملت في السند هند كتاباً وسميته بجوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم جاء ماتم منه في ٥٥٠ ورقة .

و- و هذبت زيج الاركند وجعلته بألفاظي اذ كانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة و ألفاظ الهند فيها لحالها متروكة .

ز - و كتاب مقاليد علم الهيئة ما يحدث في بسيط الكرة ١٥٥ ورقة للاصفهيد جيلجيان مرزبان بن رستم .

ح - وعملت كتاباً في المدارين المتحددين والمتساويين بخيال الكسوفين عند الهند و هو مني مشتهر فيما بينهم لا يخلو منه زيج من أزياءهم وليس بمعلوم عند أصحابنا .

ط - وعملت كتاباً و سميته في أمر الممتحن وتبصير ابن كيسوم المقتن اذ كان تعدى طوره و جهل نفسه في هذا الباب فجاء الكتاب في ١٠٠ ورقة .

ي- وعملت بسؤال أحد المتبحرين في التحاويل مقالة وسميتها باختلاف الاقاويل لاستخراج التحاويل في ٣٠ ورقة ،

وكذلك الكتب التى فات على أبى الريحان ذكرها فى الرسالة و ما ذكره حاجى

يا - و بسؤال أحد من شك فى جداول تعديل الشمس ولم يهتد لطريق تحليل حبش لها مقالة فى التحليل والتقطيع للتعديل فى ٧٠ ورقة .

يب - فى تهذيب الطرق المحتاج اليها فى استخراج هيئة الفلك عند المواليد وتحاويل السنين وغيرها من الاوقات مقالة فى ٦٠ ورقة .

يج - وللقاضى أبى القسم العامرى مفتاح علم الهيئة فى ٣٠ ورقة تضمن المبادئ مجردة عن الاشكال .

يد - و عملت على هيئة فصول الفرغانى لا بى الحسن المسافر كتاباً سميته تهذيب فصول الفرغانى فى ٢٠٠ ورقة .

يه - وله كتاباً فى افراد المقال فى أمر الاضلال استغرق هذا الفن فى ٢٠٠ ورقة .

يو - و له عندما بحث عن تسوية البيوت كتاباً فى استعمال دوائر السموات لاستخراج مراكز البيوت فى أكثر من ١٠٠ ورقة .

يز - و لبعض منجمى جرجان مقالة فى طالع قبة الارض و حالات الثوابت ذوات العروض فى ٣٠ ورقة .

يج - ومقالة صغيرة فى اعتبار مقدار الليل و النهار فى جميع الارض لتعريف كون السنة يوماً تحت القطب بغير تشكيل .

ثم عملت فيما اتصل بأطوال البلاد وعروضها وسموت بعضها من بعض :
الف - كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن فى ١٠٠ ورقة :

ب - وكتاب تهذيب الاقوال فى تصحيح العروض و الاطوال فى ٢٠٠ ورقة .
ج - وكتاب تصحيح المنقول من العرض والطول فى ٤٠ ورقة .

د - ومقالة فى تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض .
ه - وأخرى فى تعيين البلد من العرض والطول كلاهما فى ٢٠ ورقة .

و - ومقالة فى استخراج قدر الارض برصد انحاط الافق عن قتل الجبال فى ٦٠ ورقة .
ز - فى غروب الشمس عند منارة اسكندرية فى ٤٠ ورقة .

ح - فى الاختلاف الواقع فى تقاسيم الاقاليم فى ٢٠ ورقة .
ط - فى اختلاف ذوى الفضل فى استخراج العرض والميل .

ى - و كتاب الاجوبة والاسئلة لتصحيح سمت القبلة فى ٣٠ ورقة
يا - و ايضا ادلة على كيفية سمت القبلة فى ٢٥ ورقة
يب - و تهذيب شروط العمل لتصحيح سموت القبل فى ٤٠ ورقة

خليفة فى كتابه كشف الظنون منسوباً إلى أبى الريحسان (خمسة عشر كتاباً)

يج- و فى تقويم القبلة ببست بتصحيح طولها وعرضها فى ١٥ ورقة
يد- فى الانبعاث لتصحيح القبلة كان فى ٤٥ ورقة
به- و تلافى عوارض الزلة فى كتاب دلائل القبلة
وعملت فيما اتصل بالحساب:

الف- تذكرة فى الحساب والعد بارقام السند والهند فى ٣٠ ورقة
ب- كلاماً يتبعها فى استخراج الكعاب و اضلاع ماوراء من مراتب الحساب فى
١٠٠ ورقة

ج - وكيفية رسوم الهند فى تعلم الحساب
د - فى أن رأى العرب فى مراتب العدد أصوب من رأى الهند فيها فى ١٥ ورقة
هـ - وفى راشيكات الهند فى ١٥ ورقة
و- و فى سكب الاعداد جاء نصفه فى ٣٠ ورقة
ز- ترجمة ما فى براهم سدھاند من طرق الحساب فى ٤٠ ورقة
ح - منصوبات الضرب

و عملت فى الشعاعات و الممر :

الف - كتاباً سمّيته بتجريد الشعاعات والانوار عن الفضائح المدونة فى الاسفار فى ٥٥ ورقة
ب - ومقالة فى تحصيل الشعاعات بأبعد الطرق عن الساعات فى ١٠ أوراق
ج- و اخرى فى مطرح الشعاع ثابتاً على تغير البقاع فى ١٥ ورقة
د - و تمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر فى ٦٠ ورقة

و عملت فيما اتصل بالالات والعمل بها:

الف - كتاباً فى استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاطرلاب فى ٨٠ ورقة
ب - وفى تسهيل التصحيح الاطرلابى والعمل بمركباته من الشمالى والجنوبى فى
١٠ أوراق

ج- و فى تسطيح الصور و تبطيح الكور فى ١٠ أوراق
د - و فيما أخرج ما فى قوة الاطرلاب الى الفعل فى ٣٠ ورقة
هـ - و فى استعمال الاطرلاب الكرى ١٠ أوراق
و عمل فيما اتصل بالازمنة والاوقات:

الف- مقالة فى تعبير الميزان لتقدير الازمان فى ١٥ ورقة
ب- فى تحصيل الآن من الزمان عند الهند فى ١٠٠ ورقة
ج - و تذكرة فى الارشاد الى صوم النصارى و الاعياد فى ٢٠ ورقة

لوجدنا ان مجموع مؤلفاته يبلغ مائة وثمانين كتاباً ورسالة مختلفة الحجم و

د - فى الاعتذار عما سبق لى فى تاريخ الاسكندر فى ١٠ أوراق
هـ - و فى تكميل حكايات عبدالملك الطبيب البستى فى مبدأ العالم و انتهائه فى قريب
من ١٠٠ ورقة

و عملت فى المذنبات والذوائب:

الف - مقالة فى دلالة الاثار العلوية على الاحداث السفلية فى ٣٠ ورقة
ب - فى ابطال ظنون فاسدة خطرت على قلوب بعض اطباء فى أمر الكواكب الحادثة
فى الجو فى ٧٠ ورقة
ج - و مقالة فى الكلام على الكواكب ذوات الاذناب و الذوائب فى ٦٥ ورقة
د - و مقالة فى مضيئات الجوالحادثة فى العلو
هـ - و مقالة فى تصفح كلام أبى سهل القوهى فى الكواكب المنقضة فى ١٥ ورقة
و عملت :

الف - كتابا فى تحقيق منازل القمر فى ١٨٠ ورقة
ب - فى الفحص عن نوادر أبى حفص عمر بن الفرخان فى ٢٤٠ ورقة
ج - و مقالة فى النسب التى بين الفلزات والجواهر فى الحجم فى ٣٠ ورقة
د - و مقالة فى استخراج الاتوار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها فى ٨٠ ورقة
هـ - و تذكرة فى المساحة للمسافر المقوى فى ١٠ أوراق
و - و مقالة فى نقل خواص الشكل القطاع الى مايعنى عنه فى ٢٠ ورقة
ز - و مقالة فى أن لوازم تجزى المقادير لالى نهاية قريبة من أمر الخطين الذين
يقربان و لا يلتقيان فى الاستبعاد فى ١٠ أوراق
ح - و مقالة فى صفة أسباب السخونة الموجودة فى العالم و اختلاف فصول السنة فى
٤٥ ورقة
ط - و مقالة فى البحث عن الطريقة المتعرفة المذكورة فى كتاب الاثار العلوية فى ٤٠
ورقة

ى - المسائل البلخية فى المعانى المتعلقة بانكسار الصناعة فى ٧٠ ورقة

يا - الجوابات عن المسائل الواردة من منجمى الهند فى ١٢٠ ورقة

يب - و الجوابات عن المسائل العشر الكشميرية

و عملت فيما اتصل باحكام النجوم:

الف - كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم

ب - و مقالة فى تقسيط القوى والدلالات بين أجزاء البيوت الاثنى عشر فى ١٥ ورقة

ج - و مقالة فى حكاية طريق الهند فى استخراج العمر

الموضوع و بالاضافة الى الكتب المطبوعة التي اشرنا اليها آنفاً طبع عام

- د - و مقالة فى سير سهى السعادة والغب
هـ - فى الارشاد الى تصحيح المبادئ اشتمل على النمودارات فى ٥٠ ورقة
و - و مقالة فى تبين رأى بطليموس فى السالكاء فى ٧ أوراق
ز - و ترجمه كتاب المواليـد الصغـير لبراهيميهـير
و أما مايجرى مجرى الاحماض من الهزل والسخف فقد ترجمت :
الف - قصة وامق و عذراء
ب - و حديث اورمزديار و مهريار
و - و حديث صنمى الباميان
هـ - و حديث داذمه و كرامى دخت جهلى الوادى (كذا)
و - و حديث نيلوفر فى قصة ديبستى و بر بهاگر
ز - و قافية الالف من الاتمام فى شعر أبى تمام
ح - و مقالة فى الاستخبار عن قـدا الاشجار
ط - و تحصيل الراحة بتصحيح المساحة
ى - و التخذير من قبل الترك
يا - و القرعة المصرحة بالعواقب
يب - و القرعة المثمـنة لاستنباط الضمائر المـخمـنة وشرح مزامير القرعة المـثمـنة
يج - و ترجمة كلب يارة و هو مقالة للهند فى الامراض التى تجرى مجرى العفونة
و أما فيما اتصل بالعقائد فعملت :
الف - كتاباً فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مردولة فى ٧٠٠ ورقة
ب - و مقالة فى علة علامات البروج فى الزيـجات من حروف الجمل فى ١٥ ورقة
ج - و كلام فى المستقر و المستودع فى ١٠ أوراق
د - و مقالة فى ناسديو الهند عند مجيئهـ الادنى
هـ - و ترجمة كتاب شامل فى الموجودات المحسوسة والمعقولة
و - و ترجمة كتاب باتنجل فى الخلاص من الارتباك
فأما ما عملته و ذهبت عنى نسخته أو سواده فكثير مثل :
الف - التنبيه على صناعة التمويه وهى أحكام النجوم
ب - و تنوير المنهاج الى تحليل الازياج
ج - و التطبيق الى تحقيق حركة الشمس

د - والبرهان المنير فى اعمال التسيير

هـ - وكتاب تنقيح التواريخ و أمثال ذلك

والذى ذكرته من تأويل رؤياى فاعلم ان للانسان فى محنه و نكائبه و ان كان أعقل الناس و أكيسهم لايزال يتوقع الفرح فيستروح الى البشائر و ينقبض عما يكره وبتطير به و يسر بالاحلام فيركن الى الفأل والاحكام و قد كنت ببشريتي على هذا فى مثل تلك الاوقات أطالب المنجمين بالنظر فى العواقب من مولدى و يبتدون باستخراج العمر على اختلاف شديد بينهم فيه فمن آخذ له ست عشرة سنة و من آخذ له نيفاً و أربعين سنة مكذباً نفسه فقد كنت مجاوزاً للخمسين و أما غيرهم فزادوا على الستين زيادة نزره لما شارقت ذلك الوقت اكنفتنى أعلال مهلكة اجتمع بعضها فى وقت واحد و ترادفت بعضها فى وقت دون وقت حتى رضت العظام و هدت البدن و أقعدت عن الحركة و أفسدت الحواس ثم أخذت بالانجلاء بعد أن خارت القوى بالشيخوخة و رأيت ليلة تحويل السنة الحادية والستين فى المنام كأنى مترصد للهلal أطلبه فى مواضعه و أتأمله على مساقطه فيعجزنى رؤيته فقال لى قائل خله فانك ابنه مائة و سبعين مرة و انتهبت بعقبه و حولت الاربع عشرة سنة قمرية مع شهرين الى الشمسية فنقصت خمسة أشهر و نصف شهر و قاربت الجملة سنى عطارد الكبرى الذى ذكروا أنه المستولى على وقت الولادة و مع هذا فلم أحش فيما ذكرته فكان قد فنى ولم يبق منه غير الجرة والقصة الاشياء واحد و هو اتمام ما على اليد من النواقص و تبييض المسود فى التعليقات:

الف - كالقانون المسعودى

ب - و كالاثر الباقية عن القرون الخالية

ج - و كالارشاد الى ما يدرك و لا ينال من الابعاد

د - و كالكتابة فى المكايل و الموازين و شرائط الطيار والشواهين

هـ - و كجمع الطرق السائرة فى معرفة أوتار الدائرة

و - و كنصور أمر الفجر والشفق فى جهتي الشرق والغرب من الافق

ز - و كنكميل صناعة التسطيح

ح - و كجلاء الازهان فى زيچ البتاني

ط - و كتحديد المعمورة و تصحيحها فى الصورة

ى - و كعمل زيچ جعفر المكنى بأبى معشر فسائر المقالات و ما أنويه من ترجمة

كتب الهند ولا يمين عليها بعدعون الله و الامان عن مقسمات الفكر غير انفساح المدة و

تأخر الاجل و سلامة الحواس و صحة البدن بحسب السن و يجب عليك أن تعلم فيما عدهته

ولا بى الريحان ما يقرب من عشرين نسخة خطية لم تطبع كاملة اولم

من كتبي مما عملته فى حدائتى و ازدادت المعرفة بفته بعد ذلك فلم أطرحه ولم استزدله فانها جميعاً أنبأى والاكثر بابنه و بشعره مفتون . و ما عمله غيرى باسمى فهو بمنزلة الربائب فى الحبور والقلائد على النحور لأميز بينها و بين الانهار فمما تولاه باسمى أبو نصر منصور بن على بن عراق مولى امير المؤمنين انار الله برهانه :

الف - كتابه فى السموات

- ب - و كتابه فى علة تنصيف التعديل عند أصحاب السند هند
 - ج - و كتابه فى تصحيح كتاب ابراهيم بن سنان فى تصحيح اختلاف الكواكب العلوية
 - د - و رسالته فى براهين اعمال حبش بجدول التقويم
 - هـ - و رسالته فى تصحيح ما وقع لابي جعفر الخازن من السهو فى زيغ الصفائح
 - و - و رسالته فى مجازات دوائر السموت فى الاصطراب
 - ز - و رسالته فى جدول الدقائق
 - ح - و رسالته فى براهين على عمل محمد بن الصباح فى امتحان الشمس
 - ط - و رسالته فى الدوائر التى تحد الساعات الزمانية
 - ى - و رسالته فى البرهان على عمل حبش فى مطالع السموت فى زيجه
 - يا - و رسالته فى معرفة القسى الفلكية بطريق غير طريق النسبة المؤلفة
 - يب - و رسالته فى حل شبهة عرضت فى الثالثة عشر من كتاب الاصول
- والذى تولاه أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى باسمى :**

الف - كتابه فى مبادئ الهندسة

- ب - و كتابه فى رسوم الحركات فى الاشياء ذوات الوضع
- ج - و كتابه فى سكون الارض أو حركتها
- د - و كتابه فى التوسط بين أرسطو طاليس و جالينوس فى المحرك الاول
- هـ - و رسالته فى دلالة اللفظ على المعنى
- و - و رسالته فى سبب برد أيام العجوز
- ز - و رسالته فى علة الترسة (كذا) التى تستعمل فى أحكام النجوم
- ح - و رسالته فى آداب صحبة الملوك
- ط - و رسالته فى قوانين الصناعة
- ى - و رسالته فى دستور الخط
- يا - و رسالته فى الغزليات الشمسية

تطبع ابدأ منها كتاب «تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن» و
كتاب «استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاصطرلاب»

شخصية أبى الريحان

نستطيع أن نتناول الجوانب المختلفة لشخصية أبى الريحان بمالدينا من
معلومات حول حياته و بما ذكرته الكتب القديمة حول هذه الشخصية الفذة
و بما خلفه لنا أبو الريحان نفسه من الكتب القيمة لكى نقف على حقيقة شخصيته
الكبيرة .

و للوصول إلى تحقيق هذه الدراسة سنتناول بالبحث أولاً دور أبى الريحان
السياسى - لانه ، كما سنرى ، لعب دوراً هاماً فى السياسة فى فترة من حياته -
و فى نهاية البحث سنحاول أن نعرف دوافع تدخله فى السياسة .

و سندرس ثانياً شخصيته الادبية و شاعريته باختصار و بعد ذلك سنتحدث
ثالثاً ، عن أبى الريحان العالم والفيلسوف و منزلته العلمية .

وفى الختام سنحاول أن نصور الوجه المعنوى لآبى الريحان الانسان و
نجسده أمام أعين قرائنا الاعزاء

اولا ، ابو الريحان السياسى :

نشاهد فى فهرست كتب البيرونى كتاباً تحت عنوان «المسامرة فى أخبار
خوارزم» إلا أن هذا الكتاب لم يسلم ، لسوء الحظ ، من تصارييف الدهر و لم

← يب - و رسالته النرجسية

و مما عمله ابو على الحسن بن على الجبلى باسمى الرسالة المعنونة بمن و عن . و قد
عرضت عليك ما معى من هذه الكتب لتعلمنى موقع اشتهاك منها لاقربه منك و أنزهك به
والسلام . تمت الرسالة للاستاذ المعروفة بالفهرست .

يعثر على أثر له إلا ما نقل منه أبو الفضل البيهقي (١) فى نهاية تاريخه الشهير و يتضح من تلك الخلاصة التى ذكرها البيهقي أن أبا الريحان ، بغض النظر عن منزلته و شخصيته العلمية ، حظى بمركز سياسى خطير ، و ان كان لم يتقلد منصباً رسمياً كالوزير مثلاً :

كان محمود الغزنوى ، كما نعلم ، فى صدد القضاء على الاسر الايرانية الحاكمة (٢) و من بينها أسرة خوارزمشاه ليضم أقاليمهم الى مملكته الواسعة . و أبو الريحان الذى اقام سبع سنوات فى بلاط ابي العباس المامون بن المامون امير خوارزم و عاش الاحداث التى مرت على ابي العباس و شهد نهاية حكم هذه الاسرة يذكر لنا بدقة تلك الوقائع ؛ و من خلال ما كتبه يتضح لنا دوره السياسى الهام فى بلاط ابي العباس .

يخبرنا البيرونى عن خوف ابي العباس خوارزمشاه من محمود الغزنوى

(١) - هو أبو الفضل محمد بن الحسين المتوفى عام ٤٧٠ هـ . كان من كبار الكتاب المعاصرين للغزنويين فى القرن الخامس . ولد فى بيهق و أتم دراساته فى نيسابور ثم اشتغل كاتباً فى ديوان الرسائل لمحمود الغزنوى الذى كان يشرف عليه الكاتب الشهير أبونصر مشكان . وبقى يعمل فى الديوان مدة تسعة عشر عاماً الى عهد السلطان عبدالرشيد الذى ولاه ديوان الرسائل . و قد ألقى به فى السجن بعد أن و شى به بعض أعدائه وحساده و حينما خرج من السجن انزوى عن الناس . و من مولفاته « زينة الكتاب » فى فن الكتابة الذى لم يسلم من تصريف الدهر و كتاب « تاريخ آل سبكتكين » الذى هو الآخر لم يبق منه سوى قسم يعرف بالتاريخ المسعودى أو تاريخ البيهقي . و منهج البيهقي فى نقل الوقائع والاحداث و دقته فى استقصاء الامور و رجوعه الى الوثائق و المستندات الصحيحة قد أعطى لكتابه قيمة علمية كبيرة كما أن أسلوبه فى الكتابة و قوة و دقة تعبيره قد أضفى على الكتاب قيمة أدبية بالغة فى الادب الفارسى . و ترجم الاستاذ يحيى الخشاب بمساعدة المرحوم صادق نشأت تاريخ البيهقي الى اللغة العربية عام ١٩٥٦ ميلادى .

(٢) - انظر كتاب « فرخى سبستانى » للاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفى ص ١٨٠ و ما

بعدها

قائلا : «... و ابو العباس كان يبحث عما يرضى محموداً الغزنوى فى كل امر و يظهر تواضعا لاحد له .. » (١) ثم يشرح لنا بدقة كيف كان خوارزمشاه يقف فى مجلس الخمر و يامر حاشيته بالوقوف ايضاً ليذكروا الامير محموداً الغزنوى و يشربوا نخب صحته (٢) ثم يأتى البيرونى بنموذج آخر يصور فيه خوف ابى العباس من محمود الغزنوى فينقل لنا ان الخليفة العباسى القادر بالله (٣٨١-٤٢٢) ارسل الى ابى العباس خوارزمشاه بواسطة امير الحاج خلعة مع العهد واللواء مع لقب « عين الدولة » و « زين الملة » و يضيف البيرونى ان ابا العباس ارسلنى سراً الى رسول الخليفة ، قبل وصوله الى خوارزم لاستلم هدايا الخليفة العباسى لكى لا يعلم احد بها خوفاً من معرفة محمود الغزنوى بامر الرسول و يضيف .

« استلمت خفية هدايا الخليفة العباسى من رسوله و جئت بها الى خوارزم و سلمتها الى ابى العباس فامر باخفائها ؛ ولم يظهرها طالما استقام لهم الدهر و حينما حل الزمان الذى كان لابد من أن تضمحل فيه هذه الاسرة أظهروا عطايا الخليفة فكان ماكان وحدث ماحدث » (٣) .

يتبين لنا من هذه الواقعة مدى اعتماد أبى العباس خوارزمشاه على أبى الريحان لان إطلاع أبى الريحان على هذا السر الخطير و إرساله لمقابلة رسول الخليفة العباسى كتماناً لامره ، لا يدل إلا على ثقة أبى العباس الكبيرة بأبى الريحان كما يدلنا على اشتغال أبى الريحان بالامور السياسية الخطيرة إلى جانب اشتغاله بالعلم .

١ - انظر تاريخ البيهقى طبعة كلية الآداب بمشهد (دانشكده ادبيات مشهد) ص ٩٠٧

٢ - انظر المصدر نفسه ص ٩٠٨

٣ - انظر المصدر نفسه ص ٩٠٨

« ثم نقرأ أيضاً فى تاريخ البيهقى ، نقلاً عن أبى الريحان أن محموداً الغزنوى ، الذى كان يبحث - كما أشرنا - عن الحجج و الاعذار للايقاع بابى العباس ، طمعاً فى ملكه ، قال لوزيره أحمد بن حسن الميمندى : « ان ابا العباس خوارزمشاه لا يصدقنا فى نواياه ... » (١) فطلب الوزير منه أن يمنحه الفرصة لاختبار أبى العباس ، وشرح له خطة الاختبار ، فقبل محمود ذلك ، فأرسل الوزير من يوصل الى أبى العباس « انه إذا كان يرغب فى كف أطماع الناس عن ملكه فلماذا لا يخطب باسم السلطان ؟ (أى محمود الغزنوى) » و يضيف الوزير أنه يقول ذلك على سبيل اسداء النصيحة والسلطان لا يعلم عنها شيئاً . (٢)

و يحكى لنا ابو الريحان قائلاً : وحينما وصل هذا الكلام الى خوارزمشاه « أحضرنى و اختلى بى ثم أطلعنى على قول الوزير أحمد بن حسن الميمندى فى هذا الخصوص » (٣) فقلت له : « انس هذا الحديث ، أعرض عن العواء و لا تسمعها فما كل خطاب محوج الى جواب و اغتتم قول الوزير انه متبرع بهذا القول ، و أنه يسديه نصيحة منه ، و ان سلطانه لا يدري عنها شيئاً ، و اكنم هذا الحديث و لا تنفض به لأحد لأن فى الافضاء به شراً عظيماً . فقال خوارزمشاه ما هذا الذى تقول ، ان هذا كلام لا يقال بغير أمر السلطان و ليس محمود ممن يلعب معهم بمثل هذا ، و أخشى اذا لم أجعل الخطبة باسمه طوعاً أن يحملنى عليها كرهاً ، و الصواب أن نبعث سفيراً على عجل يتحدث الى الوزير فى هذا الأمر ، على نحو يحملهم على أن يطلبوا منا الخطبة بأنفسهم فتكون منة منا ، و لا يجوز أن نقهر على هذا ، فقلت الامر للامير » (٤)

١ - انظر تاريخ البيهقى ، طبعة كلية الاداب بمشهد ص ٩١١

٢ - انظر المصدر نفسه ص ٩١٠ - ٩١١

٣ - انظر المصدر نفسه ص ٩١١

٤ - انظر الترجمة العربية لتاريخ البيهقى ص ٧٣٧

كان ابو الريحان ، كما نلاحظ ، يعلم جيداً بأن قواد و رؤساء جيش ابي العباس خوارزمشاه لا يطيقون أن يذكر اسم محمود الغزنوي في الخطبة و اذا ما سمعوا بذلك فانهم سيثورون على ابي العباس ، و هو ما انتهى اليه الامر كما نعرف .

تدل هذه الحادثة بصورة أوضح على أن ابا العباس خوارزمشاه كان يختلي بأبي الريحان و يستشيره في الامور السياسية الهامة و يطلب منه الحلول لمشاكله ، و إن كان لم يأخذ برأى أبي الريحان الصائب بشأن الخطبة و أخيراً نرى أبا الريحان ، في الاحداث التي أدت إلى اضمحلال و انقراض أسرة خوارزمشاه المأمونية ، يحلّ موضع المستشار القريب و الرفيق الصديق لأبي العباس ؛ فقد كان يستميل قلوب قواد الجيش الذين لم يقبلوا بأى ثمن ذكر اسم محمود الغزنوي في الخطبة من جهة ؛ (١) و من جهة أخرى بذل جهوداً كبيرة لعقد حلف بين خانات تركستان و خوارزمشاه للوقوف بوجه محمود الغزنوي بعد أن اتضح له عداء محمود لأبي العباس (٢)

-
- ١ - انظر تاريخ البيهقي طبعة كلية الآداب بمشهد ص ٩١٣ - ٩١٤
- ٢ - يذكر ابو الريحان القصة بقوله : « قلت ان خانات تركستان ساخطون على الامير و هم أصدقاء للسلطان محمود و من الصعب التغلب على خصم واحد ، فاذا اتحد الخصمان فان أمر مقاومتهما يطول ، فلا بد من استمالة الخانيين فانهم اليوم مشغولون بحرب على حدود «اوزكند» وعلينا بذل الجهد لاقرار الصلح بين الخان والايلك بواسطة الامير ، فانهم سيقدرّون هذا كثيراً و يقبلون الصلح ، و يفيد الامير بذلك فائدة عظيمة ، و اذا تصالحوا فانهم لن يثيروا خصومة ابداً . قال : أرجى هذا حتى اتفكر فيه ، فقد أراد أن يظهر بأنه وحده صاحب هذه الفكرة ، ثم انه صمم على هذا الرأي و جدد فيه ، و بعث الرسل مع الهدايا الغالية حتى يتم الصلح بين المتقاتلين على يديه ، فاصطلحوا ، و حفظوا له هذا الجميل ، فقد كان حديثه أطيب أثراً في تهدئة الحرب من حديث السلطان محمود و أوفدوا اليه الرسل و قالوا له ان هذا الصلح من بركات اهتمامه و شفقتة ، و عقدوا معه العهد و تبادلوا و اياه الصلات ، فلما بلغ هذا الخبر السلطان محموداً أعمل فيه خياله و أساء الظن بكل من خوارزمشاه و خانات تركستان ، و سار حتى بلغ بلخ ، و بعث برسله معاتباً الخان والايلك عما جرى ... » انظر الترجمة العربية لتاريخ البيهقي ص ٧٣٩ - ٧٤٠

صحيح أن هذه التدابير لم تؤدّ إلى نتيجة مشمرة لكنّها تشير بوضوح إلى أنّ أباالريحان كان يلعب دوراً بارزاً في إدارة إمارة خوارزمشاه و تبين أيضاً أنّ أباالريحان كان العدو اللدود والخصم العنيد لمحمود الغزنوي في الجهاز السياسي لابي العباس .

فلا عجب إذن أن نرى محموداً الغزنوي يأسر أباالريحان ، بعد فتحه خوارزم ، و يرسله مع الاسرى والسجناء الآخرين الى غزنة (١) وهناك ، كما يقول ياقوت الحموي ، يقتل استاذَه ؛ عبد الصمد الاول بن عبد الصمد الحكيم بتهمة الكفر والقرمطة و يهّم بقتل أبيالريحان أيضاً و لكن شفاعة بعضهم له و قولهم بأنّه فريد عصره في علم النجوم و انه يصلح للعمل في البلاط ينقذه من مصيره المحتوم . (٢)

ان ماجاء في كتاب چهارمقاله (المقالات الاربعة) للعروضي (٣) حول معاملة محمود الغزنوي لابيالريحان يدل على حقّد محمود لهذا العلامة الكبير الذي لانظير له في عصره ، لأن ما يحاك حول حياة العظماء من أساطير ، لابد و أن تكون هناك رابطة بينها وبين حياتهم الحقيقية ؛ فقد جاء في كتاب چهارمقاله أنّ محموداً الغزنوي حينما وجد أنّ أباالريحان أجاب عن جميع أسئلته

١ - انظر . Encyclopedie de l' Islam T. 1. P. 1273-1275

٢ - انظر معجم الادبا الجزء ١٧ ص ١٨٦

٣ - هو ابو الحسن نظام الدين أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي وهو من شعراء وكتاب القرن السادس الهجري . ولد في سمرقند ثم سافر الى خراسان بعد اكتسابه العلوم والمعارف والتحق ببلط آل شنسب ومدحهم و الف كتابه المعروف بـ « چهارمقاله » باسم ابي الحسن حسام الدين علي بن فخر الدين مسعود الامير الغوري سنة ٥٥١ هـ و كتابه هذا الذي يشتمل على مقدمة في الحكمة و العلوم الطبيعية ثم على أربع مقالات في فن الكتابة و فن الشعر و علم النجوم و علم الطب له أهمية تاريخية و جغرافية و أدبية أيضاً .

باجابات صحيحة و دقيقة غضب عليه و أمر بالقائه من على سطح قصره . (١)
ولعل خوف أبي الريحان من حقد محمود هو الذي دفعه الى نصيحة الملوك بقوله :
« جلّ خطر الملوك عن المجازاة بانتقام و ليس للملك أن يحسد الاّ على
حسن التدبير والسياسة » (٢)

و لرب سائل يسأل لماذا انّ عالماً كأبي الريحان الذي وقف حياته ،
بصدق ، على العلم والمعرفة والذي رفض ترفعاً اقتراح شمس المعالي قابوس بن
وشمكير الذي اراد ان يسلم اليه شؤون مملكته ، (٣) لماذا ولاى سبب اشتغل
بالسياسة فى خوارزم الى هذا الحد ؟

و اوّل سبب نلتمسه لتدخل ابي الريحان فى سياسة خوارزم هو اعترافه
بالجميل و تقديره لمودة ابي العباس له و لاحترامه العلم و العلماء ؛ فكما نعلم
انّ ابا الحسن على بن المأمون خوارزمشاه و اخاه ابا العباس من بعده و وزيرهما
ابا الحسين السهلي او (السهيلي) كانوا من المحبين و الحماية للعلماء الكبار فى
بلاطهم كابن سينا و ابي نصر منصور بن على بن عراق و ابي سهل المسيحي
و ابي الريحان . (٤)

١ - انظر كتاب چهارمقاله (المقالات الاربعة) للعروضى طبعة الدكتور معين ، مقالة
النجوم ، الحكايتين الثانية والثالثة ص ٩١ و ما بعدها .

٢ - انظر المقدمة التى كتبها المستشرق زاخاو للآثار الباقية ص ١١ L ، و انظر
ايضاً ترجمة تنمة صوان الحكمة ، ملحق مجلة مهر طهران السنة الخامسة عام ١٩٤٠ ذيل
الحكيم ابو الريحان

٣ - جاء فى كتاب معجم الادباء مانصه : « ... و اما بناهة قدره و جلالة خطره
عند الملوك فقد بلغنى من حظوظه لديهم أن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه
لصحبته و يرتبطه فى داره على أن تكون له الامرة (الولاية) المطاعة فى جميع مايحويه ملكه
و يشتمل عليه ملكه فأبى عليه و لم يطاوعه و لما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه فى داره
و أنزله معه فى قصرة ... » انظر معجم الادباء الجزء ١٧ ص ١٨٢ .

٤ - أنظر « تاريخ ادبيات در ايران » للدكتور صفا ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

جاء فى تاريخ البيهقى قول أبى الريحان عن معاملة أبى العباس المأمون
ابن المأمون خوارزمشاه له كما يلى :

« ركب خوارزمشاه يوماً فرسه و هو يشرب الخمر فلما صار قريباً من
حجرتى أرسل فى طلبى فتأخرت قليلاً فى الحضور فساق فرسه حتى وصل إلى
باب حجرة نوبتى و أراد أن يترجل عن ظهر فرسه فقبلت الارض بين يديه
و أقسمت عليه أيماً مغلظة فلم يترجل و قال :

العلم من أشرف الولايات يأتیه كل الوری ولا یأتی

ثم قال : لولا الرسوم الدنياویة لما استدعيتك فالعلم یعلو ولا یعلی « (١)
و تكشف هذه القصة لنا النقاب عن مدى اهتمام خوارزمشاه بالعلماء
عامه و بأبى الريحان خاصة كما تبين عطفه و محبته له ، فمن الطبیعى إذن أن
نشاهد إنساناً كابى الريحان یهرع إلى مساعدة أبى العباس - صديقه و حامیه - فى
وقت الشدة والضيق و یبحث له عن حلّ للازمة التى حاقت به .

و هناك سبب منطقی آخر يبدو لنا لدفع أبى الريحان إلى تعاطیه السياسة
و هو ، أن عالمًا حکیمًا كابى الريحان لم یکن بمقدوره إلا أن یخالف سياسة
التعصب المذهبى الاعمى التى كان ینتهجها محمود الغزنوى فى حکمه ، تلك
السیاسة التى كانت تخالف العلوم العقلیة و تكنّ العداء و الحقد للعلماء (٢) ؛

١ - انظر تاریخ البيهقى طبعة كلية الاداب بمشهد ص ٩٠٩ . و ذکر یاقوت فى
معجم الادباء (الجزء ١٧ ص ١٧٢-١٨٣) كما یلى : «... و دخل خوارزمشاه يوماً و هو
یشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه (أى باستدعاء أبى الريحان) من الحجرة فأبطأ قليلاً
فتصور الامر على غیر صورته . و ثنى العنان نحوه و رام النزول فسبقه أبو الريحان الى البروز
و ناشده الله ألا یفعل فتمثل خوارزمشاه :

العلم من أشرف الولايات يأتیه كل الوری ولا یأتی

ثم قال : لولا الرسوم الدنياویة لما استدعيتك فالعلم یعلو ولا یعلی و كانه سمع هذا
فى أخبار المتضد »

٢- انظر کتاب «فرخى سیستانی» للاستاذ الدكتور یوسفى ص ١٧٠ و ما بعدها

فكان أبو الريحان يرى بأم عينه كيف كان محمود الغزنوي يسعى للقبض على الفيلسوف الاسلامي الكبير ابن سينا (١) ليقتله بتهمة الكفر والزندقة و كان يرى أيضاً بعين ذكائه ماسيؤول إليه مصير العلماء كأمثال عبد الصمد الاول بن عبد الصمد الحكيم (٢) و ابن فورك (٣) و أبي نصر منصور بن علي بن عراق (٤) و أبي عبد الله

١- انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور صفا ج ١ ص ٣٠٤

٢- يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء (الجزء ١٧ ص ١٨٦) :

« وحدثني بعض أهل الفضل أن السبب في مصيره (أي مصير أبي الريحان) الى غزنة أن السلطان محموداً لما استولى على خوارزم قبض عليه و على استاذه عبد الصمد الاول بن عبد الصمد الحكيم و اتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام و هم أن يلحق به أبو الريحان فساعدته فسحة الاجل بسبب خلصه من القتل وقيل له: انه امام وقته في علم النجوم و ان الملوك لا يستغنون عن مثله ... »

٣- ابن فورك هو الاستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ الاصفهاني، درس العلوم في العراق ثم ذهب الى الري و من هناك الى نيسابور حيث درس العلوم على جماعة من المتفقهة . له تصانيف متعددة في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن، قريبة من مائة مصنف، كما يقول ابن خلكان ، و « كان رجلاً صالحاً ، سمع الحديث ، و روى عنه أبو بكر البيهقي و أبو القاسم القشيري وغيرهما ، قتله محمود بن سبكتكين بالسم » كما يقول ابن تغري بردي . انظر وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٠٢ ، و النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠

٤- ينقل تاج الدين السبكي عن مقدمة لتاريخ خوارزم الذي ألفه صاحب الكافي ، جانباً من أخبار أبي نصر منصور بن علي بن عراق و يذكر أنه « كان مقيماً بقرية على باب البلد و له بها قصر مشيد ... » ثم يرجع علي ذكر مقتله على يد محمود الغزنوي فيقول : « وأبو نصر هذا هو الذي نزل عنده السلطان أبو القاسم محمود حين دخل خوارزم في ضيعته هذه فأضافه و أضاف جنده و لم يحتج في ضيافتهم الى احضار شيء من موضع آخر . قال وسمعت الثقات أنه أخرج لكل فرس كان معهم وقت العشاء مخلاة بالشعير و عذاران جديدان . قال غير أن السلطان اتهمه بسوء الاعتقاد فانه لم يرفى ضيعته مسجداً فلما دخل الجرجانية أمر بصلبه فصلب مع من صلب من المتهمين بسوء الاعتقاد في سنة ثمان و أربعمائة ... » . انظر طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٣٠٦

الفقيه المعصومي (١) الذين شربوا كأس الردى على يد محمود الغزنوى فيما بعد ؛ لهذا ، بذل البيرونى كل طاقاته وإمكاناته وسعى جاهداً فى سبيل صون خوارزم من براثن تعصب قوم قال فيهم الفردوسى الشاعر الايرانى الكبير :

«يبحثون عن ضرر الناس لتحقيق مآربهم ويأخذون من الدين عذراً» (٢) .
صحيح أن أباالريحان بقى حياً بعد فتح خوارزم وعاش سنوات عديدة فى بلاط غزنة ، واصل فيها دراساته العلمية وألف كتباً قيمة خلّده ولكن ، كما أوضح الاستاذ الدكتور ذبيح الله صفا فى كتابه القيم «تاريخ العلوم العقلية فى الحضارة الاسلامية» لم يحظ أبوالريحان فى بلاط محمود الغزنوى بحرية كافية وسط تلك البيئة المتعصبة ليعبر عن أفكاره و يبين عقائده . (٣)

ثانياً ، أبوالريحان الاديب :

مع أن أباالريحان كان مضطرباً فى النجوم والعلوم الرياضية والطبيعية والميادين العلمية الاخرى ، وقد كتب أكثر آثاره فى هذه المجالات ، الا أنه كان على جانب كبير من المعرفة باللغات المتعددة كالفارسية والعربية والسنسكريتية والعبرية والسريانية (٤) التى منحته ذوقاً لغوياً خاصاً نرى تأثيره فى اختياره

١ - هو أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن أحمد ، الفقيه المعصومى . كان من أشهر تلاميذ ابن سينا وأقوامه ونقل عن ابن سينا أنه قال فيه : « هو منى بمنزلة أرسطو من أفلاطون » وقد ألف أستاذه ، ابن سينا « رسالة العشق » باسمه برجاء منه وكان المعصومى واحداً ممن قتلهم محمود الغزنوى . انظر « تاريخ علوم عقلية » للدكتور صفا ج ١ ص ٢٩١

٢ - اشارة الى بيت الفردوسى المشهور :

بجویند و دین اندر آرند پیش
پهیمان کسان از پی سود خویش

٣ - انظر كتاب « تاريخ علوم عقلية » للدكتور صفا ج ١ ص ٢٨٢

٤ - انظر كتاب « شرح احوال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ١٩

الكلمات الدقيقة والعبارات الرصينة وفي أسلوبه التعبيرى الدقيق الذى ظهر فى كتاباته وترجماته ؛ و بالاضافة الى ذلك لابی الريحان تصانيف أدبية رائعة ارتفعت به الى عداد الادباء الكبار . فلاعجب أن نرى ياقوتاً الحموى يأتى بترجمته فى كتابه معجم الادباء و يذكر سبب ذلك بقوله :

«... انما ذكرته أناهنا لانّ الرجل كان أديباً أريباً لغوياً له تصانيف فى ذلك» (١) ثم يشير ياقوت الى كتب أبى الريحان الادبية و التى شاهدها بنفسه فيقول :

«رأيت أنا منها كتاب شرح شعر أبى تمام ، رأيت به بخطه لم يتممه ، كتاب التعلل باحالة الوهم فى معانى نظم اولى الفضل ، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود و أخبار أبيه ، كتاب المسامرة فى أخبار خوارزم ، كتاب مختار الاشعار والآثار» (٢)

إنّ كتابة شرح على شعر شاعر ، صعب الاسلوب ، معقد الخيال ؛ كأبى تمام ، لا يدل إلاّ على وسعة الاطلاع والمعرفة بخفايا و دقائق الشعر العربى كما أنّ تأليف منتخب من زبدة النظم و النثر العربى (كتاب مختار الاشعار والآثار) يوضح لنا مدى اطلاع و ذوق وحب أبى الريحان للادب العربى . والطريف أنه كان يقرض الشعر بالعربية أحياناً و كان يقول بعض أبيات فى مناسبات مختلفة .

فمن شعره قوله ردّاً على شاعر جاء يمدحه متملقاً فينتفض أبو الريحان ويرد عليه بعنف مستكراً الفخر بالآباء و مستهزئاً به ويستعمل فى ذلك كلمات ركيكة المعنى إمعاناً فى السخرية :

١- انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٥

٢- انظر المصدر نفسه

يا شاعراً جاء نبي يخرى على الأدب
وجدته ضارطاً في لحيته سفهاً
و ذاكرراً في قوافي شعره حسبي
إذلت أعرف جدى حق معرفة
إنى أبولهب شيخ بلا أدب
والمدح والذم عندي يا أبا حسن
فأعفنى عنها لا تشغل بهما
وافى ليمدحنى والذم من أدبى
كلاً فلحيته عشونها ذنبى
ولست والله حقاً عارفاً نسبى
وكيف أعرف جدى إذ جهلت أبى
نعم ، و والدتى حمالة الحطب
سيان مثل استواء الجد واللعب
بالله لا توقعن مفساك فى التعب (١)

و يرى أن المجد الحقيقى لا يُكتسب إلا ببذل الجهود

و من حاتم حول المجد غير مجاهد
و بات قريراً العين فى ظل راحة
و يرى أن طلب العلم لا ينبغي أن يكون ذريعة للتقاعس عن الدفاع؛
و صنعة الجناس الشعرية واضحة فى البيتين

فلا يغرك منى لين مس
فانى أسرع الثقلين طراً
تراه فى دروس و اقتباس
إلى خوض الردى فى وقت باس (٣)
و يقول فى علاقاته بالملوك ومعاملتهم له :

مضى أكثر الأيام فى ظل نعمة
فألق عراق قد غذونى بدرهم
و شمس المعالى كان يرتاد خدمتى
و أولاد مأمون و منهم عليهم
على رتب فيها علوت كراسيا
و منصور منهم قد تولى غراسيا
على نفرة منى و قد كان قاسيا
تبدى بصنع صار للحال آسيا

١ - انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٩

٢ - انظر المصدر نفسه

٣ - انظر المصدر نفسه

و آخرهم مأمون رفّه حالتي
و لم ينقبض محمود عنى بنعمة
عفا عن جهالاتي و أبدى تكّرمًا
عفاءً على دنيائى بعد فراقهم
ولمّا مضوا واعتصمت منهم عصابة
و خلّفت فى غزنين لحنًا كمضغة
فأبدلت أقوامًا و ليسوا كمثلهم
بجهد شأوتُ الجبالين ائمة
فما برکوا للبحث عند معالم
فسائل بمقدارى هنودًا بمشرق
فلم ينهم عن شكر جهدى نفاسة
أبو الفتح فى دنيائى مالک ربقتى
فلا زال للدين و للدين عامرًا

و نوّه باسمى ثم رأس راسيا
فاغنى واقنى مغضيا عن مكاسيا
و طرّى بجاه رونقى و لباسيا
و واحزنى إن لم أزرقبلُ آسيا
دعوا بالتناسى فاغتمت التناسيا
على وضم للظير للعلم ناسيا
معاذ الهى أن يكونوا سواسيا
فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا
و لا احتسبوا فى عقدة كاحتباسيا
و بالغرب من قدقاس قدر عماسيا
بل اعترفوا طرّا و عافوا انتكاسيا
فهات بذكراه الحميدة كاسيا
ولا زال فيها للغواة مواسيا (١)

و يبدو أن رأى ياقوت فى شاعرية أبى الريحان رأى صائب حيث قال :

« ... وكان يقول شعراً إن لم يكن فى الطبقة العليا فأنّه من مثله حسن. » (٢)

ومن أعماله الأدبية الأخرى ترجمته لعدة قصص فارسية إلى اللغة العربية
منها قصة « شادبهر و عين الحياة » التى سماها بـ « قسيم السرور و عين الحياة »
و قصة « سرخ بت و خنك بت » ؛ و هى حكاية تدور حول صنمى الباميان
الواقعة فى بلخ و قد سماها بـ « حديث صنمى الباميان » و الجدير بالذكر أن
العنصرى الشاعر الفارسى نظم هاتين القصتين كما يقول العوفى فى كتابه

١ - انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٦

٢ - انظر المصدر نفسه

لباب الألباب (١)

لم يحفظ لنا الزمن من تصانيف و مؤلفات أبي الريحان الفارسية سوى كتابه القيم (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) إلا أن هذا السفر الفريد يوضح لنا معرفة الأستاذ أبي الريحان بدقائق و خصائص اللغة الفارسية و خاصة فيما يتعلق باستعماله المفردات و المصطلحات الدقيقة المقابلة للمصطلحات العلمية العربية و كتابه هذا يُعدّ مصدر أغنياً للمصطلحات و المفردات العلمية الفارسية ، و في الحقيقة ، أن بعض المصطلحات التي اختارها أبو الريحان بدلاً من المصطلحات العلمية العربية تصل إلى درجة من السهولة و الوضوح يتقبلها الذوق الفارسي لأول وهلة و يفهم القارئ معناها و ربما عاهد نفسه على استعمالها . (٢)

ونرى من المناسب أن نختم بحث أبي الريحان الأديب بما ذكره الأستاذ العلامة جلال الدين همائي في مقدمته لكتاب التفهيم هذا :

« كان أبو الريحان أستاذاً ماهراً في اللغتين الفارسية و العربية و كان أبلغ و أفصح علماء عصره في الكتابة بهاتين اللغتين ، إن إحاطته بدقائق اللغتين الفارسية و العربية ، و ان لم يكن له فضل سواه ، تكفي لوضعه في مصاف الأدباء الكبار العرب و الفرس و جعله مفخرة من مفاخرنا القومية ؛ فما بالك

١ - انظر كتاب « تاريخ ادبيات در ايران » ج ١ ص ٦٥

٢ - كنموذج لتلك المصطلحات نورد بعضاً منها :

- « بيسار پهلو » بدلا من « كثير الاضلاع » المستعمل في الفارسية

- « بيمارناك » بدلا من « عليل المزاج » المستعمل في الفارسية

- « اندام بريده » بدلا من « مقطوع الاعضاء » المستعمل في الفارسية

- « برسو » بدلا من « سمت فوقاني » (الجهة العليا) المستعمل في الفارسية

- « بايستها » بدلا من « الشروط اللازمة » .

انظر مقدمة الاستاذ جلال الدين همائي لكتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم

به و قد جمع فى شخصيته الفريدة كثيراً من العلوم والفضائل » (١)

ثالثاً ، أبو الريحان العالم

كان أبو الريحان ، بلاشك ، أعمق العلماء الاسلاميين وأكثرهم ابداعاً خلال القرون الوسطى ، (٢) فقد كان متبحراً فى مختلف العلوم كالحساب والهندسة والنجوم والطبيعات والفيزياء والجغرافيا والتاريخ ويمتاز خاصة بكونه ناظراً محايداً لا داب و تقاليد و معتقدات الأمم الأخرى. فلا غرو أن منحه معاصروه لقب الأستاذ . أو الأستاذ الرئيس (٣)

كان كتابه التفهيم يعد منذ تأليفه و إلى عهد قريب مصدراً مهماً لعلوم الحساب والهندسة والهيئة والنجوم حتى أن أغلب العلماء الذين ألفوا فى هذه الميادين اقتبسوا منه معلوماتهم أو قلّدوه (٤)

و قد بدأ النظامى العروضى مقالة النجوم فى كتابه الشهير « چهار مقالة » باسم أبى الريحان كما نقل شروط المنجم عن كتاب التفهيم . (٥)

أما كتاب أبى الريحان « القانون المسعودى » الذى يبحث فى النجوم والرياضيات فقد نال شهرة و اعتباراً لانظير لهما . فيقول ياقوت الحموى

١ - انظر مقدمة الاستاذ همائى لكتاب التفهيم ص (كو)

٢ - يصفه المستشرق الكبير كارل بروكلمان بقوله: «...فى السنوات الاخيرة من حياته (أى حياة محمود الزنوى) كان فى خدمته عالم عصره العظيم و أحد كبار العلماء فى الدنيا الاسلامية برهتها ، ابو الريحان البيرونى ..» انظر « تاريخ الشعوب الاسلامية » الترجمة العربية ج ٢ ص ١٢١

٣ - كان تلميذه الحكيم اللببى يسميه بالاستاذ الرئيس . انظر مقدمة زاخاو

لكتاب الآثار الباقية ص LXX

٤ - انظر مقدمة الاستاذ جلال الدين همائى لكتاب التفهيم ص (ما) و ما بعدها .

٥ - انظر كتاب « چهار مقالة » بتحقيق المرحوم الدكتور معين ص ٨٧

و اصفافً الكتاب :

« ... و كتابه المترجم بالقانون المسعودى يُعَقِّى (يغطى) على أثر كل

كتاب صنف فى التنجيم أو الحساب » (١)

و يرى البروفيسور هنرى كوربن أن كتاب أبى الريحان هذا ، (القانون المسعودى) ، فى الهيئة و النجوم ، يوازى كتاب القانون لابن سينا فى الطب ؛ و لو ترجم الكتاب المذكور الى اللاتينية ككتاب القانون لابن سينا لحظى بنفس الشهرة و الاهتمام فى الغرب . (٢)

كما يرى آلدوميلى أن هذا الكتاب يعتبر دائرة معارف ذات قيمة حقيقية تشتمل على معلومات جديدة حقاً . (٣)

ان مؤلفات أبى الريحان فى الهيئة و النجوم كثيرة جداً بحيث ان قسماً منها لم يدرس بعد دراسةً دقيقة إلا أن بعض المستشرقين من أمثال نالينو (Nallino) و شوى (Schoy) و ويدمان (Widmann) فى بداية قرننا الحاضر درسوا بعض كتب أبى الريحان فى النجوم دراسة عميقة (٤)

إن آراء أبى الريحان العلمية التى تدل على عبقرية الفذة لتثير عجب من لا ينسى أنه عاش قبل عشرة قرون . فمع أنه كان فى عداد الذين اعتقدوا بمركزية الأرض إلا أنه كان على علم بالنظرية المخالفة لها و القائلة بأن الشمس هى مركز السيارات و الأرض جرم يدور حولها ؛ و بيّن أن ردّ هذه النظرية أمر صعب للغاية (٥)

١ - انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٥

٢ - انظر Histoire de la Philosophie Islamique / P . 209
٣ - انظر la Sience Arabe et son role dans l'evolution
scientifique mondiale . p.98

٤ - انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» للدكتور نصر ص ١٨٠

٥ - انظر كتاب «شرح حال نابغه شهير ايران» للعلامة دهخدا ص ١٢

لئن كان الاستاذ الدكتور نصر يذكر فى كتابه عقائد مفكرى الاسلام فى الطبيعة ؛ أن أبا الريحان ، كما يبدو كان مردداً فى اختيار احدى النظريتين حتى آخر عمره (١) فاننا نرى من الممكن أن ابا الريحان لم يبد برأيه الحقيقى صراحةً فى الموضوع خوفاً من المتعصبين . ولعل نقل عين ما ذكره أبو الريحان نفسه بهذا الشأن يبين لنا رأيه الحقيقى بوضوح فهو يقول :

« وقد رأيت لابی السعيد السجزي اسطرلاباً من نوع واحد بسيط غير مركب من شمالي و جنوبى سمّاه الزورقى فاستحسنته جداً لاختراعه اياه على أصل قائم بذاته مما ^{يستحق} يعتقده بعض الناس من أن الحركة المروثة من الارض دون الفلك ولعمري هو شبهة عسرة التحليل صعبة المحق ليس للمعولين على الخطوط المساحية من نقضها شىء ... » (٢) .

انّ ميزة أبى الريحان الكبرى فى أعماله العلمية هى دقة نظره العجيبة فى الدراسات والتحقيقات التى قام بها :

فنراه فى دراساته وأبحاثه حول النجوم و الطبيعيات والجغرافيا، يعتمد فى تجاربه على الملاحظة العلمية بدلاً من قبول عقائد القدماء تعبداً و بهذا استطاع أن يحقق نتائج عجيبة فى هذه الميادين فمثلاً أثبت فى كتابه «تحقيق ما للهند ...» بطريق الاستدلال المبنى على الملاحظة الدقيقة أن صخور وادى الهند هى صخور رسوبية (٣) .

كما أدرك أنّ تغيرات كبرى قد طرأت على سطح الارض كاستحالة البحر الى اليابسة وبالعكس وأنّ بعض هذه التغيرات قد تعود الى قبل وجود

١- انظر «نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت» للدكتور نصر ص ١٨٥

٢- نقل العلامة دهخدا النص عن كتاب الاستيعاب لابی الريحان . انظر « شرح حال

نابغه شهير ايران » ص ١٢

٣ - انظر «تحقيق ما للهند»، طبعة حيدرآباد سنة ١٩٥٨ م ص ١٥٧

الانسان . (١)

وأدرك أيضاً أن المتحجرات (Fossiles) ، التي بقيت مجهولة في

أو ربما حتى عصر النهضة ، هي بقايا حيوانات بحرية (٢)

ومن دقة نظر أبي الريحان العلمية هذه ؛ يأتي شكّه في صحة بعض القواعد

التي وضعها أرسطو في الطبيعيات ؛ فـؤاله السادس الذي وجهه إلى ابن سينا

هو نموذج واضح لدقة نظره في ملاحظاته العلمية :

« اذا كنا قد قررنا ان وجود الفراغ « الخلاء » خارج و داخل العالم أمر

مستحيل فلماذا اذاً نشاهد صعود الماء في قنينة مفرغة من الهواء « ممصوصة »

حينما نغطسها وهي مقلوبة في الماء ؟ » (٣) .

لا يكتفى أبو الريحان في دراساته العلمية بالملاحظة فقط وانما يقوم بالتجربة

العلمية و القياس أيضاً وبعبارة أخرى يستخدم علمه في الرياضيات في دراساته

للطبيعة وتجاربه الفيزيائية ؛ فمثلاً يستخدم علومه الرياضية في تحقيقاته ودراساته

الجغرافية لقياس محيط الارض وبهذا يعدّ بحق المؤسس الاول لعلم المساحة

(Gèodesie) .

ولاجل الحصول على قياس لمحيط الارض اخترع طريقة فريدة من

نوعها تتلخص في صعود قمة جبل مشرف على بحر أو برية ملساء و رصد

١ - جاء في كتاب تحديد نهايات الاماكن : « وعلى مثله ينقل البحر الى البر والبر

الى البحر في أذمنة ان كانت قبل كون الناس في العالم فغير ملموسة وان كانت بعده فغير محفوظة

لان الاخبار تنقطع اذا طال عليها الامد و خاصة في الاشياء الكائنة جرواً بعد جرو »

انظر كتاب « نظر متفكران اسلامي در باره طبيعت » ص ١٩٩

٢ - نقل الاستاذ الدكتور نصر ماكنبه ابو الريحان في هذا الموضوع عن كتاب

« تحديد نهايات الاماكن .. » الفسخة الخطية للسلطان الفاتح استانبول رقم ٣٣٨٦

انظر كتاب « نظر متفكران اسلامي در باره طبيعت » ص ٢٠٠

٣ - انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٥٧

غروب الشمس ثم اجراء سلسلة من العمليات الحسابية (١) و لما لم تكن عنده
المعدات الهندسية الكافية فى جرجان ، لذا ، فانه لم يحصل على نتيجة
من هذه التجربة ولكنه لم يأس من عمله هذا ولم يترك نظريته الجديدة تلك ،
بل قام بعد عشر سنوات ، بالتجربة ذاتها فى الهند وحصل على نتيجة مرضية
كما يقول فى كتابه « تحديد نهايات الاماكن » (٢) . و لو كانت الارض كرة
هندسية ولم تكن بيضوية الشكل لما وجدنا أى فارق بين الارقام التى حصل عليها
أبو الريحان والتى نحصل عليها اليوم (٣) .

١ - ذكر المستشرق الايطالى السينيور كرلونينو طريقة أبى الريحان تلك نقلا عن
كتابه المسمى «فى الاسطراب ..» ص ٤٣ ب من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة برلين عدد
٥٧٩٤ من الفهرست المطبوع كمايلى : «... و فى معرفة ذلك طريق قائم فى الوهم صحيح
بالبرهان والوصول الى عمله صعب لصغر الاسطراب و قلة مقدار الشئ الذى يبنى عليه فيه و
هو أن تصعد جبلا مشرفاً على بحر أو برية ملساء وترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه
من الانحطاط ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل و تضربه فى الجيب المستوى لتمام الانحطاط
الموجود و تقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب
ضعف ما خرج من القسمة فى اثنين وعشرين أبداً و تقسم المبلغ على سبعة فيخرج
مقدار احاطة الارض بالمقدار الذى به قدرت عمود الجبل . ولم يقع لنا بهذا الانحطاط
و كميته فى المواضع العالية تجربة . و جراًنا على ذكر هذا الطريق ما حكاه ابو العباس
النيريزى عن ارسطولس أن أطول أعمدة الجبال خمسة أميال و نصف بالمقدار الذى به نصف
قطر الارض ثلاثة آلاف و مائتا ميل بالتقريب فان الحساب يقضى لهذه المقدمة أن يوجد
الانحطاط فى الجبل الذى عموده هذا القدر ثلاث درجات بالتقريب . و الى التجربة يلتجأ
فى مثل هذه الاشياء و على الامتحان فيها يعول و ما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم »
انظر كتاب «علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى » طبعة روما سنة ١٩١١ م ، ص
٢٩٠ - ٢٩١ . و الجدير بالذكر أن نالينويسير الى أن كتاب البيرونى « فى الاسطراب »
هو غير كتابه « استيعاب الوجوه الممكنة فى صناعة الاصطراب » .

٢ - انظر كتاب « نظر متفكران اسلامى در باره طبيعت » ص ١٧٦

٣ - انظر المصدر نفسه ص ١٧٧

ومن النماذج الاخرى لاستفادة البيروني من القياسات طريقته في الحصول على الاوزان النوعية للاجسام وهي أنه وزن جسماً في الهواء ثم وزنه في الماء فوجد أن اختلاف الوزنين يساوي وزن الماء المساوي حجمه لحجم الجسم و بهذه الطريقة عيّن الوزن النوعي لتسعة معادن بالنسبة إلى الذهب و لتسعة جواهر بالنسبة إلى الياقوت و قد ذكر ذلك في كتابه « الجواهر في معرفة الجواهر » (١)

و الجدير بالذكر أن تلك الأوزان النوعية لا تختلف عن الاوزان المعتمد عليها اليوم إلاّ في أعشار المرتبة الثالثة .

أدرك البيروني خاصية الأواني المستطرقة الفيزيائية (٢) كما تحدّث في كتابه « الآثار الباقية » عن الآبار التي نسميها اليوم بالآبار الارتوازية قائلاً :

١ - انظر كتاب «نظر متفكران اسلامي در باده طبيعت» ص ١٧٨ و انظر

J . J . Clement - Mullet ' (Pesenteur Spécifique de diverses substances minerales, Procédé Pour l'Obtenir d'apres Abou' L - Raihân Al - Bîrouny) Journal Asiatique(5) vol ' 11 ' 1858'P'384 .

و انظر Aldo Mieli (La Science arabe et son role dans l'evolution scientifique mondiale) P'99

طبعة ليدن عام ١٩٣٦

٢ - تحدّث البيروني في الآثار الباقية عن هذه الخاصية شارحاً الآلة التي تسمى «سارقة الماء» بقوله : «... فانك اذا ملاتهاماء و وضعت كلا طرفيها في آنيتين سطح مافيها من الماء سطح واحد فان الذي فيها من الماء يقف ولو دهرأ لا ينصب الى احدي الآنيتين لانها ليست بأولى من الاخرى و لا يمكن أن يتكافأ الانصباب الى الآنيتين كليهما لان الآلة تخلو حينئذ والخلا اما غير موجود ، كما عليه بعض الفلاسفة ، واما موجود ممسك للاجسام ، كما عليه بعضهم ، فاذا كان ممتنع الوجود لم يوجد واذا كان ممسكاً للاجسام أمسك الماء ولم يتركه يسيل الا بعد أن يبادل جسم آخر ثم اذا صير أحد طرفيها في موضع أسفل قليلا سال اليه ما في الآنية ...» انظر الآثار الباقية ص ٢٦٢ - ٢٦٣

« ... فان من مياه الآبار ما يجتمع بالشرح من الجوانب فذلك لا يصعد و يكون مأخذها من المياه القريبة إليها ، و سطوح ما يجتمع منها موازية لتلك المياه التي هي مادتها و منها ما يفور في القعر فذلك هو المرجو الممكن أن يفور إلى الأرض و يجرى على وجهها و أكثر ما يوجد هذا في الأرضين القريبة من جبال بحيث لا يتوسطها بحيرات ولا أنهار مياه عميقة فاذا كان مأخذها من خزانة أعلى من سطح الأرض صعد الماء بالفوران إذا حُصر ، وإن كانت خزانته أسفل لم يتم ارتفاعه إليها و لم ينجح و ربما كانت الخزانة أعلى بألوف أذرع في جبال فيمكن أن يصعد إلى القلاع و رؤوس المنارات مثلاً... » (١)

و يرى البيروني أن الضوء جسم ، بينما اعتد أرسطو ، وتبعه ابن سينا في رأيه ، بأن الضوء جزء من الملزمات الذاتية للأجسام الشفافة ؛ و من الواضح أن نظرية أبي الريحان هذه ، أقرب إلى النظريات العلمية الحديثة الصحيحة . (٢)

لم يكن أبو الريحان ، بعقليته العلمية الناقدة ليستسلم أبداً للمعتقدات العامة و لم يكن يقبل شيئاً إلا بعد أن يُجرب به و يحلله تحليلًا علمياً بنفسه ؛ فمثلاً نراه يرفض الرأي العامي القائل : « ... إن في السادس (من شهر كانون الآخر) ساعة تعذب فيها جميع مياه الأرض المالححة .. » (٣) و يُفنّد هذا الزعم بعد تحليل علمي قائلاً :

« ... و الأعراض الموجودة في المياه إنما هي على حسب الأماكن من الأرض التي تنحصر فيها إن كانت راكدة و التي تجري عليها إن كانت جارية و هي لازمة لها غير متغيرة إلا على مراتب الاستحالات من التدرج

١ - انظر الآثار الباقية ص ٢٦٣

٢ - انظر « تاريخ علوم عقلی ... » للدكتور صفا ج ١ ص ٢٨٦

٣ - انظر الآثار الباقية ص ٢٥٠

بالوسائط ، فلا وجه لما ذكره من كون المياه عذبة في تلك الساعة والتجربة المتوالية في أناة الزمان ستظهر للمجرب كذب ذلك ...» (١)

و كذلك يرفض في كتابه « الجماهر في معرفة الجواهر » الرأى العامى حول الشروط المناسبة لتكون اللؤلؤ ، فيشك في هذا الزعم بقوله : « وهذا الباب المقصود فيما بلغناه شبيه بما عليه أصحاب الكيمياء ؛ لا شاهد عليه سوى الامتحان و لادليل يؤدي اليه غير التجربة...» (٢)

لقد عانى البيرونى في الطب والصيدلة أيضاً الشيء الكثير و جمع نتائج دراساته وأتعبه في كتابه الشهير « الصيدلة » أو « الصيدنة في الطب » إذ ذكر فيه خصائص العقاقير والأدوية وأسماءها وآراء وأقوال الأطباء القدماء حولها . (٣)

و كان ابو الريحان مولعاً في الأبحاث و الدراسات التاريخية و دراسة الأديان والمعتقدات والآداب والتقاليد لمختلف الأمم وكان يقارن بينها؛ فنراه في كتابه « ماللهند ... » يقارن بين عقائد الهنود و عقائد الأمم الأخرى كاليهود والنصارى والمسلمين (٤) كما نراه في « الآثار الباقية » يقارن بين آداب و تقاليد الأمم المختلفة و بذلك يُعدّ من أقدم العلماء الذين قاموا بالمقارنة بين المعتقدات الدينية والعادات والرسوم لدى الأمم المتباينة .

١ - انظر الآثار الباقية ص ٢٥٠

٢ - انظر « الجماهر في معرفة الجواهر » طبعة حيدرآباد ص ١٣٥

٣- ذكر ابن أبى أصيبعة في كتابه عيون الأنباء كتاب الصيدلة للبيرونى و قال : « ... كتاب الصيدلة في الطب استقصى فيه معرفة ما هيأت الادوية و معرفة أسمائها و اختلاف آراء المتقدمين و ما تكلم كل واحد من الأطباء و غيرهم فيه و قدرته على حروف المعجم » انظر عيون الأنباء ج ٣ القسم الاول ص ٢٩ ، طبعة بيروت

٤- انظر ماللهند ص ٢٧ و ما بعدها

إنّ ماحققة البيروني من دراسات حول الاديان الماسونية و الزرادشتية و اليهودية و المسيحية و البرهمانية و خاصةً في ما نقله عن كتب الدين البرهماني قد أعطى مؤلفاته قيمة علمية بالغة .

يعتقد البروفيسور زاخاتو في المقدمة التي كتبها لكتاب «تحقيق ماللهند...» أنّ هذا الكتاب بمثابة رسالة تحقيقية و علمية كما نفهمها اليوم ؛ أو دائرة معارف قيّمة لمعرفة التأريخ القديم (١)

انّ تسمية الكتاب نفسها بهذا العنوان الطويل :

« تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » لدليل على دقة نظر البيروني و حياده في البحوث العلمية وحبّه لاستقصاء الحقائق و حدها ، كما يرى البروفيسور زاخاتو (٢) . ذلك ، لانه يحكي لنا بحياد تام (٣) كل ما شاهده و سمعه و قرأه في باب علوم الهنود (٤) و عقائدهم و آدابهم و تقاليدهم سواء

١ - انظر ترجمة المقدمة بالفارسية في كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة

دهخدا ص ٦٩

٢- انظر المصدر نفسه

٣- يشير الى منهجه الحيادي في كتابه « تحقيق ماللهند... » قائلا :

« ... و ليس الكتاب كتاب حجاج و جدل حتى أستعمل فيه يايراد حجج الخصوم و مناقضة الزائغ منهم عن الحق ، و انما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه و أضيف اليه مالىونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم .. » انظر « تحقيق ماللهند » ص ٥ طبعة حيدرآباد

٤- اهتم ابوالريحان بكتاب « السندهند » (سيد هانتا) المشهور الذي يبحث في الرياضيات ، أكثر من أى عالم اسلامي آخر و نتيجة لذلك ألف كتاب «جوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم » ، (انظر هامش ص ١٥ من كتابنا هذا) ، كما أنه ترجم الى العربية كتابين للعالم الرياضى الهندى الشهير « و راهاميهيرا » الذي كان يعيش في القرن السادس الميلادي و الذي كان يعتقد بكونية الارض . (انظر « تاريخ علوم عقلى .. » للدكتور صفا ج ١ ص ١١٢ - ١١٣) و من الواضح أن لهذه التأليفات و الترجمات دوراً هاماً في تقدم العلوم الاسلامية و تطورها .

كان مقبولاّ أو مردولا ، و يحلّل لنا الامور بذوقه الرياضى والفلسفى بصورة تنفق و روح عصرنا الانتقادية فتجلب اعتمادنا و تثير اعجابنا .

لقد زار بلاد الهند الواسعة ، منذ قديم الزمان ، و قبل البيرونى بقرون عديدة سائحون آخرون و كتب كل منهم تقريراً حول مشاهداته لبلاد الهند وشعبها و قبل البيرونى بأربعمائة عام زار بلاذ الهند رجل الدين الصينى هون تسانك

(Hwentsang) و ألف كتاباً ضمنه ماشاهد و سمع فى تلك البلاد (١)

ان كتابات هولاء السائحين على جانب كبير من الاهمية لمعرفة الهند ، الاّ أن قيمة عمل البيرونى العلمية ؛ لاتقاس بتلك الكتابات مطلقاً ، كما يعتقد العلماء الاوربيون (٢) .

يقول البروفيسور زاخائو نقلاً عن بوهلر (Buhler) اكبر الاساتذة الاوربيين و اختصاصيهم فى معرفة أحوال الهند :

« ان الكتابات اليونانية و مانقله السائحون الصينيون ، أمام كتاب البيرونى يشبه تماماً كتب الاطفال و مسودّات عامة الناس و الخرافيين منهم و الذين وقعوا فى عالم ملوّى بالعجائب فأصيبوا بالحيرة و العجب مما شاهدوه و لم يستطيعوا أن يدركوا من الحقائق الاّ الشىء اليسير ! » (٣)

و يقول زاخائو أيضاً حول فضل أبى الريحان على الهنود و ما قدّمه لهم من خدمة :

« اذا كان للمسلمين الحق فى أن يفتخروا بأبى الريحان فعلى الهنود أيضاً أن يعدّوا وجوده لهم العطية الكبرى التى استطاعت أن تصوّر ثقافتهم

١ - انظر الترجمة الفارسية لمقدمة زاخائو ، فى كتاب «شرح حال نابغه شهير ايران» للعلامة دهخدا ص ٦٨

٢ - انظر المصدر نفسه

٣ - انظر المصدر نفسه ص ٦٨-٦٩

أجدادهم بحياد تام» (١)

و صفوة القول : ان اباالريحان كان رجل علم حقاً ، وقف حياته كلها على الدراسة و البحث و التأليف و الترجمة ؛ فنراه من خلال نشاطاته العلمية يشعر بمسؤولية تجعله يخدم العلم خدمة حقيقية ؛ فان رأى ، مثلاً ، كتاباً أُلّف بأسلوب غامض يصعب فهمه على الباحثين ، يعمد الى كتابته بلغة يفهما الجميع (٢) وان رأى ظملاً حاق بعالم لا بدائه رأياً صحيحاً جهد نفسه لرد الظلم عنه بتأليف كتاب يفند مزاعم الخصم (٣) وان رأى كتاباً علمياً لم تكتمل فصوله أو خالطته الاخطاء يشمر عن ساعد الجدل لاكماله و اصلاحه . (٤)

و لعل من أجمع مميزاته ، فى دراساته العلمية ، مواصلته المستمرة للعمل و عدم استسلامه لعقائد و آراء القدماء . فقد علّم باحثى العلم أن يعتمدوا ، فى دراساتهم العلمية ، على الملاحظة و التجربة بدلاً من قبول آراء القدماء بصورة عمياء و بذلك قد سبق « بيكن » و « ديكرت » بقرون عديدة . و قد حقق

١ - انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٧٠

٢ - ذكر ابوالريحان فى فهرسته لكتب الرازى :

« و - و هذبت زيج الاركند و جعلته بألفاظى اذ كانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة و الفاظ الهند فيها لحالها متروكة » راجع هامش ص ١٥ من كتابنا هذا

٣ - اشار ابوالريحان الى ذلك بقوله :

« و عمل أبوطلحة الطبيب فى ذلك (زيج الخوارزمى) شيئاً يوجب مناقضته ، فعملت ابطال البهتان بايراد البرهان على أعمال الخوارزمى فى زيجه .. » كما أشار الى توسطه بين آراء ابي الحسن الاهوازى و الخوارزمى بتأليفه كتاب الوساطة . راجع هامش ص ١٥ من كتابنا هذا

٤ - تحدث عن ذلك قائلاً :

« د - و عملت كتاباً سميته بتكميل زيج حبش بالعلل و تهذيب أعماله من الزلل ... »

انظر هامش ص ١٥ من كتابنا هذا

بما حباه الله من عبقرية و ذكاء وباستخدامه منهجه العلمى هذا ، نتائج باهرة فى دراساته العلمية ، و لهذا كله فانّ اباالريحان من حيث دقة نظره و اعتماده فى البحوث على الملاحظة و التجربة يُعدّ من الوجوه اللامعة النادرة و لم ير العلم مثيله الا نادراً ، فلا عجب اذن ، أن يعتبره من تعرض لدراسته أكبر العلماء الاسلاميين . (١)

رابعاً ، ابوالريحان الفيلسوف :

هل كان أبوالريحان فيلسوفاً حقاً ؟ الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى شىء من الدقة والتمحيص لأننا نراه يوجّه أسئلة إلى فيلسوف عصره الشهير ابن سينا تتضمن اعتراضات على آراء أرسطو الفلسفية من ناحية و نرى أباالحسن على بن زيد البيهقي ، من ناحية أخرى ؛ يأخذ عليه خوضه فى مثل هذه المواضيع بقوله :

« ... و له مناظرات مع أبى على و لم يكن الخوض فى بحار المعقولات من شأنه وكلّ ميسر لما خلق له ... » (٢)

كما نرى محمد بن محمود الشهرزورى يكرر ما ذكره البيهقي بعينه حول تدخل ابيالريحان فى المباحث الفلسفية ، فى كتابه « نزهة الأرواح و روضة الأفراح فى تواريخ الحكماء .. » (٣)

ولانعرف لأبىالريحان تلاميذ فى الحقل الفلسفى يدّعوننا على أن الرجل كانت له مدرسة فلسفية ، كما هى الحال بالنسبة لابن سينا مثلاً ، و لم يصل إلينا أيضاً من مؤلفاته الفلسفية شىء هام فى هذا المجال .

١- انظر « تاريخ الشعوب الاسلامية » لبروكلمان ج ٢ ص ١٢١

٢- انظر « تنمية صوان الحكمة » طبعة لاهور ص ٦٢ - ٦٣

٣- انظر مقدمة زاخاو لكتاب الآثار الباقية ص ١١١

فهل كان البيهقي محققاً فى رأيه ؟ و لم يكن لعالم كأبى الريحان أن يخوض فى الفلسفة ؟

إن إلقاء نظرة على كتابه الشهير ، « ماللهند.. » يوضح لنا أن اباالريحان كان على معرفة كافية بالعقائد الفلسفية اليونانية والهندية والمانوية ؛ فقد تطرق فى الباب الثانى من كتابه هذا ، مثلاً إلى عقائد الهنود حول ذات الله تعالى و اختلافات العامة و الخاصة فى ذلك (١) .

كما أنه أفرد الباب الثالث للبحث فى الموجودات العقلية و الحسية فذكر أولاً آراء القدماء اليونانيين ثم قارنها بعقائد الهنود فى وحدة الأشياء و الموجودات كما بيّن رأى الصوفية فى الوجود الحقيقى ثم تطرق إلى مبحث النفس و الروح و تسميتها بالآلهة عند اليونانيين و نقل أقوالاً عن جالينوس و افلاطن كما ذكر ، فى نفس الباب ، آراء البراهمة فى وحدة الوجود (٢) و نراه أيضاً فى الباب الثانى و الثلاثين يبحث فى خلق العالم و فنائه و ينقل رأى محمد بن زكريا الرازى و الفلاسفة الآخرين فى معنى الزمان كما ينقل آراء الهنود و البراهمة فى الموضوع و يشير إلى أن أبامعشر قد اقتبس رأيه فى الطوفان من الهنود (٣)

فهل لا يحق لمن يطرق مثل هذه الأبواب أن يخوض « فى بحار المعقولات » ؟! و « ماللهند.. » ملئ بمثل هذه المباحث الفلسفية المحضّة التى تشير إلى معرفة أبى الريحان بالعقائد الفلسفية القديمة و المعاصرة له ، و ما ذكرناه آنفاً انهما هو على سبيل المثال لا الحصر .

١- انظر « ماللهند .. » طبعة حيدرآباد ص ٢٠ - ٢٣

٢- انظر المصدر نفسه ص ٢٤ - ٣٣

٣- انظر المصدر نفسه ص ٢٧٠ - ٢٧٩

و قد تحدّث البيروني نفسه عن دراساته الفلسفية في الفهرست الذي كتبه
لمؤلفات محمد بن زكريا الرازي فأشار كيف أنه بقي مدةً تزيد على أربعين عاماً
في انتظار عثوره على كتاب «سفر الأسرار» للرازي (١)

أما فيما يتعلق بآثاره الفلسفية ، فمع أن الزمن لم يبق لنا منها شيئاً يُذكر
إلاّ أننا نعلم أنّه ترجم كتاب «الشامل» في الموجودات المحسوسة و المعقولة
من السنسكريتية إلى اللغة العربية ؛ كما ذكر في فهرسته لكتب الرازي . (٢)
و هذا يثبت أن أبا الريحان ، بالإضافة الى معرفته بالفلسفة اليونانية القديمة
كان على اطلاع واسع بالفلسفة الهندية و نعلم أيضاً أنّه قد ألّف كتاباً في التوسط
بين أرسطو طاليس و جالينوس في المحرك الأوّل ، و كتاب «رياضة الفكر
و العقل» كما كتب مقالةً «في البحث عن الآثار العلوية» و مقالةً «في صفات أسباب
السخونات الموجودة في العالم و اختلاف فصول السنة» (٣)

من هذا كلّهُ يتضح أن البيهقي و الشهرزوري و من تبعهما لم يكونوا
مصيبين في ما ذهبوا اليه من أن أبا الريحان لم يكن من حقّه أن يتدخل في
المباحث الفلسفية و على هذا لا يمكن ان يخامرنا الشك في أن أبا الريحان كان
فيلسوفاً الى جانب كونه عالماً بمختلف العلوم ، و من المستحسن أن ننقل ما

١- يقول في مقدمة فهرسته لكتب الرازي : «... و ذلك اني طالعت كتابه (أى كتاب
الرازي) في العلم الالهي و هو يبادى فيه بالدلالة على كتب ماني و خاصة كتابه الموسوم
« سفر الاسرار » ففرتني السمة كما يغرا المبيض و المصفر في الكيمياء غيرى فحصرنى الحدائث
بل خفاء الحقيقة على طلب تلك الاسرار من معارفى في البلدان و الاقطار و بقيت في تبايح
الشوق نيفاً و أربعين سنة ... » انظر مقدمة زاخاو لكتاب الآثار الباقية ص XXXIX .
يبدو أن أبا الريحان ، بالرغم من حبه للرازي يهاجمه في بعض آرائه خوفاً من المتعصبين
كى لا يتهم .

٢- انظر هامش ص ١٩ من كتابنا هذا

٣- انظر كتاب «نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت» ص ١٤٨

«.. ان مكاتبات أبي الريحان مع ابن سينا تبين بوضوح أن البيروني
بالإضافة الى كونه رياضياً و منجماً و جغرافياً و عالماً باللغات و محدثاً
لعلم المساحات كان في عداد الفلاسفة أيضاً» (١)

بعد أن اتضح لنا أن البيروني كان في عداد الفلاسفة يجدر بنا أن نشير بعد ذلك الى اتجاهه الفلسفي ؛ وفي الحقيقة ، لانستطيع القول بأنه كانت للبيروني مدرسة فلسفية خاصة به و لكننا من خلال كتبه و آرائه نراه يعجب ، من بين الفلاسفة المسلمين ، ببعض نظريات الرازي و كتاباته الهرمية ، و ان كان لايتفق معه في بعض المسائل الأخرى ، كما أنه يهاجم الفلسفة المشائية ، وأهم ما نلاحظه هو أن هذا العالم الكبير انتهج في الفلسفة ، كشأنه في الرياضيات ، أسلوب الاستقصاء العلمي الباحث و راء الحقائق اذ لم يستسلم قط للنظريات و العقائد التي كانت سائدة في عصره كنظريات الكندي (٢)

٢- الكندی، «يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندی ، أبویوسف (المتوفى نحو ٩٦٠هـ):

5.

والفارابي (١) وامثالهما. فنراه يشك في بعض نظريات وآراء المعلم الأول ، أرسطو و يبين شكه ذلك بشجاعة تستحق التقدير غير مبال بما سيحدث شكّه هذا من انكار ولوم و لعل هذا هو السبب الذي دفع بالبيهقي و الشهر زوري و من تبعهما الى ان يهاجموا البيروني ؛ كما أشرنا من قبل .

و قد تجسدت شكوك البيروني في الأسئلة الثمانية عشرة التي وجهها إلى فيلسوف عصره ابن سينا و أجاب ابن سينا عن تلك الأسئلة و أرسلها إلى ابي الريحان إلا أن تلك الاجابات لم تقنعه ، بل دفعته الى كتابة اعتراضات جديدة على أجوبة ابن سينا نفسها (٢)

لا يمكن أن يفهم من اعتراضات أبي الريحان على بعض نظريات أرسطو أنه لم يكن يحترم المعلم الأول بل يفهم أنه كان يرى أن الاعتراض على رأى غير

١- الفارابي ، ابونصر محمد بن محمد (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) و يعرف بالمعلم الثاني هو اكبر فلاسفة المسلمين . ولد في فاراب ، على نهر سيحون ، و انتقل الى بغداد فنشأ فيها و رحل الى مصر والشام و اتصل بسيف الدولة بن حمدان و توفي في دمشق . كان يحسن أكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره و يقال ان الالة المعروفة بالقانون من وضعه . له نحو مائة كتاب منها «الفصوص» و ترجم الى الالمانية و «احصاء العلوم والتعريف بأغراضها» و «مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة» و «المدخل» في الموسيقى ، و «آداب الملوكية» و «السياسة المدنية» و «جوامع السياسة» رسالة ، و «النواميس» و «الخطابة» و «ديوان الادب» و «ما ينبغي ان يتقدم الفلاسفة» و كتاب في أن «حركة الفلك سمرمية» . انظر الاعلام للزر كلى ص ٩٦٨ .

٢ - توجد عدد من النسخ في مكتبات طهران و اسطنبول و برلين والقاهرة و ليدن و المتحف البريطاني تتعلق كلها بالاسئلة التي وجهها ابو الريحان الى ابن سينا و أجوبة ابن سينا عنها و تنقسم هذه الاجوبة الى مجموعتين الاولى تحت عنوان « أجوبة ست عشرة مسألة لابي الريحان » تشتمل على مواضيع مختلفة تتعلق بالعقل والوجود و الجزء الذي لا يتجزأ ، و الثانية تحت عنوان « أجوبة عشر مسائل » انظر « تاريخ علوم عقلی » للدكتور صفا ج ١ ص ٢٣١

مصيب ، فى رأيه ، لا يتنافى مع احترامه لأرسطو كما كان يهاجم الذين يرون أن أرسطو مصون من الخطأ بقوله : النقص فى هؤلاء القوم أنهم يغالون فى تصديقهم لآراء أرسطو لأنهم يعتقدون بأن المعلم الأول لا يمكن أن يخطئ فى نظرياته أبداً ، مع علمهم بأن أرسطو دون نظرياته بقدر إمكانه واستعداده ولم يدع قط بأن الله قدصانه من الخطأ والزلل (١)

و لم يقتصر الاعتراض على نظريات أرسطو و الفلسفة المشائية على أبى الريحان وحده بل ان أصحاب الفلسفة الاشراقية اعترضوا على الفلسفة المشائية أيضاً لأنهم رأوا أن الاعتماد على البراهين الاستدلالية وحدها يقضى على الاشراق و الشهود و يخفى الحقيقة فى ستار القياسات المنطقية (٢) كما أن المتكلمين والمتصوفين من أمثال أبى الحسن الاشعرى وحجة الاسلام الغزالى والامام الفخر الرازى اعترضوا أيضاً على الفلسفة المشائية من خلال نظرهم الكلامية والصوفية مما أدى الى تضعيف قيمة الفلسفة المشائية وبالتالي الى فسخ المجال أمام التصوف و الفلسفة الاشراقية (٣)

كما أن هناك نفراً قليلاً من الفلاسفة هاجموا نظريات أرسطو بالبراهين العقلية؛ أما البيرونى ، فقد استخدم كل تلك الوسائل لتوجيه نقده الى نظريات أرسطو فنراه يلجأ الى الكتب السماوية والبراهين العقلية وملاحظاته للطبيعة (٤)

١- ترجمنا قول أبى الريحان من النص الفارسى الذى ذكره الاستاذ الدكتور نصر مترجماً عن :

ص ٤١، Loc.Cit، «Al-Biruuiss Scientific Achivements» و S.H. Barani

انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص ٢١٤

٢ - انظر المصدر نفسه ص ٢١٣

٣ - انظر المصدر نفسه ص ٢١٤

٤ - انظر المصدر نفسه

وكان أبو الريحان على معرفة واسعة بعقائد وآراء الصوفية و ان تصوّر خطأً أن كلمة « الصوفى » ترجع الى أصل هندى (١) و تتضح لنا معرفته هذه ، أولاً من أنه ترجم كتاب « باتنجل » (٢) الذى يبحث فى « تخليص النفس من رباط البدن » لأن هذا الكتاب ، كما يقول المستشرق الالماني « ريتز » (٣) الذى درس الكتاب و كتب حوله - يحتوى على عقائد تشبه ، فى بعض جوانبها ، عقائد المتصوفين فى الاسلام (٤) و يضيف « ريتز » أن أبا الريحان قد ترجم الكتاب مستعملاً المصطلحات الصوفية الاسلامية للتعبير عن مفاهيم التصوف الهندى ممّا أدّى الى بعض الاخطاء فى الترجمة (٥)

فقيامه بترجمة كتاب فى التصوف الهندى و استعماله مصطلحات

١ - جاء فى « ماللهند: » ص ٢٤-٢٥ ما يلى :

«... هذا رأى السوفية وهم الحكماء فان «سوف» باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف « پيلاسوپا » أى محب الحكمة و لما ذهب فى الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سمو باسمهم و لم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل الى «الصفة» و أنهم أصحابها فى عصر النبى صلى الله عليه و سلم ثم صحف بعد ذلك فصر من صوف التيوس ؛ و عدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول فى قوله :

تفاز الناس فى الصوفى و اختلفوا قدماً و ظنوه مشتقاً من الصوف
و لست أنحل هذا الاسم غيرفتى صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

٢- يشير أبو الريحان الى قيامه بترجمة هذا الكتاب بقوله : « وكنت نقلت الى العربى كتابين أحدهما فى المبادئ و صفة الموجودات ، واسمه «سانك» والآخر فى تخليص النفس من رباط البدن ويعرف « باتنجل » و فيهما أكثر الاصول التى عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم ... » انظر «ماللهند» طبعة حيدرآباد ص ٦

٣- Prof . Helmût Ritter

٤- انظر المقالة الفارسية التى كتبها « ريتز » حول ترجمة كتاب باتنجل ، فى جشن نامه ابن سينا ج ٢ ص ١٣٤-١٣٨

٥- انظر المصدر نفسه ص ١٤١

المتصوفين الاسلاميين فيها يشير ان بوضوح الى حب أبي الريحان لهذه المباحث و معرفته بها .

و من خلال أوراق كتاب « ماللهند... » تتجلى معرفة أبي الريحان بعقائد الصوفية ثانياً ، اذ انه قارن بين آراء الصوفية و آراء الهنود أكثر من مرة (١) و يشير ابو الريحان نفسه الى ذلك ، فى مقدمة الكتاب بقوله :

« ... و لا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم الا أن يكون للصوفية أو لأحد أصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم فى الحلول والاتحاد... » (٢) هذا ، و لم يكن ابو الريحان نفسه ، لاشك ، صوفيا و ان كان يحترم الصوفية و يعترف بفضلهم كالكثير من المسلمين ؛ و لعلّ معرفته بطرق تفكير المتصوفين الانسانية ، الذين يعتقدون بأنّ « الطرق الى الله بعدد انفس الخلائق » والذين ينكرون التعصب بأى شكل كان ؛ هى التى أعطته رحابة الصدر و حرية

١- يتحدث فى الصفحة ٢٤ ، مثلاً ، عن رأى الصوفية فى الوجود الحقيقى وفى الصفحة ٤٤ عن آرائهم فى التناسخ والحلول والظهور الكلى وفى الصفحة ٥٢-٥٣ يقارن بين آرائهم و عقائد الهنود فيما يتعلق بكيفية الخلاص من الدنيا و صفة الطريق المؤدى اليه وهكذا فى الصفحة ٥٧ ؛ و فى الصفحة ٦٢ يقارن بين ماجاء فى كتاب پاتنجل و ما ذهب اليه الصوفية و هكذا فى الصفحة ٦٦ و ٦٧ حيث يقارن بين آراء الصوفية و پاتنجل و يذكر رأى أبى بكر الشبلى و ابى يزيد البسطامى بقوله : «... و الى طريق «پاتنجل» ذهبت الصوفية فى الاشتغال بالحق فقالوا : مادمت تشير فلست بموحد حتى يستولى الحق على اشارتك بافنائها عنك فلا يبقى مشير و لا اشارة و يوجد فى كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم عن الحق : و كيف لا أتحقق من هو «انا» بالانية و «لانا» بالينية ، ان عدت فبالعودة فرقت و ان أهملت فبالاهمال خففت و بالاتحاد ألقت ، و كقول ابى بكر الشبلى : اخلع الكل تصل اليها بالكلية فتكون و لاتكون أخبارك عنا و فملك فعلنا ، و كجواب أبى يزيد البسطامى و قد سئل بم نلت مانلت : انى انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت الى ذاتى فاذا انا هو... » و الكتاب ملئ بهذه المقارنات

٢- انظر ماللهند ص ٦٥

التفكير اللتين استطاع بهما أن يجالس أصحاب الأديان الأخرى و حكماءها
ليقف على علومهم و عقائدهم .

خامساً ، أبو الريحان الإنسان :

تحدثنا في ماسبق عن حياة أبي الريحان و علومه و مصنفاته التي لا تحصى ؛
فمن المناسب هنا أن نسعى قدر استطاعتنا لمعرفة وجه أبي الريحان المعنوي
من خلال المعلومات التي لدينا حوله لنرى من الإنسان الذي يكمن وراء
ذلك العلم الغزير و تلك الكتب المترامية ؟

كيف يفكر ؟ و بمن يؤمن ؟ و بأى دين يدين ؟ و كيف يعامل الناس ؟
و ماذا يعيش ؟ و ما سر انتصاراته العلمية ؟ و هل له ياترى حديث معنا نحن
شباب و طلاب و أساتذة إيران و العالم الاسلامي ؟

١- إيمانه بدينه :

لاشك أن البيروني كان يؤمن بوجود الخالق و الديانة الاسلامية ايماناً
راسخاً . أما الوقوف على مذهبه و الفرقة التي ينتمى إليها فأمر يحتاج إلى
دقة نظر : فنراه من جهة ، يسمي آل الرسول (ص) « بأئمة الهدى و الحق »
و يعتقد ان العالم لا يخلو من امام عادل يفزع إليه الناس في النوائب (١) كما
نراه يذكر يوم عاشوراء و استشهاد سيد الشهداء ، كرواية الشيعة تقريباً (٢) ؛ و من جهة

١- يقول في خطبة كتاب الآثار الباقية : الحمد لله المتعالى عن الاضداد و الاشياء و الصلوة
على محمد المصطفى خير الخلق و على اله ائمة الهدى و الحق و من لطائف تدبير الله تعالى
في مصالح بريته و جلائل نعمه على كافة خليقته تقديره النافذ ان لا يخلو في عالمه زماناً عن
امام عادل يجعله لخلقه أمناً ليفزعوا اليه في النوائب و الحوادث من السوعات و الكوارث ...
انظر الآثار الباقية ، طبعة زاخاؤو ص ٣

٢- جاء في الآثار الباقية في معرض حديثه عن شهر المحرم قوله : « ... و كانوا يعظمون
هذا اليوم (يوم عاشوراء) الى أن اتفق فيه قتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم و فعل به
و بهم ما لم يفعل في جميع الامم بأشرار الخلق من القتل بالعطش و السيف و الاحراق و صلب
الرؤوس و اجراء الخيول على الاجساد فتشاء موابه ... و أما الشيعة فانهم ينوحون و يكون
أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه و يظهرون ذلك بمدينة السلام و أمثالها من المدن و البلاد و يزورون
فيه التربة المسعودة بكر بلاء... » انظر الآثار الباقية ص ٣٢٩

أخرى يستخدم بعض مصطلحات السنة في كتاباته ولعل هذا ماحمل المستشرق «الدوميلي» على الاعتقاد بأن البيروني كان في شبابه شيعياً ثم انتمى إلى مذهب أهل السنة (١) و الذي نرجحه هو أن أباالريحان كان أسمى و أعلى من أن يتعصب لفرقة مذهبية ، شيعية كانت أم سنية ؛ فهو عالم مسلم ينظر إلى الفريقين بنظرة واحدة و يحترم المسلمين جميعاً فمن الطبيعي إذن أن يكرم آل الرسول (ص) و ينعتهم بأئمة الهدى والحق و يحترمهم كاحترام الشيعة لهم كما كان يحترم كبار العلماء المسلمين من الشيعة والسنة ؛ و أوضح دليل على عدم تعصبه لمذهب دون آخر هو ما ذكره في كتابه « الجواهر في معرفة الجواهر » عند حديثه عن حجرى «الخماهن» و «الكرك» إذ يشير إلى أن الشيعة كانوا يضعون بأصابعهم خواتم فيها فصوص من الكرك (حجرابيض) بينما كان أهل السنة يلبسون خواتم فيها فصوص من الخماهن (حجراأسود) و يضيف ساخراً من الفريقين أنه كان يجمع بين هذين الفصين لثلاثيتهم بالانتماء إلى أحدهما (٢)

و علينا ألا ننسى أن إيمان البيروني بالدين شىء و إيمان المتعصبين القشريين شىء آخر ؛ و إذا كان المتعصبون قد حاربوا العلوم العقلية باسم الدين فإن أباالريحان اعتقد بأن التعلم و التحقيق فى كافة الميادين العلمية واجب على كل من يؤمن بالاسلام (٣) و كان يستند فى ذلك ، إلى قوله تعالى :

١- انظر La Science Arabe , Leiden , P/98

٢- ورد النص فى كتاب « الجواهر فى معرفة الجواهر » طبعة حيدرآباد ص ٢١٥ فى باب ذكر الخماهن والكرك كمايلى :

« هذان حجران لا يكاد يكون لهما قيمة الا كقيمة الخرز لولا مناكدة الشيعة نواصبهم فى التختم بأبيضها و نواصبهم بأسودها للتمايز كتمايز الجيل عن جنبتى اسپيد روز (اسم نهر فى ايران) بذكر العلم الاسود والعلم الابيض مكان العقيدة والمذهب - و قد كنت أجمع بين هذين الفصين فى زوج خاتم كباداً للفريقين معاً »

٣ - انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى در باره طبيعت» للدكتور نصر ص ٢٢٣

«ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه» (١)
ويعتقد بأن الله تعالى أمر عباده بالتفكير في خلق السموات والأرض ليدرخوا
أن الله تعالى ما خلق ذلك اعتباطاً وعبثاً ؛ و ما التفكير في ما خلقه الله إلا
الخوض في العلوم والبحث عن الحقائق ؟

و من هذا المنطلق حارب ابو الريحان هؤلاء المتمسكين بقشور الدين
الذين يزعمون بأن العلم يختص بالله وحده و يتخذون من ذلك ذريعة واهية
لجهلهم و يتقاعسون بذلك عن طلب العلم ؛ و قد انتقد هؤلاء القشريين الذين
إذا جهلوا شيئاً اكتفوا بقولهم إن العلم عند الله وحده فذكر في كتابه الآثار
الباقية ذلك الفريق بقوله :

« ... و كثير من الناس ممن يعير علم الله ما جهلوه من علم الطبيعيات
نازعونى... » (٢)

لم يفرق ابو الريحان ، في الحقيقة ، بين العلوم الدينية و غير الدينية ذلك
لأن العلوم كلها ، في نظره ، تدرس ظواهر الطبيعة المختلفة و لا بد أن تنتهى
إلى معرفة قوة خلقها الله لادارة العالم و بناءً على ذلك يرى ابو الريحان أن
التعلم واجب على كل مسلم (٣) .

و نتيجة لدراسته العميقة للأديان الأخرى توصل ابو الريحان إلى أن
هناك حقيقة واحدة تكمن في جميع الأديان و تتجلى في كل منها بصورة خاصة
و كان يعتمد في رأيه هذا على التعاليم الاسلامية التى تقول بأن الاسلام جاء

١- انظر كتاب « نظر متفكران اسلامى در باره طبيعت » هامش الصفحة ١٥٤

٢- انظر الآثار الباقية ص ٢٦٢

٣- انظر كتاب « نظر متفكران اسلامى... » ص ٢٢٣

للناس عامة ولم يختص بقوم دون الآخرين (١)؛ وعلى هذا إن إسلام أبي الريحان لم يدفعه أبداً إلى مخاصمة معتقدي الأديان الأخرى ولهذا نراه ، كما يقول البروفيسور زاخائو ، (٢) يعامل الفلاسفة الهنود الكفرة ، رغم اسلامه ، بعطفٍ ويجادلهم بلين و يقبل أو يرفض آراءهم و عقائدهم في مختلف المواضيع وقد بلغ حيساده ، في ذلك ، درجةً تجعل القارئ يطالع كثيراً من صفحات كتابه دون أن يحس بأن مؤلفه رجل مسلم .

٢- حبه لوطنه :

كان ابو الريحان يعشق وطنه ويهتم ، باحترام متزايد ، بالآداب والتقاليد الايرانية ، يذكر ياقوت في ترجمته له :

« .. و كان - رحمه الله - مع الفسحة في التعمير و جلالة الحال في عامة الأمور مكباً على تحصيل العلوم منصباً على تصنيف الكتب يفتح أبوابها ويحيط بشواكلها و أقربائها ولا يكاد يفارق يده القلم و عينه النظر و قلبه الفكر الا في يومى النيروز و المهرجان من السنة لاعداد ما تمس إليه الحاجة من المعاش من بلغة الطعام و علة الرياش ... » (٣)

إن انشغال ابي الريحان بتحصيل العلوم وتصنيف الكتب طوال ايام السنة إلا في يومى النيروز و المهرجان لهو دليل على مدى اهتمامه بالتقاليد الايرانية

١- ذكر الاستاذ الدكتور نصر في هامش الصفحة ١٥٣ من كتابه « نظر متفكران اسلامي .. » نقلا عن « تحقيق ما للهند .. » طبعة لايبزيك ١٩٢٥ ص ١٤٧ ، دعماً لرأيه الذى نقلناه آنفاً : « .. و لزم من قوله أن أهل الارض كلهم و الهندي في لزوم التكليف شرع واحد »

٢- انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٦٩-٧٠

٣- انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨١ ، وهـثل هذا يذكر الشهرزورى ، انظر مقدمة

زاخائو للأثار الباقية ١١١ ل

و رسومها . فلاعجب إذن أن نرى هذا الحبر الجليل يقول مفتخراً بأن خوارزم مسقط رأسه ، وأهلها غصن من دوحة فارس الكبيرة (١) .

و من مظاهر حبه لبلاده ايران ردّه على مزاعم ابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الجبلى الذى ألف كتاباً فى تفضيل العرب على العجم و زعم ان العرب أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها و مساقطها ، و وصف الفرس بارذل الصفات و نسب إليهم الكفر ؛ و قد جاء ردّ ابى الريحان هذا ، فى كتابه « الآثار الباقية » (٢) حيث ذكر أن للكاتب ضغائن وأحقاداً ضد الفرس مشيراً إلى كراهية الفرس لجدّه قتيبة بن مسلم الذى قتل و عذب كثيراً من الفرس فى

١- جاء فى كتاب الآثار الباقية ص ٤٧ : « وأما أهل خوارزم و ان كانوا غصناً من دوحة الفرس و نبعة من سرحتهم فقد كانوا مقتدين بأهل السغد فى اول السنة ... »

٢- قال ابو الريحان فى معرض حديثه عن الكواكب و البروج . « ... و ان كان أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الجبلى يهول و يطول فى جميع كتبه و خاصة فى كتابه فى تفضيل العرب على العجم و زعم أن العرب أعلم الامم بالكواكب و مطالعها و مساقطها و لا أدري أجهل ام تجاهل ما عليه الزراعون والاكرة فى كل موضع و بقعة من علم ابتداء الاعمال وغيرها و معرفة الاوقات على مثل ذلك فان من كان السماء سقفه و لم يكنه غيرها و دام عليه طلوع الكواكب و غروبها على نظام واحد علق مبادئ أسبابه و معرفة الاوقات بها بل كان للعرب ما لم يكن لغيرهم و هو تخليد ما عرفوه أوحد سوه ، حقاً كان أو باطلا ، حمداً كان أو ذماً ، بالاشعار و الارجوزة و الاسجاع و كانوا يتوارثونها فتبقى عندهم أو بعدهم و لو تأملت منها من كتب الانواء و خاصة كتابه الذى وسمه بعلم مناظر النجوم و مما أوردنا بعضه فى آخر الكتاب لعلمت أنهم لم يختصوا من ذلك باكثر مما اختص به فلا حول بقعة ولكن الرجل مفطر فيما يخوض فيه و غير خال عن الاخلاق الجبلية فى الاستبداد بالرأى و كلامه فى هذا الكتاب المذكور يدل على احن و ترات بينه و بين الفرس اذ لم يرض بتفضيل العرب عليهم حتى جعلهم أرذل الامم وأخسها و أنذلها و وصفهم بالكفر و معاندة الاسلام باكثر مما وصف الله به الاعراب فى سورة التوبة و نسب اليهم من القبائح ما لو تفكر قليلا و تذكر اوائل من فضل عليهم لكذب نفسه فى اكثر ما قاله فى الفريقين تفرطاً و تعدياً ... »

انظر الآثار الباقية ص ٢٣٨ - ٢٣٩

خوارزم خاصة .

٣- ايشاره للحقيقة :

كان أبو الريحان ، بحق ، مغرماً بالحقيقة ، الحقيقة وحدها وكان يتحمل الآلام والمتاعب بصبرٍ و أناة في سبيل الوصول إليها وكان يُبعد نفسه عن أية خصلةٍ قد تمنعه من دركها :

فقد رأيناه ، كما ذكرنا من قبل ، لا يتعصب في سلوكه الديني بل كان يحترم المعتقدين بالأديان الأخرى لأجل الاستفادة من علومهم و معارفهم .

و كان يغضّ النظر عن المنصب و الجاه ، و كما أشرنا ، نراه يرفض اقتراح شمس المعالي قابوس لتقبل حكومة جرجان (١)

وكان لا يهتم بالثروة و حطام الدنيا كما كان يرفض بشدة الكسل و التقاعس عن العمل ؛ فان رأى أن أخذ العلم و الوصول الى الحقيقة يتطلبان تعلم لغة اجنبية و لو في سن الشيخوخة فلا يتردد في ذلك ، و ان رأى أن تدريس علوم اليونان للهنود يتطلب بذل جهود مضمّنة فنراه يتحمل العبء حرصاً منه على نشر العلم (٢) و اذا رأى أن تأليف كتابٍ قيمٍ يتطلب عملاً متواصلاً فلا يترك يده القلم ، كما يقول ياقوت (٣) ، طوال ايام السنة الا في عيدي النوروز و المهرجان

فهل يمكن أن يُتصور أن هناك ايثاراً للحقيقة أكبر ممّا فعله ابو الريحان من غضّ النظر عن المال و الجاه و المنصب ، و الميل عن الراحة ، التي

١- انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢

٢- تحدث ابو الريحان عن هذا الموضوع بقوله :

« ... و اكثر كتبهم «شلوكات» و أنامنها في بلايا فيما أمثله للهند من ترجمة كتاب اقليدس و المجسطي و أمله في صنعة الاسطرلاب عليهم حرصاً مني على نشر العلم .. » انظر « مال الهند .. » ص ١٠٦

٣- انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨١

يشدها الانسان بطبيعته ، وكذلك ، من كف النفس عن أى تعصب يُعمى الباحث
عن رؤية الحق ؟

صوت ابي الريحان :

لأبى الريحان حديث معنا ، نحن شباب ايران ، والأمة الاسلامية ، طلاباً
و اساتذة .

لكأننا نسمعه يحدثنا بصوته الهادئ من وراء القرون والأعصار .
و يظهر من نبراته أن اباالريحان ليس براضٍ عنا كما ينبغي ! فهو يقول لنا
بشيءٍ من التأنيب :

لقد كانت بلادكم ايران قاعدة لرجال بعيدى الهمم أفنوا بشغف زهرة
أعمارهم لخدمة العلم و البشرية فأحاطوا بجميع علوم زمانهم و ساهموا
مساهمة فعالة فى بناء صروح الحضارة الانسانية ؛ و الان ، جاء دوركم
و حان الاوان لكى تظهروا لياقتكم و مقدرتكم ! و لكم فى آبائكم قدوة
حسنة، فعليكم أن تحافظوا على سمعة هذه البلاد العريقة التى نما وترعرع
فيها العلم عالياً بين الامم!

ثم يحدثنا عن سر انتصاره :

ان سر فوزى فى نيل العلم هو اننى لم اشتغل الا بالعلم وحده و لم
أغفل لحظة واحدة عن الدراسة و التحقيق ؛ فاذا كنتم حقاً من أهل العلم
و طلابه فعليكم أن تحذوا حذوى !

فأنا ، كما أخبركم ياقوت الحموى ، (١) رفضت اقتراح شمس المعالى
قابوس بن وشمكير لاستلام منصب حاكم جرجان ، ذلك ، لان هذه الامور
تتعارض و الاشتغال بالدرس و التحقيق !

وكما نقل لكم السيوطى و ياقوت والاخرون ، (١) اعتذرت عن قبول
فيل محمل بالنقود الفضية أرسله لى مسعود الغزنوى كجائزة لتأليفى كتاب
القانون المسعودى ، ذلك ، لاننى رأيت أن هذه الثروة الطائلة تناسب
الصرافين والتجار ولا تناسب مقام أهل العلم !
اننى لم أفرح قط بمدح هذا و ذاك كما يفرح ذوو العقول الصغيرة
و لم أتألم من نقد الناقدين أبداً و لم أتخذ من آبائى موضوعاً لفخرى ،
ذلك ، لان هذه الصفات لاتليق بأهل العلم .

ألم تسمعوا جوابى لشاعرٍ جاء يمدحنى و يعدد مناقب اجدادى ؟
لقد قلت له ساخرأ :

أيها الشاعر الذى ذكرت فى شعرك مناقب أجدادى ، الله يعلم اننى
لأعرفهم كما ينبغى « وكيف أعرف جدى إذ جهلت أبى ؟! »
أيها الشاعر ! لاتتعب نفسك لان المدح والذم عندى سيان ! (٢)

١- جاء فى بغية الوعاة للسيوطى ، طبعة القاهرة ص ٢٠ :
«... و لما صنف القانون المسعودى أجازاه السلطان بحمل فيل فضة فرده بعد الاستغناء
عنه ...» و ذكر القصة ياقوت فى معجم الادباء (ج ١٧ ص ١٨١) بقوله : « وبلغنى أنه لما صنف
القانون المسعودى أجازاه السلطان بحمل فيل من نقده الفضى فرده الى الخزانة بعد
الاستغناء عنه .. » أما الشهر روزى فيقول :

« و بلغنى انه لما صنف القانون المسعودى أجازاه السلطان الشهيد حمل فيل من
النقرة فرده الى الخزانة فقد رأى الاستغناء عنه و رفض العادة فى الاستغناء .. » انظر مقدمة
زاحائو لكتاب الاثار الباقية ص ١١١ L

٢- جاء أبوالريحان شاعر (يكتنى بأبى الحسن؟) فمدحه ذاكراً مناقب أجداده لينال
منه عطاء فلم يحفل به أبوالريحان بل رد عليه ببضعة أبيات مستخدماً فيها كلمات
ركيكة و مضامين قبيحة امعاناً فى الاستهزاء و ليبين للشاعر أن الفخر بالاجداد والاباء
لا يزيد من قيمة المرء مهما بلغوا من مجد و عظمة و أن عدم انتساب المرء الى العظماء
لا يحط من قيمته أيضاً فقال :

و انتم ، اذا كنتم من محبى العلم حقاً ، و ترمون النجاح فى اعمالكم العلمية فايابكم والانخداع بالاثقاب والمناصب الزائلة و تروجيها على العمل العلمى المقدس ! و لاتتعبوا أنفسكم بالبحث عن الاموال كالصرافين و المنتفعين ، فذلك ، ليس من شأنكم !
اياكم و الانخداع بالمدح و التألم من النقد ، فهما ، لاشك ، آفتا طالب العلم !

ثم اياكم اياكم و الكسل ! فالكسل عدو العلم اللدود ألم تقرأوا فى معجم الادباء أننى لم أكن أغفل لحظة واحدة عن العمل طوال ايام السنة الا فى يومى النيروز و المهرجان ؟ (١)

أما علمتم أننى تعلمت اللغة السنسكريتية و أنا فى سن الشيخوخة ؟ ثم ، ألم أخبركم كيف أننى كنت ادرس علوم اليونان و خاصة كتابى اوقليدس و المجسطى و أمليه على الهنود بلغتهم الخاصة ؟ (٢) أبالكسل كان بإمكانى أن أنجز هذا كله ؟!

الويل لكم وانتم تر تدون لباس أهل العلم ولا تشتغلون بالدراسة والتحقيق الا أحيانا وحتى اشتغالكم هذا لا يكون الامن أجل الحصول على المكافأة! لكأنكم لم تقرأوا ماكتبته فى كتابى « تحديد نهايات الاماكن ... » فلقد ذكرت :

وافى ليمدحنى و الذم من أدبى
كلا فلحيته عثونها ذنبى
و لست والله حقاً عارفاً نسبى
وكيف أعرف جدى اذ جهلت أبى
نعم و والدتى حمالة الحطب
سيان مثل استواء الجد و اللب
بالله لاتوقعن مفساك فى تعب

يا شاعراً جاء نى يخرى على الادب
وجدته ضارطاً فى لحيتى سفهاً
و ذاكراً فى قوافى شعره حسبى
اذ لست أعرف جدى حق معرفة
انى أبولهب شيخ بلا أدب
و المدح و الذم عندى يا أباحسن
فأعفى عنهما لاتشتغل بهما
انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٩

١- انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨١

٢- انظر كتاب « تحقيق مال الهند... » ص ١٠٦

« الفضيلة الذاتية للشيء غير المنفعة العارضة لاجله » (١) فلا ينبغي أن تزنا قيمة العلم بميزان الربح والخسارة ، العارضين لاجله ، ويجدر بكم أن تحبوا العلم لاجل العلم وحده !

لأعلم هل حدثكم الفقيه العالم أبو الحسن علي بن عيسى الولوالجي عن آخر لقاء كان بيننا و أنا على فراش الموت ؟

لقد كنت أعاني من سكرات الموت فعادني الولوالجي فسألته أن يشرح لي حساب الجدات الفاسدة (٢) لاتعلمه ، فنظر الى مشدوها وقال : كيف تسألني هذا السؤال و أنت في هذه الحال ؟ فأجبته : أيهما أفضل في رأيك ، أن أتعلم هذه المسألة و أموت أم أموت و أنا جاهل بها ؟ فقبل و شرح لي المسألة فتعلمتها و ما ان خرج حتى فارقت الحياة ! (٣) هذا هو سر نجاحي ، وما عرفني العالم بالاستاذ أبي الريحان الا لانني أحبت العلم من أجله وحده ، و فـ سبيله انصرفت عن المال و الجاه والمنصب و ابتعت الاتعاب بالراحة .

يا وراث الحضارة الاسلامية اللامعة !

لاتظنوا أنني أجهل أن الانسان بطبيعته محب للثروة و الجاه واللذة و الراحة ؛ أنا أعرف هذا ، كل المعرفة و لكنني أعلم أيضاً أن رجل العلم و الانسان المترفع بنفسه عن الدنيا ، و الذي يريد أن يجد طريقاً لتوصله الى جادة الحقيقة ، لابد له من أن يخرج من سجن طبيعته ؛ فاذا ثقل عليكم

١- انظر كتاب «نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت» للدكتور نصر هاشم ص ١٥٤

٢- الجدات الفاسدة : التي من قبل الام

٣- يذكر ياقوت الحكاية بقوله : « حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الاستور عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي قال دخلت على أبي ريحان و هو يجود بنفسه قد حشرج نفسه (تردد في ضيق) وضاقت به صدره فقال لي في تلك الحال : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقاً عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لي يا هذا أودع الدنيا و أنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيراً من أن أخليها و أنا جاهل بها ؟ فأعدت ذلك عليه و حفظ و علمني ما وعد ، و خرجت من عنده و أنا في الطريق فسمعت الصراخ ... » انظر معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ ، و انظر بنية الوعاة للسيوطي ، طبعة القاهرة ص ٢٠

قولي هذا فاستمعوا الى أمير شعراء العالم «حافظ الشيرازی» وهو خير
من تحدث بهذا الشأن :

« بما أنك لا تترك سجن الطبيعة »
« كيف تستطيع أن تمر بشارع الحقيقة ؟ » (۱)

۱- البيت بالفارسية :

توکز سراى طبیعت نمیروی بیرون کجا بکوی حقیقت گذر توانی کرد

استدراك

بالرغم من الجهود التي بذلناها لازالة العقبات و المشاكل الفنية لطبع القسم العربى من الكتاب ، و على ما بذله أصدقائنا العاملون فى المطبعة من عناية و دقة لترتيب حروف لغة ليست بلغتهم ، فقد وقعت أخطاء مطبعية فى الكتاب حملتنا على أن نضع جدولاً لتصحيحها ، فنرجو من قرائنا الأعزاء ، معذرين إليهم ، أن يراجعوا جدول الخطأ والصواب و نشكر موظفى المطبعة المحترمين على ما قدموه من جهود لطبع هذا الكتيب . والله الموفق

جدول الخطأ و الصواب

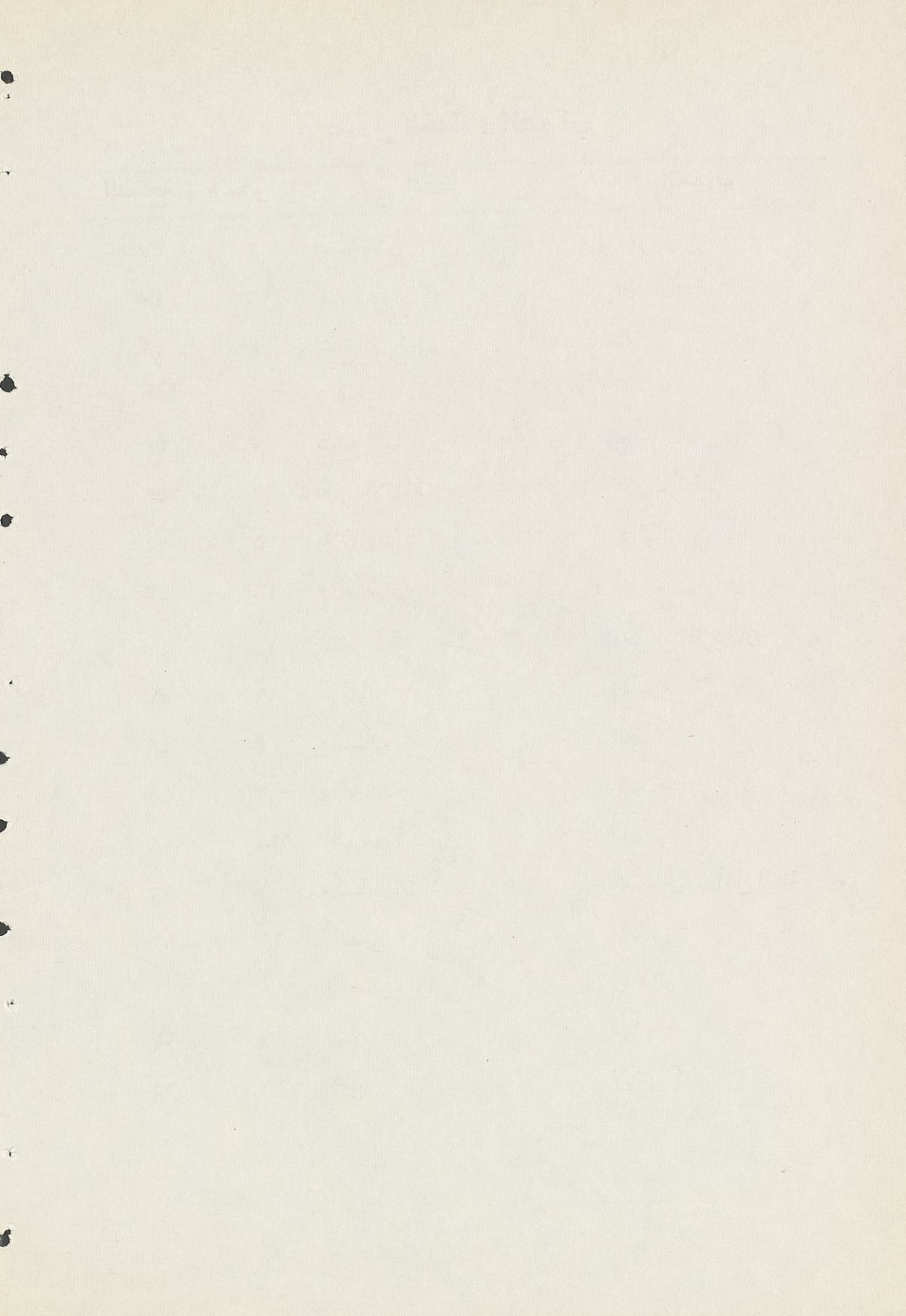
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	١٢	يتلفظونها	يتلفظونها
٢	١٧	عيون الأبناء	عيون الأنباء
٣	١٢	يتلقطها	يتلفظها
٥	١٢	القديمه	القديمة
٦	٧	العلما	العلماء
٦	١٣	لزرادشتية	الزرادشتية
٦	٢٠	مشهور الفردوسى فى شهنامته	مشهور من شهنامة الفردوسى
٧	١٠	الساماتى	السامانى
٧	١٤	انظر ظهر الاسلام	انظر ظهر الاسلام لآحمد أمين
٨	٧	الواسعة	الواسعة
٨	٨	اللتى	التي
٨	١٤	تربطهم	تربطهم
٨	٢٢	الصناعة	الصناعة
١٦	٢٣	ورقة	ورقة
١٧	٢٥	المعل	الفعل
١٧	٢٧	و عمل	وعملت
١٨	١٩	تجزى	تجزىء
١٨	١٩	الذين	الللذين
١٩	٨	ب. وحديث اورمزديار ومهريار	ب. وحديث قسيم السرور وعين الحياة ج. و حديث اورمزديار و مهريار

جدول الخطأ والصواب

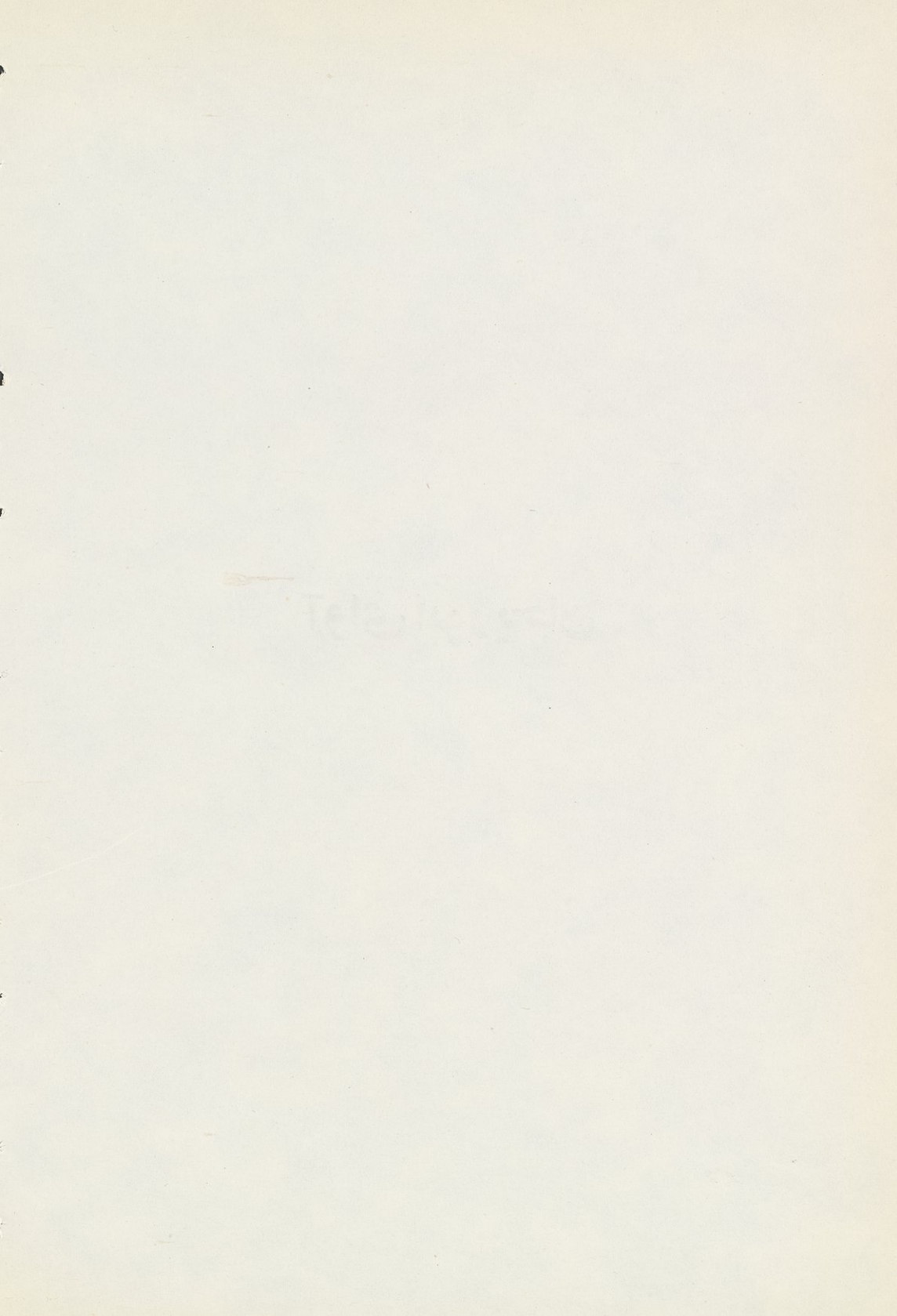
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	٩	و - حديث	د - حديث
١٩	١٣	عن قد الأشجار	فى قد الأشجار
١٩	١٥	والتحذير	والتحذير
١٩	١٨	للهمد	للهمد
٢٠	٢٩	عدهته	كذا فى طبعة زاخائو و قد تكون عدته
٢٣	١٧	مولفاته	مؤلفاته
٢٦	٢٥	آساء	أساء
٢٧	١٧	معجم الادبا	معجم الادباء
٢٨	٢٠	بناهة	نباهة
٢٨	٢١	آن	أن
٣٠	٢٠	باب	باب
٣٠	٢٢	نزل	نزل
٣٠	٢٥	بطلبه	بصلبه
٣٢	١٠	أخبار ابية	اخبار ابية
٣٣	١٠	غريز العين	قرير العين
٣٤	٩	ولا احتسبوا	ولا احتبسوا
٣٦	١	فى شخصيته	فى شخصيته
٣٦	١٨	تاريخ الشعرب	تاريخ الشعوب

جدول الخطأ و الصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٢	المسعودى	المسعودى
٤٠	١٨	أميال	أميال
٤١	٤	لتسع	لتسعة
٤٣	٦	()	(٢)
٤٣	٧	نتائج	نتائج
٤٣	٢٢	عيون الابناء	عيون الانباء
٤٥	٥	بلاذالهند	بلادالهند
٤٦	١٦	والفاظ	و ألفاظ
٤٧	١٥	تدخل ابو الريحان	تدخل أبى الريحان
٤٧	١٩	مولفاته	مؤلفاته
٤٨	٤	بالعقائد	بالعقائد
٤٨	٦	والخاصة	والخاصة
٤٨	١٨	القديمه	القديمة
٥٦	١	مصطلحات السنة	مصطلحات أهل السنة
٦٢	١٦	الفصى	الفضى
٦٢	٢٠	زاحائو	زاخائو
٦٤	٩	بها	بها
٦٤	١١	لاى	لائى



آواى ابوريحان



«پیشگفتار»

شناختن و شناساندن بزرگان دانش و فرهنگ و روشن ساختن تلاش آنان در بازیافتن اسرار علوم و فنون و اشاعه تجربیات و اندیشه‌ها و بیان اثر وجودی آنها در سازندگی فرهنگ و تمدن روزگارشان ، بدون تردید یکی از عوامل مؤثر پیوستگی و حفظ رابطه نسل جوان با فرهنگ و سنن گذشته می‌باشد . آشنائی همه جانبه جوانان با بزرگان علم و ادب ملت خود و آگاهی آنها از مقام دانشمندان نامدار قوم و نژاد خویش مخصوصاً از این نظر که نفوذ علمی برخی از آنها دنیای دانش و فرهنگ را در سطح جهانی تحت تاثیر خود قرار داده است ، طبعاً در ایجاد دلبستگی این طبقه به موارد گرانبهای ملی و میهنی ، و برانگیختن غرور نژادی و حس میهن پرستی و تقویت اراده و ایمانشان به نگهبانی یادگارهای گذشتگان ، اثری فراوان خواهد داشت ، و مخصوصاً در ترغیب این قشر پرتوان بکسب دانش باین امید که روزی بتوانند جانشین شایسته‌ای برای پیشینیان خود گردند ، انگیزه‌ئی ناخودآگاه و راه گشائی سالم و طبیعی تواند بود .

شاهنشاه دانش‌پرور ایران ، باتوجه باین نکات ، ازنخستین موقعیت‌های مناسب ، برای احیاء نام و آثار مشاهیر جاسودانی علم و ادب و فرهنگ این سرزمین ، اوامر موکدی مبنی بر تشکیل کنگره‌ها و مجامع ملی وجهانی صادر فرمودند تا دانشمندان و پژوهشگران ایرانی و خارجی گردهم آیند و بیبحث و گفتگو و مبادله تحقیقات و اطلاعات در باره زندگی و ویژگیهای افکار و آثار این بزرگان پردازند و مقام والای آنها را بیش از پیش بجهانیان روشن سازند . پیامهای حکیمانه معظم له در مراسم افتتاح هر يك از این مجامع و کنگره‌ها ، صرفنظر از اثبات اهمیت موضوع ، درس بزرگی برای همه ایرانیان بود که یکدل و یکزبان در بزرگداشت مفاخر ملی خود همت بکار برند و فرزندان امروز ایران را متوجه افتخارات گذشته سازند. انعقاد جشنهای مداوم و متعدد بمناسبت هزاره‌ها و سالگردها ، احداث بقاع و تجدید و ترمیم آرامگاهها ، تألیف و ترجمه و چاپ و نشر صدها کتب و رسالات تحقیقی درباره بزرگان علوم و فنون گذشته ایران ، همگی شاهد توجه خاص و عنایت مستمر ذات اقدس نسبت به تمدن و فرهنگ ایران و پیشروان و قافله سالاران این میراث کهن است .

تشکیل کنگره بین‌المللی بزرگداشت ابوریحان بیرونی که بمناسبت هزارمین سالگرد ولادت این نابغه جهان دانش ، در شهریورماه ۱۳۵۲ با شرکت عده زیادی از استادان و محققین ایران و سایر کشورهای جهان در تهران برگزار شد ، مؤید این نظر میباشد ، در همین کنگره بود که آشنایان بمقام شامخ علمی و فلسفی ابوریحان بیرونی ، فرصت آنرا یافتند تا حاصل مطالعات و نتایج پژوهشهای پرنمر خود را بدنیای دانش عرضه

کنند و یکی دیگر از نوابغ اندیشه را که فروغ دانش و بصیرت او در طول ده قرن ، روشنگر راه دانش پژوهان و اندیشمندان جهان بوده است ، بجهانیان معرفی نمایند .

ابوریحان انسانی استثنائی و ممتاز بود ، او سراسر زندگی نسبتاً طولانی خود را وقف آموختن ، تفکر ، پژوهش ، آزمایش و تالیف و تصنیف کرده و از اینراه خدماتی بزرگ و بمانند نسبت به پیشرفت دانشهای بشری انجام داد ، این مرد بزرگ در بیشتر علوم زمان خویش استاد مسلم ، و در رشته های گوناگون نظیر تاریخ ، جغرافیا ، پزشکی ، طبیعیات ، داروشناسی ، ادب و حکمت و فلسفه و غیره مبتکر افکار و نظرات نو و مقتدای دانشمندان همعصر خود بود . در ریاضیات ، فیزیک ، و هیئت و نجوم به نوآوریهای شگفت انگیزی توفیق یافت . این دانشمند کم نظیر ، هزار سال قبل و قرنهای پیش از موجودیت (یکن) و (دکارت) با ابراز شجاعت علمی درس عدم تسلیم و پیروی کورکورانه در برابر عقاید پیشینیان را ، باصحاب دانش آموخته و با آنها هشدار داد تا در تحقیقات و تتبعات خود بجای اعتماد به نظرات گذشتگان ، مشاهده و تجربه و استدلال علمی خود را اساس کار قرار دهند .

ابوریحان ، بآب و خاک مقدس ایران عشق میورزید ، و تجلیات این میهن دوستی را از لابلای آثار گرانقدرش بوضوح میتوان مشاهده نمود . وی در کتاب (آثارالباقیه) زادگاه خود (خوارزم) را شاخه ای از باغ ایران خوانده است . علاقه و دلپستگی خاصی به آداب و سنن ملی و میهنی خود داشت . بااینکه در تمامی مدت سال شهبانه روز در کار تحقیق و تحریر و تالیف مستغرق بود معذالك بیاس بزرگداشت جشن نوروز و جشن

مهرگان در این دو هنگام قلم از کف فرو مینهاد تا فارغ از هر کاری آئین این دو جشن بزرگ ایرانی را هماهنگ با سایر ایرانیان بشایستگی هر چه تمامتر برگزار نماید .

ابوریحان یك ایرانی بود و تعلق او بسرزمین ایران قابل تردید نیست، اما ازدیدگاه وسیع بشریت نباید این حقیقت از نظر دور بماند که او و دانشمندانی مانند او را نمیتوان بملت واحدی متعلق دانست ، زیرا اینان در حقیقت پرورش یافتگان قلمرو علم و دانش اند ، و پیداست که این قلمرو پهناور و بی حد و مرز ، بسر اسرار جامعه انسانیّت تعلق دارد .

پس بزرگداشت چنین مردانی ، در واقع بزرگداشت مقام دانش است و احترام بمقام دانش ، جز پاس حرمت انسانیّت تعبیر و توجیه دیگری ندارد .

دانشگاه اصفهان ، بنا بمراتب فوق و همزمان با فراهم آمدن مقدمات برگزاری کنگره تهران ، از اوایل سال ۱۳۵۲ بمنظور شناساندن ابوریحان بیرونی و آشنا ساختن علاقمندان به ارزش آثار و افکار و عقاید این فرزند برومند بشریت با تنظیم برنامه های متوالی سخنرانیهای ترتیب داد و نخستین کسی که این سلسله از سخنرانیها را در دانشگاه اصفهان آغاز کرد ، آقای دکتر غلامعلی کریمی استادیار دانشکده ادبیات و علوم انسانی این دانشگاه بود . نامبرده در طی این سخنرانی بطریقی بسیار ساده و دلنشین ، نکاتی تازه و ناشناخته ، از کار و زندگی ابوریحان را برای شنوندگان خود روشن ساخت . در همانوقت ، این بحث پیش آمد که تاکنون کتابها و رسالات متعددی در باره ابوریحان بوسیله محققین و دانشمندان ایرانی و خارجی عرضه شده اما همه آنها در سطحی است که

برای خواص اهل علم می‌تواند مفید فایده باشد و چه خوبست که در این زمینه کتاب یا رساله‌ئی که قابل استفاده همگان باشد تألیف و از جانب دانشگاه اصفهان چاپ و منتشر گردد. خوشبختانه آقای دکتر غلامعلی کریمی انجام این مهم را بهمه گرفت و به تکمیل پژوهشهای قبلی خود همت گماشت و با تلاشی پی گیر در ظرف زمانی نسبتاً فشرده و کوتاه بتدوین کتاب حاضر که بدو زبان فارسی و عربی است توفیق یافت.

مؤلف ارجمند، در این کتاب، زندگی و آثار ابوریحان را از جنبه‌های مختلف ادبی، علمی، فلسفی و انسانی طی مباحثی مستند، با بیانی ساده و شیوا بطوریکه برای همه طبقات قابل درک باشد، مورد بررسی قرار داده و در آخرین بخش آن (که عنوان کتاب هم مأخوذ از آنست) به نیروی خیال، استاد پیرا پس از گذشت ده قرن بسخن گفتن واداشته و آوای ملکوتی او را بگوش جوانان و دانشجویان و استادان ایران و دیگر سرزمینهای اسلامی رسانیده است.

ضمن آرزوی مزید توفیق برای این همکار گرامی بمقتضای سالها مسئولیت و خدمت دانشگاهی و آشنا بودن بدردهای راستین دانشگاهها و دانشگاهیان، (آوای ابوریحان) را بصورتی که مطالعه خواهند نمود، ندائی درمانگر میدانم و بگوش جان شنیدن آن را بهمه استادان و دانشجو-ویان و دانش پژوهان عزیز کشور توصیه میکنم.

دکتر قاسم معتمدی

رئیس دانشگاه اصفهان

مهر ماه ۱۳۵۲

قطره‌ام من وصف دریا چون کنم ؟ ❁❁

گل کم است و خار بس بسیار هست	باغ را ریحان و گل با خار هست
قیمت باغ از گل و ریحان بود	گر شمار خار بی پایان بود
حاصلش جز رنج و آه سرد نیست	خار را جز نیش و زخم و درد نیست
شادی جانها فزونتر می‌کند	گل مشام جان معطر می‌کند
عاجز است از وصف ریحان بیگمان	خار با آن تیزی و تیغ زبان
کی توانم وصف بوریحان کنم ؟	خارم و ور خود زبان از جان کنم
این هوس باید ز سر بیرون کنم .	قطره‌ام من وصف دریا چون کنم ؟

اصفهان فروردین ماه ۱۳۵۲

* مقرر چنین بود که در یکی از روزهای فروردینماه گذشته ، در برابر استادان و دانشمندان و دانشجویان ، درباره شخصیت شگفت ابوریحان سخن بگویم و این سخت دشوار بود ، که اندك مایه‌یی چون من ، هر چه درباره استاد بی‌همالی که « درهر فن بمثل مرد يك فن » بوده است ، میگفت ، سراسر نارسایی بود و ناتمامی ؛ در آن روز ، عذر نارسایی‌ها را ، با این ابیات - که ساعتی پیشتر ساخته بودم - آغاز سخن کردم .

اینك نیز ، پوزش خواهی لغزش‌ها و ناتمامی‌ها را طریقی به از آنکه با همان ابیات آغاز سخن کنم ندیدم .

ابوریحان بیرونی

زادروز و زادگاه وی :

ابوریحان ، محمد بن احمد بیرونی خوارزمی ، یکی از بزرگترین دانشمندان ایرانی اواخر قرن چهارم و نیمه اول قرن پنجم هجری است ، وی در روز سوم ذی الحجه سال ۳۶۲ هجری قمری برابر با سپتامبر ۹۷۳ میلادی در خانواده‌یی ایرانی چشم بجهان گشوده است (۱) .

در باره زادگاه ابوریحان و نسبت او به بیرونی و اینکه آیا بیرون نام زادگاه او است ، و اگر چنین است در کجا واقع بوده است ، اقوالی مختلف وجود دارد . در ضبط کلمه بیرون نیز میان تازی نویسان که آنرا همواره بفتح باء «الْبِیرونی» نوشته‌اند و فارسی زبانان که همیشه آنرا با کسر باء گفته‌اند و میگویند ، اختلاف هست .

شهرزوری در کتاب «نزهة الارواح و روضة الافراح فی تواریخ الحكماء» بیرون را شهری در سند میداند خوش آب و هوا و در آن غرائب و شگفتیها (۲) . ابن ابی اصیبعه نیز در «عیون الانباء» با وی هم‌آواز می‌شود و بیرون را شهری واقع در سند میخواند (۳) ، یاقوت حموی در معجم الانباء با آنکه خود زادگاه ابوریحان را یکی از روستاهای خوارزم می‌پندارد ، از قول یکی از دانشمندان نقل می‌کند که ابوریحان را از آنروی بیرونی گفته‌اند

۱- رک . Encyclopedie de l'Islam, T, 1, P, 1273

۲- «... و بیرون مدینه بالسند ... و بیرون هی التي منشأه و مولده بلدة طيبة فيها

غرائب و عجائب .. رک . مقدمه اووارد زاحائو بر الاثار الباقية ص ۱۱۱ L

۳- : «هو الاستاذ ابو الريحان... منسوب الى بیرون وهي مدينة فی السند...» رک .

عیون الانباء چاپ بیروت الجزء الثالث القسم الاول ص ۲۹

که روزگاری دراز بیرون از زادگاه خود خوارزم ، بسر برده است (۱) .
جلال‌الدین سیوطی نیز در « بغیة الوعاة » سبب نسبت ابوریحان را به بیرونی ،
درازی زمانی که از خوارزم دور بوده است می‌داند (۲)

بررسی این اقوال

قول شهرزوری و ابن ابی أصبحة که بیرون را نام شهری واقع در سند
پنداشته‌اند بیگمان برخطاست ؛ چه ، چنین شهری بدین نام در سند وجود نداشته
است و « آنکه در سند است بیرون با نون است نه بیرون با باء و آن رانیرون
کوت و حیدرآبادگویند » (۳) .

اینکه درازی زمان دوری ابوریحان از خوارزم سبب نسبت او به بیرونی
بوده باشد نیز درست نمی‌نماید چه ، گذشته از اینکه دور بودن از خوارزم
و جهی منطقی برای اطلاق نسبت بیرونی نیست و هیچگونه دلیل و سند معتبری
نیز درستی آن را تأیید نمی‌کند ، تا آنجا که میدانیم نسبت بیرونی همواره با نام
ابوریحان همراه بوده و اختصاص بدوره خاصی از زندگی وی نداشته است .
اما آنچه که سمعانی در کتاب مشهور خود الانساب که تنها یک قرن پس
از درگذشت ابوریحان تألیف یافته ، در باره کلمه بیرونی آورده است
معنی درست این کلمه و زادگاه ابوریحان را روشن می‌سازد. سمعانی می‌گوید:

۱- « ... و هذه النسبة معناها البرالی لان بیرون بالفارسیة معناه برأ ، و سألت
بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قلیلا ، و اهل خوارزم یسمون الغریب
بهذا الاسم ، کأنه لما طالت غربته عنهم صار غریباً ، و ما أظنه یراد به الا أنه من أهل
الرساق یعنی أنه من البرالبد... » رک . معجم الادباء چاپ مصر ج ۱۷ ص ۱۸۰

۲- « ... لان مقامه بخوارزم وکان جیلا و هم یسمون الغریب بهذا الاسم فلما طالت
غربته عنهم صار غریباً ... » رک . بغیة الوعاة ، چاپ قاهرة ، ص ۲۰

۳- رک . « شرح حال نابغه شهیر ایران ، علی اکبر دهخدا ص ۱

در آن روزگار ، در خوارزم ، هر که را در خارج شهر تولد می‌یافته و از خود شهر نبوده است بیرونی میخوانده‌اند و ابوریحان باین نسبت مشهور است (۱) گفته سمعانی که با استنباط شخصی یاقوت نیز ، چنانکه اشاره کردیم ، هماهنگی دارد، روشن می‌سازد که زادگاه ابوریحان یکی از روستاهای بیرون شهر گرگانج مرکز ولایت خوارزم بوده است

اما درباره سبب ضبط کلمه بیرونی بفتح باء ، در عربی باید گفت که نظر پروفیسور ادوارد زاخائو منطقی و پذیرفتنی بنظر میرسد :

وی میگوید چون یاء کلمه بیرون مجهول بوده است و این کلمه در روزگاران گذشته بهمان صورت کسره مشبعه تلفظ میشده است و از آنجا که تلفظ یاء مجهول فارسی ، در میان حروف عربی به یاء ساکن ما قبل مفتوح از همه شبیه‌تر است تازی نویسان آن را بآنصورت (بفتح باء) ضبط کرده‌اند (۲)

محیط پرورش ابوریحان

از دوران کودکی و تحصیلات ابتدائی ابوریحان آگاهی درستی در دست نداریم و برای آنکه محیط پرورش وی و دیگر دانشمندان نام‌آور آن

۱- قول سمعانی در مقدمه‌یی که ادوارد زاخائو بر الاثار الباقیة نوشته چنین آمده است : «البیرونی بفتح الباء الموحدة و سکون الیاء آخر الحروف و ضم الراء بعدها الواو و فی آخرها نون هذه الفسبة الی خارج خوارزم فان بها من یکون من خارج البلد ولا یکون من نفسها یقال له فلان بیرونی ست و یقال بلغتهم انبیثک ست و المشهور بهذه النسبة ابوریحان المنجم .. » رک مقدمة الاثار الباقیة ص ۱۱۱ XV . و ما از بخت بد بر نسخه‌ئی که مورد استفاده زاخائو بوده است دست نیافتیم اما در نسخه چاپ حیدرآباد (سال ۱۹۶۳ ، مطبعه دائرة المعارف العثمانیة) که در دسترس بود «البیرونی بکسر الباء ..» نوشته شده و در حاشیه کتاب نیز اشاره شده است که برخی از نسخه بدلها البیرونی را «بکسر باء» و برخی «بفتح باء» ضبط کرده‌اند. رک . الانساب چاپ حیدرآباد الجزء الثانی ص ۳۹۲

۲- رک . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علی اکبر دهخدا ص ۳۹۲

روزگار را بشناسیم جا دارد که باوضاع سیاسی و اجتماعی و فرهنگی ایران در قرن چهارم و نیمه اول قرن پنجم نظری سریع بیفکنیم .

میدانیم که قدرت یافتن غلامان ترك در بغداد و چیرگی آنان بر دستگاه خلافت که از زمان معتصم (۲۱۸-۲۲۱) آغاز شده بود (۱) از میانه قرن سوم هجری ببعد بیش از پیش فزونی میگیرد و کار بجائی میرسد که خلفا ، در دست امیران ترك باز یچه هائی نیستند . (۲) در نتیجه ، بغداد ؛ آن کانون درخشان فرهنگ و دانش و هنر که در دوره نخستین روزگار عباسیان ، باهمت وزیران و کاتبان و دانشمندان و مترجمان ایرانی ، (۳) بآن درجه از جلال و شکوه معنوی و مادی رسیده بود ، جایگاه تعصب و خامی و ناامنی و نابسامانی میشود (۴) و قدرت مرکزی امپراطوری اسلام بسستی میگراید و ایالات شرقی و غربی آن علم استقلال برمی افرازند .

مردم ایران که از اواخر قرن اول هجری برای کسب استقلال از دست رفته میهن خویش کوشش و جانبازی آغاز کرده و در قرن های دوم و سوم ، مجاهدات خود را در این باره فزونی بخشیده بودند ، (۵) در این دوره رفته رفته استقلال کشور خویش را دوباره بدست می آورند و باحیاء زبان و ادب و فرهنگ ملی خویش نائل میشوند .

تجزیه امپراطوری اسلام و تشکیل حکومت های مختلف اگر چه موجب

۱- رك . تاريخ ادبيات در ايران ، دكتور ذبيح اله صفا ج ۱ ص ۱۷

۲- همان كتاب و همان صفحه

۳- برای آگاهی از نقش ایرانیان در تکوین تمدن اسلامی در دوره اول حکومت

عباسیان رك . ضحی الاسلام ، احمد امین ، الجزء الاول ص ۱۷۱ - ۲۳۹

۴- رك . تاريخ ادبيات در ايران ، دكتور صفا ، ج ۱ ص ۱۹۸ ببعد و نیز رك . تاريخ

الادب العربی ، احمد حسن الزیات ، ص ۲۱۳

۵- رك . تاريخ ادبيات در ايران ، دكتور صفا ، ج ۱ ص ۲۹-۳۳

ضعف حکومت مرکزی اسلام میگرد اما خود در پیشرفت ادب و فرهنگ و دانش و صنایع اسلامی تأثیری بزرگ دارد زیرا هر یک از حکومتها ، برقابت با بغداد ، میکوشد تا شاعران و گویندگان و دانشمندان بیشتری را در دربار خویش گرد آورد و بدین ترتیب هر پایتختی برای اهل دانش و هنر بصورت قبله‌یی و پناهگاهی در می‌آید (۱)

اگر صفاریان بواسطه گرفتاریهای جنگی و کوتاهی دوران فرمانروایی و محدودیت قلمروشان فرصت آن را نیافتند تا بآداب و دانش و فرهنگ ، چنانکه باید ، بپردازند (۲) ، سامانیان که روزگار نسبتاً درازی از این دوره را بر خراسان و سیستان و ماوراءالنهر و گزرگان فرمانروایی داشتند می‌توانند باهمت وزیران دانشمند و دانش دوستی چون جیهانی (۳) و بلعمی (۴) بخارا و سمرقند را بصورت مراکز درخشان دانش و فرهنگ در آورند . آنان با تشویق سخن‌سرایان بوستان شعر و ادب فارسی را شکوفا و بارور می‌سازند

۱- ر.ک . تاریخ ادبیات در ایران ؛ دکتر صفا ، ج ۱ ص ۲۰۲

۲- همان کتاب ص ۳۳ - ۴۰

۳- جیهانی ، (ابو عبدالله احمد بن محمد بن نصر ، از رجال ادب و سیاست اواخر قرن چهارم ه . وی ی از سال ۳۶۵ ه ق بوزارت منصور بن نوح سامانی انتخاب شد و در ۳۶۷ از وزارت معزول گردید و عتبی بجای او منصوب شد جیهانی کتابی در جغرافیا تألیف کرد بنام کتاب « المسالك والممالك » و « کتاب رسائل » نیز از اوست ر.ک . فرهنگ فارسی معین جلد پنجم اعلام .

۴- بلعمی ، ابو الفضل محمد بن عبدالله بلعمی (متوفی ۳۳۰ ه) و پسرش ابوعلی محمد بن محمد بن عبدالله (متوفی ۳۶۲ ه) از وزیران دانشمند روزگار سامانیان بوده‌اند و به گسترش دانش و فرهنگ و زبان و ادب فارسی خدماتی بزرگ کرده‌اند ابوعلی بفرمان منصور بن نوح سامانی به ترجمه و تألیف تاریخ بلعمی همت گماشته است این کتاب از آن روی که مأخذ اصلیش تاریخ «الرسال والملوک» محمد بن جریر طبری بوده به ترجمه تاریخ طبری مشهور گشته است اما کار بلعمی در حقیقت اقتباس از تاریخ طبری است و ترجمه کامل آن ، و مؤلف از منابع دیگر نیز استفاده کرده است .

و باگرامی داشت دانشمندان به گسترش و پیشرفت دانشهای بشری خدمتی بسزا می‌کنند(۱)

بیگمان راز پیروزی سامانیان و دیگر حکومتهای ایرانی این دوره (۲) در گسترش ادب و فرهنگ در این نکته بوده است که آنان پایه‌های حکومت خویش را بر مبنای احساسات ایران دوستی و زنده ساختن آداب و رسوم کهن ایرانی قرار می‌دهند (۳). چه ، بدینگونه از نعمت محبت و همدلی و همداستانی مردم ایران برخوردار میشوند و این امر مایه قدرت و نفوذ و دوام حکومت آنان می‌گردد.

مردم ایران که هنوز خونخواریهای کارگزاران بنی‌امیه (۴) و فریبکاریها و نامردمیهای عباسیان را فراموش نکرده‌اند ، مردمی که از دیرباز آرزوی رهائی از بند گران حکومت بیگانه را داشته‌اند ، در حقیقت همه آرزوهای ملی خویش را در حکومت سامانیان برآورده می‌بینند چه ، با بر روی کار آمدن آنان ، بجای حاکمان ستمگر بیگانه ، کسانی را بر مسند فرمانروایی می‌بینند که به نژاد ایرانی خویش مباحثات‌ها می‌کنند و بزرگداشت ایران و احیاء سنت‌ها و آداب و رسوم ایرانی را وجهه همت خویش قرار داده‌اند و جشن‌های

۱- دك . تاريخ ادبيات در ايران ، دكتر صفا ، ج ۱ ص ۲۰۴-۲۰۷

۲- دك . همان كتاب ، ج ۱ ص ۲۰۳-۲۱۴

۳- همان كتاب ج ۱ ص ۲۰۶

۴- همان كتاب ص ۱۲-۱۱

ایرانی سده (۱) و مهرگان (۲) را باشکوه تمام برگزار میکنند . بیهوده نیست اگر در این روزگار حماسه های ملی ایران از نو زنده میگردد و کاخ بلند شاهنامه چنان پی افکنده میشود که هرگز از باد و باران گزند نیابد .
احترام دانشمندان و شرکت در مجالس بحث و گفتگوی آنان از جمله سنت های کهن ایرانی است که امرای سامانی ، همانند دیگر سنت ها ، بدان توجه بسیار میکنند (۳) آنان در هفته شبهای خاصی دانشمندان را بحضور می پذیرند و در مباحثاتشان شرکت میجویند و از این راه بقدر و منزلت آنان می افزایند و پیداست که اینگونه تشویق ها از طرف پادشاهان و رعایت این سنت که از یادگارهای انوشیروان است (۴) و برخی از خلفای عباسی نیز

۱- «سده» (جشن سده در ۱۰ بهمن یعنی صد روز پس از آغاز زمستان پنج ماهه ایران باستان گرفته میشد) جشنی که در ایران باستان و قرون اولی اسلام در روز دهم بهمن ماه گرفته میشد و در آن جشن آتش افروزی میکردند این جشن را زردشتیان هنوز هم برپا میدارند» رك . فرهنگ فارسی معین

۲- مهرگان «... روز شانزدهم هرماه - که بمهر روز موسوم است - مخصوص بفرشته فروغ یعنی «مهر» است در روز مهر (شانزدهم) از ماه مهر ایرانیان جشن بسیار بزرگی برپا میداشتند . بقول بندهشن «مشیا» و «مشیان» (آدم و حوای آریائی) در چنین روزی تولد یافته اند . این جشن بزرگ شش روز طول میکشید از روز شانزدهم مهر آغاز میگردد و به روز بیست و یکم - که رام روز باشد - ختم میشد روز آغاز را «مهرگان عامه» و روز انجام را «مهرگان خاصه» میگفتند . در ایران در عهد بسیار قدیم فقط دو فصل داشتند اول تابستان (Hama) دوم زمستان (Zayana) . نوروز جشن آغاز تابستان است و مهرگان جشن آغاز زمستان...» رك . فرهنگ فارسی معین و برای آگاهی از چگونگی برگزاری این جشن و جشن سده در دوره نخستین روزگار عباسیان رك . تاریخ الاسلام السیاسی والدینی والثقافی و الاجتماعی ، دکتر حسن ابراهیم حسن ج ۲ ص ۲۸۰

۳- رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح اله صفا ج ۱ ص ۲۸۰

۴- رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح اله صفا ج ۱ ص ۲۳

آنها را بتقلید از ساسانیان ، اقتباس کرده اند (۱) تاچه پایه مایه تشویق دانشمندان و پیشرفت دانش میشده است .

از آنجا که پیوند سامانیان با مردم ایران ، چنانکه اشارت رفت ، پیوند ملی و میهنی بوده است آنان ، برخلاف ترکان غزنوی و سلجوقی که پیوندی میان خود و مردم ایران ، جز دین ، نمی توانستند یافت ، مردم را در معتقدات مذهبی و شیوه اندیشه خویش آزاد میگذارند و از اینروی در روزگار آنان آن سختگیری ها و تعصب ها که در عهد ترکان رواج می یابد دیده نمیشود : ابو عبدالله جیهانی وزیر سامانیان ظاهراً بر مذهب مانوی بوده است (۲) ، نصر بن احمد و نوح بن منصور خود با سماعیلیان پیوسته اند (۳) و دقیقی شاعر آشکارا خود را زردشتی میخوانده است (۴) عیسوی و زردشتی و شیعی و سنی و ... همه با آزادی در کنار یکدیگر می زیسته اند و پیدا است که اینهمه بلند نظری و آزاد اندیشی نیز تاچه پایه در پیشرفت دانش و فرهنگ و تربیت دانشمندان تأثیر داشته است .

خاندان های ایرانی دیگری که همزمان با سامانیان ، هر يك بر ناحیه یی از ایران فرمانروائی داشته اند (۵) نیز بر طریق سامانیان گام برمیداشته اند و هر

-
- ۱- رك . ظهر الاسلام ، احمد امین ، ص ۲۲۹ - ۲۳۱ و نیز رك . تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، دکتر حسن ابراهیم حسن ، ج ۳ ص ۵۱۸ ببعد و رك . مروج الذهب ، مسعودی ، چاپ مصر ، ج ۴ ص ۲۴۵
 - ۲- رك . مانی و دین او ، سید حسن تقی زاده ، حاشیه ص ۱۶۳
 - ۳- رك . تاريخ ادبيات در ایران ، دکتر صفا ج ۱ ص ۲۴۷
 - ۴- دقیقی چهار خصلت برگزیده بگیتی از همه خوبی و زشتی
لب یا قوت رنگ و ناله چنك می خون رنگ و دین زرد هشتی
 - رك . تاريخ ادبيات در ایران ، دکتر صفا ج ۱ ص ۴۰۹
 - ۵- رك . همان کتاب ، ج ۱ ص ۲۰۴-۲۱۴ و نیز ص ۲۱۷-۲۱۹

يك گروهی از اهل دانش و هنر را در دربار خود نگاهداری و تشویق و حمایت می کرده اند و با صله بخشی های خود آنان را بگسترش دانش و ادب و فرهنگ و امید داشته اند ، (۱) ابوریحان ، دانشمند نامداری که بررسی احوال و آثار و جوانب مختلف شخصیتش موضوع این مقال است ، در چنین روزگار و چنین اوضاع و احوالی پرورش یافته است . روزگاری که ابتدا دانشمندانی نظیر محمد بن زکریای رازی و ابونصر فارابی و علی بن عباس مجوسی اهوازی (۲)

۱- از آن جمله است ابوالعباس مأمون خوارزمشاه که درباره دانش دوستی و تشویق و حمایت وی از اهل دانش ، در چهار مقاله عروزی چنین آمده است: «ابوالعباس مأمون خوارزمشاه وزیری داشت نام او ابوالحسن احمد بن محمد السهلی ، مردی حکیم طبع و کریم نفس و فاضل ، و خوارزمشاه همچنین حکیم طبع و فاضل دوست بود و بسبب ایشان چندین حکیم و فاضل بر آن درگاه جمع شده بودند چون ابوعلی سینا و ابوسهل مسیحی و ابوالخیر خمار و ابوریحان بیرونی و ابونصر عراق . اما ابونصر برادرزاده خوارزمشاه بود و در علم ریاضی و انواع آن ثانی بطلمیوس بود و ابوالخیر خمار در طب ثالث بقراط و جالینوس بود و ابوریحان در نجوم بجای ابومعشر و احمد بن عبدالجلیل بود و ابوعلی سینا و ابوسهل مسیحی خلف ارسطاطالیس بودند در علم حکمت که شامل است همه علوم را . این طایفه در آن خدمت از دنیاوی بی نیازی داشتند و با یکدیگر انسی در محاورت و عیشی در مکاتبت میکردند..» رک . چهارمقاله ، باهتمام دکتر محمد معین ، چاپ تهران ۱۳۴۱

ص ۱۱۸

۲- «بزرگترین طبیب اسلامی بعد از رازی علی بن عباس مجوسی اهوازی طبیب عضدالدوله است . وی شاگرد پزشك بزرگ ایرانی ابوماهر موسی بن سیار قمی بوده است . وفات او در سال ۳۸۴ بوده و چون بردین زردشتی بود او را مجوسی گفته اند . از کتاب مشهور او کامل الصناعة فی الطب معروف به الطب المملکی و کنش عضدی نسخ بسیار در دست است و چندبار بطبع رسیده . این کتاب بیست مقاله دارد که در تمام ابواب علم طب بتفصیل نوشته شده و پیش از قانون کاملترین کتاب در فن طب شمرده میشد و بعد از تألیف کتاب قانون هم همواره جزو کتب مهم مورد مطالعه و استفاده اهل فن بوده است این کتاب بلاتینی ترجمه شده و آن ترجمه چندبار بطبع رسیده است» رک . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۳۴۶

و سپس نام آورانی چون ابن سینا و ابوسهل مسیحی (۱) و غیر آنان را بجهان دانش تقدیم داشته است اما چه می توان کرد که آن آزاداندیشی و بلندنظری را بر مردم ایران ، «روزگار برنپسندید و فلك روا نداشت!» بدبختانه هم در این عهد است با روی کار آمدن ترکان ، ترکانی که جز دین هیچ چیز آنان را با مردم ایران پیوند نمی داد ، سیاستی مذهبی ، که سخت گیری و تعصب از تبعات اجتناب ناپذیر آنست ، جانشین سیاست ملی همراه با آزاداندیشی سامانیان می گردد و رفته رفته دشمنی با علوم عقلی و کینه توزی با دانشمندان آغاز می شود و موجب آن می گردد که از قرن پنجم بعد دیگر در سراسر شرق دانشمند نام آوری که با دانشمندان بزرگ این دوره پهلوی تواند زد بوجود نیاید .

زندگی ابوریحان و آثار وی

ابوریحان بیگمان تحصیل دانش را از خردسالی در خوارزم آغاز کرده است . وی تا سن بیست و پنج سالگی در آن دیار باقی مانده و در این مدت نزد استادانی نظیر ابونصر منصور بن علی بن عراق (۱) ریاضی دان بزرگ فراگرفتن دانش را دنبال کرده است . این ابونصر ، استاد ابوریحان ، از

۱- ابوسهل مسیحی طبیب مشهور معاصر ابن سینا است که در دربار ابوالعباس مأمون خوارزمشاه میزیسته و بنا بر روایت چهارمقاله در سال ۴۰۳ هجری قمری هنگامیکه به همراهی ابوعلی سینا ، برای رهائی از چنگال محمود غزنوی ، از خوارزم بگریگان میگریخته در بیابان خوارزم در گذشته است . از این دانشمند کتاب مشهور «المائة فی الصناعة الطبية» که همه ابواب پزشکی را دربرمیگیرد و همچنین رسالاتی چند ، هم در پزشکی برجای مانده است . ابوسهل در هندسه و نجوم و حکمت نیز دستی داشته و در این زمینه ها نیز آثاری نوشته است . رک . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۳۴۶

۲- ابونصر عراق (اضافه اسم پدر) از برجستین ریاضی دانان و منجمان روزگار خویش بوده و در آن علوم تألیفاتی داشته و نیز دوازده رساله بنام ابوریحان نوشته است . رک . تعلیقات چهارمقاله ص ۴۱۹-۴۲۲

خاندان آل عراق ، پادشاهان قدیم خوارزم است که حکومتشان بر آن ناحیه از روزگاران پیش از اسلام آغاز گشته و تا سال ۳۸۵ هجری قمری که آخرین آنان بدست مأمون بن محمد سرسلسله مأمونیان خوارزم کشته شد ، بر خوارزم حکومت کرده اند . ابوریحان از این خاندان که بعلم و ادب توجهی داشته اند نیکویی ها دیده است (۱)

ابوریحان هم در خوارزم بنوشتن چند کتاب پرداخته و باب مکاتبه را در مسائل فلسفی بابوعلی سینا ؛ نابغه جوان بخارا که هفت سال از وی کوچکتر بوده گشوده است (۲) .

بنظر میرسد که ابوریحان شخصاً بدیدار منصور بن نوح سامانی (۳۸۷-۳۸۹) نائل آمده باشد . چه ، از وی بعنوان نخستین مشوق خویش به نیکی یاد کرده است . (۳)

ابوریحان ظاهراً از سال ۳۸۸ ه یعنی هنگامیکه شمس المعالی قابوس بن وشمگیر از تبعید گاه بتخت سلطنت خویش باز میگشت به گرگان به خدمت وی میرود و مورد اکرام بسیار قرار میگیرد؛ (۴) شمس المعالی قابوس ، چنانکه میدانیم پسر وشمگیر و برادرزاده مردآویج سرسلسله آل زیار است . این خاندان ایرانی در آن روزگار بر ناحیه گرگان فرمانروایی داشته اند . مردآویج در میهن پرستی و گرامیداشت رسوم و آداب ملی مشهور است وی در سال ۳۲۳

۱- رك . تاريخ ادبيات در ايران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۲۰۷

۲- رك .

1,Article de D.J. Boilot dans l'Encyclopedie de
l'Islam .T,1,P.1273-1275

۳- همان مصدر

۴- همان مصدر

هجری میخواست پس از برپای داشتن جشن سده در اصفهان ، بیغداد بتازد و خلیفه را از میان بردارد و کاری را که سردار بزرگ ایرانی یعقوب با فرارسیدن مرگش ناتمام گذارده بود بانجام برساند . اما ، بدبختانه بدست غلامان ترك خویش در حمام ، از پای درآمد و داستان آن مشهور است (۱)

شمس المعالی قابوس ، برادرزاده مردآویج و حامی ابوریحان خود از نویسندگان و شاعران بزرگ بشمار است . وی بدو زبان فارسی و عربی شعر میسروده و کتاب کمال البلاغة نشانه دانش بسیار وی در ادب و حکمت است (۲)

بیهوده نیست اگر خسروی سرخسی شاعر (۳) در دستگاه او راتبه داشته (۴) و امثال ابوالفرج علی بن حسین بن هندو ، ادیب و حکیم بزرگ (۵) و ابوریحان

۱- رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ، ص ۲۱۱-۲۱۲

۲- رك . همان کتاب ج ۱ ص ۲۱۲

۳- ابوبکر محمد بن علی خسروی سرخسی از شاعران و دانشمندان قرن چهارم است . وی به دو زبان تازی و پارسی شعر میگفته و با علوم اوائل آشنائی داشته است . آگاهی وی از فلسفه موجب شده است که برخی از مضامین و مصطلحات فلسفی در شعرش راه یابد و از همین روی به « حکیم » ملقب گردد . خسروی ، شمس المعالی قابوس و صاحب بن عباد و ناصرالدوله ابوالحسن محمد بن ابراهیم سیمجور را مدح میگفته و از قابوس و صاحب بن عباد وظیفه سالیانه میگرفته است . رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۴۲۳-۴۳۴

۴- رك . همان کتاب ج ۱ ص ۲۱۲

۵- ابوالفرج علی بن حسین بن هندو از حکیمان و ادیبان و شاعران مشهور نیمه دوم قرن چهارم و اوائل قرن پنجم هجری است وی در نیشابور پرورش یافته و در آنجا ، در خدمت ابوالحسن الوائلی بآموختن علوم اوائل پرداخته و پس از آن بیغداد رفته و در سلك کاتبان عضالدوله دیلمی درآمد . ابن هندو سپس بگرگان بخدمت شمس المعالی قابوس رفته و چندی در خدمت وی بسر برده و پس از قابوس نیز مدتی در خدمت پسرش فلك المعالی منوچهر (۴۰۳-۴۲۰) مانده و سرانجام در همان دیار در گذشته است از تألیفات وی میتوان کتابهای « الکلم الروحانية من الحكم اليونانية » و « المقالة المشوقة فی المدخل الی علم الفلك » و « مفتاح الطب » و دیوان شعر وی را نام برد . رك . معجم الادباء ج ۱۳ ص ۱۳۶-۱۴۶ و نیز رك . الاعلام ، الزرکلی ، و تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۳۰۲-۳۰۳

بیرونی مورد اکرام و حمایت او قرار می‌گرفته‌اند

ابوریحان روزگار نسبتاً درازی را در دربار قابوس می‌گذراند و هم در آنجاست که نخستین اثر بزرگ خود «الآثار الباقية عن القرون الخالية» را احتمالاً در سال ۳۹۰ هـ (۱) بنام قابوس تألیف میکند. این کتاب ارزشمند که مطالب گوناگونی از قبیل گناه شماری و تقویم و مسائل مهم ریاضی و نجومی و تاریخی و ... را در بردارد؛ نخستین بار در سال ۱۸۷۸ در لایپزیک بوسیله پروفیسور ادوارد زاخائو بطبع رسیده است (۲)

ابوریحان با آنکه ایرانی است و زبان مادریش گویش ایرانی خوارزمی، زبان عربی را که در آن روزگار زبان دانش و فرهنگ دنیای اسلام بوده است، برای نوشته‌های خویش برمیگزیند. اما بعدها برخی از آثارش را بفارسی و یا بهردو زبان نیز تألیف میکند (۳)

وی پیش از سال ۳۹۹ هجری قمری بزادگاه خود خوارزم باز می‌گردد و مورد احترام و اکرام خوارزمشاه ابوالحسن علی بن مأمون قرار می‌گیرد و پس از درگذشت این پادشاه نیز مدت هفت سال در دربار برادرش ابوالعباس مأمون بن مأمون با احترام بسر می‌برد؛ بیرونی در این مدت گذشته از شخصیت و مقام علمی نقش‌های حساس سیاسی نیز، چنانکه خواهیم دید، بعهده داشته است.

پس از آنکه در سال ۴۰۷ خوارزمشاه مأمون بن مأمون بدست سپاهیان طغیان کرده خویش کشته میشود و کشورش بدست سلطان توانای غزنوی، محمود بن سبکتکین می‌افتد، ابوریحان را بفرمان محمود، بهمراهی گروه

1, Encyclopedie de l'Islam. T. 1, p. 1273-1275

-۱

۲- همان مصدر

۳- همان مصدر

بیشماری زندانی ، در بهار ۴۰۸ بغزنه می‌برند (۱) . در میان زندانیان جمعی از دانشمندان و ادیبان و از جمله ابونصر عراق استاد ابوریحان و ابوالخیر حسین بن بابا الخمار (۲) نیز بوده‌اند (۳) ، ابوعلی سینا ظاهراً پیش از آن تاریخ بهمراهی ابوسهل عیسی بن یحیی المسیحی ، پزشک معروف ، خوارزم را بقصد گرگان ترك گفته بوده است . (۴)

ابوریحان ، از آن پس ، ناچار در دربار غزنه میماند و ظاهراً سمت منجم رسمی دربار می‌یابد (۵) و در لشکرکشی‌های محمود بشمال غربی هند وی را همراهی میکند .

ابوریحان در هند بتدریس دانشهای یونانی می‌پردازد (۶) و در برابر با آموختن زبان سانسکریت و گویشهای مختلف آن ، آگاهی‌های ارزشمند بسیاری درباره دانشها و معتقدات و آداب هندیان بدست می‌آورد و همه را در کتابی که درباره هند با عنوان « تحقیق ماللهند من مقوله مقبولة فی العقل او

۱- رك . L,EncycloPédie de l'Islam.T.1,P.1274

۲- ابوالخیر حسین بن خمار دانشمند بزرگ ایرانی از پزشکان و حکیمان و مترجمان بنام قرن چهارم هجری است وی کتب فلسفی بسیاری را از سریانی عبری ترجمه کرده و برمنطقیات ارسطو توضیحات و تعلیقاتی افزوده است . ابن ندیم در باره این دانشمند چنین مینگارد : « ابن الخمار و هو ابوالخیر الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام فی زماننا من افاضل المنطقیین ممن قرأ علی یحیی بن عدی ، فی نهاية الذكاء والفطنة والاضلاع بعلوم أصحابه ، و مولده فی شهر ربیع الاول سنة احدى و ثلاثین و ثلاثمائة و له من الکتب کتاب الهیولی ، مقالة . کتاب الوفاق بین رأی الفلاسفة والنصارى ، ثلاث مقالات . کتاب تفسیر ایساغوجی ، مشروح . کتاب ایساغوجی ، مختصر . کتاب الصدیق والصدقة ، مقالة . کتاب سیرة الفیلسوف مقالة . کتاب الحوامل ، مقالة فی الطب ... » رك الفهرست ، تحقیق رضا تجدد ص ۳۲۳

۳- رك L,Encyclopedie de l'Islam T.1,P. 1274

۴- رك . چهارمقاله ، مصحح دکترمعین ، ص ۱۱۹

۵- رك L,EncycloPédie de l'Islam T.1,P.1274

۶- رك . ماللهند . چاپ حیدرآباد . ص ۱۰۶

مرذولة» تألیف می کند ، جمع می آورد؛ وی این اثر را کمی پس از درگذشت محمود یعنی در سال ۴۲۱ به پایان میبرد. (۱) ادوارد زاخائو این کتاب را نیز در سال ۱۸۸۷ در لندن بطبع رسانده و سال بعد بانتشار ترجمه انگلیسی آن نیز هم در لندن ، مبادرت ورزیده است .

یکسال پیش از تألیف ماللهند ، ابوریحان کتاب پراهمیت دیگری بنام « التفهیم لأوائل صناعة التنجیم » را که خلاصه‌ئی از علوم هندسه وحساب و هیئت و احکام نجوم را در برمیگیرد به دوزبان عربی و فارسی ، (۲) بنام ریحانه دختر حسین خوارزمی ، نگاشته است ؛ نسخه عربی این کتاب در سال ۱۹۳۴ در لندن بوسیله R,Ramsy همراه با ترجمه انگلیسی آن بطبع رسیده است و نسخه فارسی آن را استاد فرزانه جلال الدین همایی تصحیح فرموده و در سال ۱۳۱۸ در تهران بچاپ رسانیده‌اند

پس از این دو کتاب ارزشمند ، ابوریحان چهارمین اثر بزرگ خود «القانون المسعودی فی الهیئة والنجوم» را در روزگار مسعودغزنوی (۴۲۱-۴۳۲) به پایان میبرد و سپس در روزگار مودودبن مسعود (۴۳۲-۴۴۱) به تألیف کتاب پراهمیت دیگری در معدن شناسی بنام «الجماهر فی معرفة الجواهر» همت میگمارد ، این کتاب را F.Frenkw در سال ۱۹۳۶ میلادی در حیدرآباد بطبع رسانیده است.

۱- رك . L,EncycloPedie de l,Islam.T,1,P. 1274

۲- دراین که یکی از این دو کتاب ترجمه دیگری است جای تردید نیست اما بدرستی نمیدانیم که ابوریحان ابتدا کتاب التفهیم را بفارسی تألیف کرده است یا بعربی ؟ برخی شواهد و از جمله نوشتن کتاب برای ریحانه دختر حسین خوارزمی که دختری ایرانی است (هرچند که ریحانه و پدرش را نیز امروز بدرستی نمی شناسیم) نشان میدهد که التفهیم ابتدا بفارسی تألیف شده و سپس مؤلف خود آن را بعربی گردانده است . رك . مقدمه استاد جلال الدین همایی بر کتاب التفهیم

در کتاب ارزشمند دیگری که در زمینه پزشکی و داروشناسی بنام «الصیدلة» یا «الصیدنة فی الطب» نگاشته است، ابوریحان اعلام میدارد که عمرش از ۸۰ سال در گذشته است (۱). با این ترتیب وی باید کمی دیرتر از سال ۴۴۰ هجری قمری که معمولاً بعنوان سال درگذشت وی ذکر شده است، یعنی در سال ۴۴۲، احتمالاً در غزنین، روی در نقاب خاک کشیده باشد (۲).

بسیاری شماره آثار بیرونی، که جز بر همت بلند و کار مداوم وی دلالت نمی‌تواند داشت براستی شگفت‌آور است؛ ابوریحان در سال ۴۲۷ هجری قمری، بدرخواست دوستی، فهرستی بر آثار محمدبن زکریای رازی، با عنوان «رسالة فی فهرست کتب محمدبن زکریا الرازی» می‌نویسد و در ذیل آن، نیز بدرخواست همان دوست، فهرست آثار خود را نیز تا آن تاریخ بدست می‌دهد (۳).

این رساله که نخستین بار در سال ۱۹۳۶ بوسیله پل کراوس (۴) در پاریس بطبع رسیده است نشان می‌دهد که ابوریحان تا آن تاریخ بر رویهم ۱۰۳ اثر کامل و ۱۰ اثر پایان نیافته داشته است و همچنین معلوم میدارد که ابونصر عراق استاد بیرونی و ابوسهل مسیحی پزشک مشهور، هر يك ۱۲ اثر (۵) و ابوعلی

۱- رک . L,Encyclopedie de l'Islam.T,1,P.1274

۲- همان مصدر

۳- از آنجاکه این فهرست قسمت اعظم آثار و تألیفات ابوریحان را در بردارد و کهن‌ترین سندی است که بیرونی خود نام و موضوع آثارش را در آن یاد کرده است بنقل آن در بخش عربی این کتاب، از روی متنی که ادوارد زاخاو در مقدمه‌ی که برالانوارالباقیة نوشته آورده است مبادرت گردید. رک . حاشیه ص ۱۵ تا ۲۱ این کتاب

۴- P.Kraus

۵- رک . حاشیه ص ۲۰ این کتاب

الحسن بن علی جیلی يك اثر بنام ابوریحان نوشته‌اند (۱) و این بهترین نشانه منزلت ممتازی است که استاد ابوریحان در نظر دانشمندان روزگار خویش داشته است .

اگر آثاری را که پس از آن تاریخ نوشته است در نظر بگیریم و همچنین آنچه را که هنگام نوشتن فهرست مذکور فراموش کرده است و از جمله ۱۵ کتابی را که حاجی خلیفه در کشف‌الظنون بوی نسبت داده است (۲) نیز بحساب آوریم مجموعه آثار استاد ابوریحان بر رویهم به ۱۸۰ کتاب و رساله با حجمهای متفاوت و در موضوعات گوناگون میرسد .

گذشته از کتابهای چاپ شده‌یی که یاد کردیم چهار رساله در ریاضی و نجوم از بیرونی در سال ۱۹۴۸ در حیدرآباد ، در يك جلد چاپ شده و باز در همان سال و در همان شهر کتابی تحت عنوان «رسائل ابی نصر إلی البیرونی» بطبع رسیده است که پانزده رساله در ریاضی از ابونصر را در بر دارد ؛ این مجموعه رسالاتی را که ابونصر بنام بیرونی نوشته است نیز شامل است .

هم اکنون، از ابوریحان بیش از بیست نسخه خطی در کتابخانه‌های جهان موجود است که یا اساساً بطبع نرسیده و یا بطور کامل چاپ نشده است (۳) و از آنجمله است کتاب «تحدید نهایات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن» و کتاب «استیعاب الوجوه الممكنة فی صنعة الاسطرلاب» و «ترجمة کتاب با تنجلی فی الخلاص من الارتباك» (۴)

۱- ر.ك . حاشیه ص ۲۱ این کتاب

۲- ر.ك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکتر نصر ، ص ۱۴۹ .

۳- ر.ك . L,Encyclopedie de l'Islam.T,1,P.1274

۴- ر.ك . همان مصدر

شخصیت ابوریحان

با آگاهی‌هایی که از داستان زندگی ابوریحان در دست داریم و با آنچه که در باره او، از دیرباز در کتابهای مختلف نوشته‌اند و همچنین با آثار ارزشمندی که از وی برجای مانده است میتوانیم ابوریحان را - برای آنکه جوانب مختلف شخصیت وی را بهتر بشناسیم - از چند نظر مورد بررسی قرار دهیم. از آنجا که ابوریحان، دست کم در دوره‌یی از زندگی خود نقشی سیاسی بعهدہ داشته است، ابتدا بشناختن ابوریحان سیاستمدار و روشن ساختن نقش سیاسی وی میپردازیم و در پایان این بحث میکوشیم تا سبب پرداختن وی را بکار سیاست نیز، تا آنجا که ممکن است روشن سازیم؛ سپس، باختصار از ابوریحان ادیب و شاعر سخن خواهیم گفت و پس از آن از ابوریحان عالم و فیلسوف و شخصیت علمی وی و نوآوری‌های شگفت‌انگیزی که در عالم دانش کرده است گفتگو میکنیم و در پایان، میکوشیم تا چهره معنوی ابوریحان انسان را در برابر دیده دل خوانندگان صاحب‌دل قرار دهیم.

۱- ابوریحان سیاستمدار

در فهرست آثار ابوریحان به کتابی با عنوان «المسامرة فی أخبار خوارزم» (۱) برمیخوریم که بدبختانه بر جای نمانده است اما ابوالفضل بیهقی (۲) چند فصلی از آن کتاب را خوشبختانه در پایان تاریخ مشهور خویش

۱- ر.ک. معجم‌الادباء ج ۱۸ ص ۱۸۵

۲- خواجه ابوالفضل محمد بن حسین بیهقی از بزرگترین نویسندگان قرن پنجم هجری و دبیر فاضل و مشهور دربار غزنویان است وی در سال ۳۸۵ در قزیه حارث آباد بیهق تولد یافته و پس از کسب دانش در نیشابور، بدیوان رسائل محمود غزنوی، که ریاست آن باکاتب مشهور خواجه ابونصر مشکان بوده، راه یافته است. بیهقی از آن پس همچنان با سمت دبیری در خدمت پادشاهان غزنوی باقی مانده و در زمان عزالدوله عبدالرشید بقیه پاورقی در صفحه بعد

آورده است (۱)

از همین مختصر چنین برمی آید که ابوریحان، در دستگاه خوارزمشاه، گذشته از شخصیت و مقام علمی، از لحاظ سیاسی نیز، اگر چه عنوانی رسمی همچون وزیر و غیره نداشته، نقشی پراهمیت و حساس بعهده داشته است: میدانیم که محمود غزنوی همواره در پی آن بوده است که خاندانهای حاکم ایرانی و از جمله خوارزمشاهیان را براندازد (۲) و سرزمین آنان را به پهنه گسترده قلمرو خویش بیفزاید.

ابوریحان که هفت سال در دربار ابوالعباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه بوده و وقایع پایان کار وی و سلسله مأمونیان را به چشم دیده است، با دقتی خاص ما را از آنچه در آن دیار رفته است آگاه میسازد و از خلال همین نوشته های

که در سال ۴۴۰ هجری سلطنت رسیده است، بریاست دیوان رسائل منصوب شده اما پس از چندی در اثر بدگویی حاسدان معزول و محبوس گشته است و پس از رهائی از زندان گوشه نشینی گزیده و سرانجام در سال ۴۷۰ هـ چشم از جهان فرو بسته است. مهمترین اثر بیهقی تاریخ مشهور او است بنام «تاریخ آل سبکتکین» که به سی جلد بالغ میشده و بدبختانه تنها قسمتی از آن بنام «تاریخ مسعودی» باقی مانده است که به تاریخ بیهقی مشهور است. روش تاریخ نویسی بیهقی و دقتی که در نقل حوادث و استفاده از اسناد و مدارك تاریخی و ذکر جزئیات امور و همچنین اشاراتی که، باقتضای کلام بحوادث روزگاران پیش از غزنویان دارد، کتاب وی را از ارزش علمی بسیاری برخوردار کرده و آنرا بصورت یکی از مهمترین مآخذ تحقیق در باره مسائل تاریخی و ادبی و اجتماعی روزگار غزنویان و دوره های پیش از آنان در آورده است. گذشته از این، تاریخ بیهقی از نظر ادبی نیز ارزشی کم مانند دارد چه نثر دلنشین وی از لحاظ شیوه نگارش و قدرت تعبیر از بهترین نمونه های نثر فارسی در روزگاران گذشته است. ر.ک. تاریخ ادبیات در ایران، دکتر صفا،

ج ۲ ص ۸۹۰-۸۹۲

۱- ر.ک. تاریخ بیهقی، چاپ دانشکده ادبیات مشهد ص ۹۰۶ ببعد

۲- ر.ک. فرخی سیستانی، دکتر غلامحسین یوسفی، ص ۱۸۰ ببعد

او است که به نقش خطیر سیاسی وی پی می‌بریم .

بیرونی اندیشناکی خوارزمشاه را از محمود بدینگونه بیان میدارد:

«... و ابوالعباس دل امیرمحمود در همه چیزها نگاهداشتی و از حد گذشته تواضع نمودی ..» (۱) سپس بادقت شرح میدهد که خوارزمشاه چگونه هنگام شرابخواری ، در حضور همگان بر پای میخاسته و همه را بر پای میداشته تا با یاد امیرمحمود باده بنوشند (۲) ؛ بیرونی سپس بعنوان نمونه‌یی دیگر از این بیمناکی نقل میکند که القادر بالله خلیفه عباسی (۳۸۱-۴۲۲هـ) برای خوارزمشاه بوسیله سالار حاجیان ، فرمان پادشاهی و خلعت و لوائی فرستاده بود با لقب «عین الدولة» و «زین الملة» . خوارزمشاه از بیم آنکه محمود از آن آگاه شود و برنجد مرا به پیشباز رسول فرستاد تا از نیمه راه خلعت و فرمان خلیفه را پوشیده از او بستانم تا هیچکس از آن آگاه نشود (۳) و می‌افزاید: «... آن

۱- رك . تاريخ بيهقي ، چاپ دانشگاه مشهد ، ص ۹۰۷

۲- «... چون بشارب نشستني آن روز با نامتراوليا وحشم و نديمان و فرزندان اميران كه بر درگاه او بودند از سامانيان و ديگران بخواندي و فرمودي تا رسولان را كه از اطراف آمده بودند با احترام بخواندني بنشاندي ، چون قدح سوم بدست گرفتي برپاي خاستي برپاد امير محمود و پس بنشستي و همه قوم برپاي مي بودندني و يكان يكان را مي فرمودي و زمين بوسه مي دادندي و مي ايستادندي تا همه فارغ شدندني پس امير اشارت كردي تا بنشستندي و خادمي بيامدي وصلت مغنيان بر اثر وي مي آوردندي هر يكي را اسبي قيمتي و جامه يي و كيسه يي درو ده هزار درم» . رك . تاريخ بيهقي ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۰۷-۹۰۸

۳- نص داستان در تاريخ بيهقي چاپ مشهد ، ص ۹۰۸ چنین است: «... و نیز جانب اميرمحمود تا بدان جایگاه نگاه داشت كه اميرالمومنين القادر بالله رحمة الله عليه وي را خلعت و عهد ولوا و لقب فرستاد عین الدولة و زین الملة بدست حسين سالار حاجیان ، و خوارزمشاه اندیشید که نباید امیرمحمود بیازارد و بحثی نهد و گوید چرا بی وساطت و شفاعت من او خلعت ستاند از خلیفت و این کرامت و مزیت یابد بهر حال از بهر مجاملت مرا پیشباز رسول فرستاد تا نیمه بیابان ...»

کرامت در سر از وی فراستدم و بخوارزم آوردم و بدو سپردم و فرمود تا آنها را پنهان کردند و تا لطف حال برجای بود آشکارا نکردند و پس از آن چون آنوقت که میبایست این خاندان برافتد آشکارا کردند تا بود آنچه بود و رفت آنچه رفت» (۱)

از این داستان پیداست که ابوریحان تاجه پایه مورد اعتماد خوارزمشاه بوده است. چه، رازی بدین اهمیت را باوی در میان گذاردن و او را به پیشباز رسول خلیفه فرستادن جز نشانه کمال اعتماد شاه نمی تواند بود و نیز مدلل میدارد که ابوریحان، گذشته از کار دانش، بنابر سیاست نیز می پرداخته است باز در تاریخ بیهقی، بنقل از ابوریحان، میخوانیم (۲) که روزی محمود غزنوی بدنبال همان بهانه جویی ها، با وزیر خویش احمد حسن میمندی میگوید که خوارزمشاه با ما راست نیست! و وزیر اجازه میخواست تا یکرنگی خوارزمشاه را با سلطان بیازماید. وی طریقه آزمایش را نیز عرضه میدارد و سلطان پیشنهاد او را میپذیرد، وزیر بخوارزمشاه پیام میفرستد که «اگر میخواهد که طمع جهانیان از ولایت وی بریده گردد چرا بنام سلطان خطبه نکند؟» و می افزاید که این پیام را بر سبیل خیر اندیشی و اندرز میفرستد و

۱- رك، تاریخ بیهقی، ص ۹۰۸

۲- «... و وزیر احمد حسن را گفت: مینماید که این مرد با ما راست نیست که سخن بر این جمله میگوید وزیر گفت من چیزی پیش ایشان نهم که از آن مقرر گردد که این قوم با ما راستند یا نه، و گفت که چه خواهد کرد، و امیر را خوش آمد؛ و رسول خوارزمشاه را در سر گفت که این چه اندیشه های بیهوده است که خداوند ترا میافتد و این چه خیالهاست که می بندد که در معنی فرستادن رسول نزدیک خانان سخن بر این جمله میگوید و تهمت بیهوده سوی خویش راه میدهد که سلطان ما از آن سخت دور است اگر میخواهد که از اینهمه قال و قیل برهد و طمع جهانیان از ولایت وی بریده گردد چرا بنام سلطان خطبه نکند تا از اینهمه بیاساید. و حقا که این من از خویشتن میگویم بر سبیل نصیحت از جهت نفی تهمت باو، و سلطان از این که من میگویم آگاه نیست و مرا مثال نداده است» رك، تاریخ بیهقی ص ۹۱۰-۹۱۱

سلطان از آن آگاه نیست !

ابوریحان حکایت میکند که هنگامیکه این پیام بخوارزمشاه رسید « مرا بخواند و خالی کرد و آنچه وزیر أحمد حسن گفته بود در این باب بامن بگفت گفتم این حدیث را فراموش کن، «أعرض عن العواء و لاتسمعها ، فما كل خطاب محوج إلى جواب» ، و سخن وزیر بغنیمت گیر که گفته است « این بتبرع میگوید و بر راه نصیحت و خداوندش از این خبر ندارد » و این حدیث را پنهان دار و با کس مگوی که سخت بد بود . گفت این چیست که میگویی ؟ چنین سخن ، وی بی فرمان امیر نگفته باشد و با چون محمود مرد چنین بازی کی رود ؟ و اندیشم که اگر بطوع خطبه نکنم الزام کند تا کرده آید .. » (۱) چنانکه میدانیم ابوریحان نیک میدانسته است که سرداران و سپاهیان خوارزمشاه سخن خطبه بنام محمود کردن را بر نمی تابند و اگر بشنوند بر امیر خویش خواهند شورید و عاقبت هم چنان شد (۲)

این واقعه بصورتی روشنتر نشان میدهد که خوارزمشاه در امور مهم سیاسی همواره با ابوریحان خلوت و مشورت میکرد و در دشواریها از او چاره میخواست است هر چند که در مورد خطبه بنام محمود کردن رأی صائب

۱- رك . تاریخ بیهقی چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۱۱

۲- درباره طغیان سرداران سپاه خوارزمشاه در تاریخ بیهقی چنین میخوانیم :
«... پس اعیان لشکر را گرد کرد و مقدمان رعیت را و باز نمود که وی در باب خطبه چه خواهد کرد که اگر کرده نیاید بترسد بر خویشتن و ایشان و آن نواحی . همگان خروش کردند و گفتند بهیچ حال رضا ندهیم ، و بیرون آمدند و علمها بگشادند و سلاحها برهنه کردند و دشنام زشت دادند او را ، و بسیار جهد و مدارا بایست کرد تا بیارامیدند ، و سبب آرام آن بود که گفتند ما شمایان را می آزمودیم در این باب تا نیت و دلای شما ما را معلوم گردد .. » رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۱۲ - ۹۱۳

وی را نادیده گرفته است (۱)

بالاخره در وقایعی که منجر به از میان رفتن خوارزمشاه و برافتادن حکومت آن خاندان میگردد ابوریحان را می بینیم که همچنان راز دارو مشاور خوارزمشاه است (۲) ؛ وی از سویی سپاهیان رنجیده خوارزمشاه را که بهیچ روی نمی خواسته اند خطبه بنام محمود خوانده شود، و از این روی برخوارزمشاه طغیان کرده اند، دلجویی میکند (۳) و از سوی دیگر، آنگاه که دشمنی محمود مسلم میگردد، میکوشد تا میان خوارزمشاه و خانان ترکستان پیمانی بوجود آورد تا بتوانند در برابر محمود پایداری کنند (۴)

۱- ابوریحان خود در این باره بی پرده خوارزمشاه را سرزنش میکند :
«خوارزمشاه گفت دیدی که چه رفت ؟ اینها که باشند که چنین دست درازی کنند بر خداوند ؟ گفتم خداوند را گفتم صواب نیست در این باب شروع کردن ، اکنون چون کرده آمد تمام باید کرد تا آب بنشود...» رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۱۳

۲- رك . تاریخ بیهقی ص ۹۱۳ ، ۹۱۴
۳- در این باره ابوریحان نقل میکند که خوارزمشاه گفت « بر گرد این قوم بر آی تاچه توانی کردن برگشتم و بسخن سیم و زر گردنهای محترمانشان نرم کردم تا رضا دادند و روی در خاک آستانه مالیدند و بگریستند و بگفتند که خطا کردند» رك . تاریخ بیهقی ، ص ۹۱۳-۹۱۴

۴- ابوریحان در این باره چنین حکایت می کند : «خوارزمشاه مرا بخواند و خالی کرد و گفت این کار قرار نخواهد گرفت . گفتم همچنین است . گفت پس روی چیست ؟ گفتم حالی امیر محمود از دست بشد و ترسم که کار بشمشیر افتد ... گفتم يك چیز دیگر است مهمتر از همه ، اگر فرمان باشد بگویم ، گفت بگوی . گفتم خانان ترکستان از خداوند آزرده اند و با امیر محمود دوست ، و بایک خصم دشوار بر توان آمد ، چون هر دو دست یکی کنند کار دراز گردد ، خانان را بدست باید آورد که امروز بر در اوز گند بجنك مشغولند و جهد باید کرد تا بتوسط خداوند میان خان و ايلك صلحی بیفتد ، که ایشان از این منت دارند و صلح کنند و نيك سود دارد و چون صلح کردند هر گز خلاف نکنند و چون باهتمام خداوند میان خان و ايلك صلح افتد ایشان از خداوند منت دارند...» رك . تاریخ بیهقی ص ۹۱۳-۹۱۵

راست است که اینهمه تدبیرها سرانجام بی نتیجه میماند و خوارزمشاه جان بر سر این کار میبازد و سرزمینش بدست محمود غزنوی می افتد اما این پیش آمدها ، نشان دهنده این حقیقت است که ابوریحان در سیاست خوارزم و کشورداری خوارزمشاه نقشی خطیر بعهدہ داشته و مؤثرترین و فعالترین مخالف سیاسی محمود غزنوی در آن دستگاه بوده است .

بیهوده نیست اگر محمود غزنوی ، پس از فتح خوارزم ، ابوریحان را دستگیر میکند و همراه دیگر زندانیان واسیران بغزنین میفرستد (۱) و در آنجا ، بنابر روایت یاقوت ، ابتدا استادش عبدالصمد الاول بن عبدالصمد الحکیم را بتهمت کفر و قرمطی بودن ، از میان برمیدارد و سپس آهنگ کشتن وی را میکند ! یاقوت نقل میکند که تنها پایمردی و شفاعت دیگران و بیان اینکه بیرونی منجمی بزرگ است و سلطان را بکار تواند آمد ، مایه رهایی وی از چنگال مرگ میگردد (۲) .

اگر بپذیریم که میان افسانه هایی که درباره زندگانی و شخصیت بزرگان پرداخته می آید ، و حقیقت زندگی و شخصیت آنان ، همواره تناسب و رابطه ای موجود است ، روایت های افسانه آمیز نظامی عروضی در مورد رفتار محمود غزنوی با ابوریحان نیز نشانه کینه توزی سلطان خودکامه غزنوی با این دانشمند میمانند تواند بود :

۱- رک . Encyclopedie de l'Islam, T.1, P.1274

۲- روایت یاقوت چنین است : « وحديثي بعض أهل الفضل أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محموداً لما استولى على خوارزم قبض عليه (ای علی ابی ریحان) و علی استاذہ عبدالصمد الاول ابن عبدالصمد الحکیم و اتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام و هم أن يلحق به بالريحان فساعده فسحة الاجل بسبب خلصه من القتل وقيل له : انه امام وقته في علم النجوم و ان الملوك لا يستغنون عن مثله ... » رک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۶

در چهارمقاله آمده است که محمود پس از آنکه از پاسخهای درستی که بیرونی به پرسشهای وی میدهد بر او خشم میگیرد و فرمان میدهد تا وی را از بام قصر فرو افکنند (۱). شاید بیم از همین کینه جویی‌ها ابوریحان را بر آن داشته است تا پادشاهان را اینگونه اندرز دهد :

«مرتبه و خطر پادشاهان از آن بزرگتر است که مجازات و مکافات

۱- در چهارمقاله چنین آمده است : « آورده اند که یمن الدوله سلطان محمود بن ناصرالدین شهر غزنین بر بالای کوشکی در چهار دری نشسته بود بباغ هزار درخت ، روی به ابوریحان کرد و گفت :

من از این چهار در اذکدام در بیرون خواهم رفت ؟ حکم کن و اختیار آن بر پاره کاغذ نویس و در زیر نهالی من نه ، و این هر چهار در راه گذر داشت . ابوریحان اسطراب خواست و ارتفاع بگیرف و طالع درست کرد و ساعتی اندیشه نمود و برپاره‌ای کاغذ بنوشت ، و در زیر نهالی نهاد ، محمود گفت : حکم کردی ؟ گفت : کردم . محمود بفرمود تا کنند و تیشه و بیل آوردند ، بردیواری که بجانب مشرق است دری پنجمین بکنند و از آن در بیرون رفت ، و گفت آن کاغذ پاره بیاوردند ، بوریحان بروی نوشته بود که «از این چهار در هیچ بیرون نشود ، بردیوار مشرق دری کنند و از آن در بیرون شود ! محمود چون بخواند طیره گشت و گفت او را بمیان سرای فرو اندازند ، چنان کردند ، مگر با بام میانگین دامی بسته بود بوریحان بر آن دام آمد ، و دام بدرید ، و آهسته بزمین فرود آمد چنانکه بر وی افکار نشد . محمود گفت : او را بر آرید ! بر آوردند گفت : یا بوریحان ! از این حال باری ندانسته بودی ، گفت :

ای خداوند ، دانسته بودم . گفت : دلیل کو ؟ غلام را آواز داد و تقویم از غلام بستد و تحویل خویش از میان تقویم بیرون کرد ، در احکام آن روز نوشته بود که مرا از جای بلند بیندازند ، ولیکن سلامت بزمین آیم و تندرست برخیزم . این سخن نیز موافق رأی محمود نیامد ، طیره گشت گفت : او را بقلعه برید و بازدارید ، او را بقلعه غزنین باز داشتند و شش ماه در آن حبس بماند ، رك . چهارمقاله ، باهتمام دكتر معین ص ۹۱-۹۳ ، و نیز برای آگاهی از دیگر افسانه‌های چهارمقاله در مورد رفتار محمود با ابوریحان رك . همان کتاب ص ۹۳ پیعد .

بانتقام کنند» (۱)

شاید این پرسش پیش آید که دانشمندی همچون ابوریحان که همه زندگانی خود را برآستی وقف دانش کرده است، مردی که درخواست شمس المعالی قابوس بن وشمگیر را - که میخواست است تمامی امور مملکت خویش را بوی واگذارد (۲) - از سر بی نیازی و وارستگی نپذیرفته است، از چه روی، در خوارزم، تا بدین درجه، در کار سیاست مداخله کرده است؟ نخستین سببی که برای پرداختن ابوریحان بکار سیاست خوارزم بنظر میرسد حقشناسی وی در برابر نیکویی‌ها و مهربانی‌های خوارزمشاه است: چنانکه میدانیم ابوالحسن علی بن مأمون خوارزمشاه و پس از وی برادرش ابوالعباس، و وزیر آنان ابوالحسن سهلی (یا سهیلی)، مردمی دانش پرور بوده‌اند و در دستگاد خویش دانشمندان بلند پایه‌یی چون ابوعلی سینا و ابوسهل مسیحی و ابونصر عراق و ابوریحان را نگاهداری و حمایت میکرده‌اند (۳)؛ ابوریحان از چگونگی رفتار ابوالعباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه با خویش نقل میکند که:

«روزی خوارزمشاه سوار شده شراب میخورد، نزدیک حجره من رسید

۱- رك. ترجمه تتمه صوان الحکمة، ضمیمه سال پنجم مجله مهر، تهران، ۱۳۱۸،

ذیل: الحکیم ابوریحان، و نیز رك. مقدمه زاخاؤ بر «الاثار الباقية» ص ۱۱ L

۲- در این باره، در معجم الادباء چنین آمده است: «... و اما نباهة قدره و جلالة خطره عند الملوك فقد بلغني من حظوظه لديهم أن شمس المعالی قابوس بن وشمگیر أراد أن يستخلصه لصحبته و يرتبطه فی داره علی أن تكون له الامرة (الولاية) المطاعة فی جميع ما يحويه ملكه و يشتمل علیه ملكه فأبی علیه و لم يطاوعه و لما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه فی داره و أنزله معه فی قصره...» رك. معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۲

۳- رك. تاریخ ادبیات در ایران، دکتر ذبیح‌اله صفا، ج ۱ ص ۲۰۷-۲۰۸ و نیز

رك. چهارمقاله، باهتمام دکتر معین، ص ۱۱۸

فرمود تا مرا بخوانند . دیرتر رسیدم بدو ، اسب براند تا در حجره نوبت من و خواست که می فرود آید زمین بوس کردم و سوگندگران دادم تا فرود نیامد و گفت :

العلم من أشرف الولايات يأتیه كل الوری ولایاتی
پس گفت : لولا الرسوم الدنياویة لما استدعیتك ، فالعلم یعلمو
ولا یعلی . « (۱)

این داستان ، بروشنی ، نشان میدهد که خوارزمشاه تا چه پایه دانشمندان را گرامی میداشته و نسبت به ابوریحان تا چه میزان مهربانی و محبت داشته است .

با این ترتیب ، از انسانی چون ابوریحان بسیار طبیعی است که بآیین جوانمردان گام بردارد و در روز تنك از یاری حامی بزرگوار و دانش دوست خویش سر باز نزند و در پی چاره کار وی باشد .

از این گذشته ، این انگیزه منطقی نیز می تواند کوشش های سیاسی ابوریحان را در خوارزم سبب شده باشد که حکیم و دانشمندی همچون وی طبیعتاً نمی توانسته است با حکومت محمود غزنوی و سیاست مذهبی او که

۱- رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۰۹ ؛ یاقوت حموی نیز قول ابوریحان را بدینگونه نقل کرده است : « . . و دخل خوارزمشاه یوماً و هو یشرّب علی ظهرا الدابة فأمر باستدعائه (أی باستدعاء أبي الريحان) من الحجرة فأبطأ قليلاً ، فتصور الامر علی غیر صورته و ثنی العنان نحوه و رام النزول فسبقه أبو الريحان إلى البروز و ناشده الله الا یفعل فتمثل خوارزمشاه :

العلم من أشرف الولايات يأتیه كل الوری ولایاتی
ثم قال : لولا الرسوم الدنياویة لما استدعیتك فالعلم یعلمو ولا یعلی و كأنه سمع هذا
فی أخبار المعتضد . . رك . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۳

ناچار با سختگیری و تعصب و کینه‌توزی با دانشمندان و دشمنی با علوم عقلی همراه بوده است (۱) ، سر ستیز و دشمنی نداشته باشد .

ابوریحان ، بیچشم خویش میدیده است که چگونه محمود در پی آنست که فیلسوف بزرگ ، بوعلی سینا را بچنگ آورد و ای بسا که وی را بتهمت بد دینی بردار کند (۲) و نیز بیگمان می‌توانسته است شهادت دانشمندانی چون عبدالصمد الاول (۳) و ابن فورک (۴) و ابونصر عراق (۵) و ابو عبدالله فقیه

۱- رك . فرخی سیستانی ، دكتور غلامحسين يوسفی ، ص ۱۷۰ ببعد

۲- رك . جشن‌نامه ابن سینا ج ۱ ص ۱۷ و نیز رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دكتور صفا ، ج ۱ ص ۳۰۴

۳- رك . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۶

۴- ابوبکر محمد بن حسن بن فورک اصفهانی ، ملقب به استاد از بزرگترین ادیبان و فقیهان و متكلمان و محدثان قرن چهارم است . وی در عراق بتحصیل دانش پرداخته و سپس چندی در ری اقامت گزیده و از آنجا ، بخواهش اهل نیشابور بآن دیار رفته و در آن شهر مدرسه‌یی برای خویش بنا کرده و بتدریس دانش مشغول شده است . این دانشمند نزدیک ، بصد کتاب در اصول فقه و دین و معانی قرآن تألیف کرده و شاگردان بسیاری را در اصول و کلام تربیت کرده است . ابن فورک در پایان عمر ، بدعوت اهل غزنه بآن شهر سفر کرده و در آنجا با کرامیه بمنظره و مجادله پرداخته و در بازگشت ، بنا بر روایت ابن تفری ، بفرمان محمود غزنوی مسموم گشته و در گذشته است (۴۰۶ هـ) . رك . النجوم الزاهرة ج ۴ ص ۲۴۰ و نیز رك . وفیات الاعیان ج ۳ ص ۴۰۲

۵- درباره چگونگی کشته شدن ابونصر عراق ، ریاضی‌دان مشهور و استاد ابوریحان ، بدست محمود ، تاج‌الدین السبکی بنقل از صاحب الکافی حکایت میکند که محمود غزنوی ، پس از کشته شدن خوارزمشاه ، هنگامیکه بفتح خوارزم میرفته است با همراهان و سپاهیان در روستائی ، نزدیک گرگانج ، بخانه ابونصر عراق فرو رآمده و وی که دستگاهی و ثروتی داشته با بلند نظری از میهمانان ناخوانده‌اش پذیرائی کرده است . با اینهمه سلطان بی‌گذشت غزنوی فرمان داده است تا میزبان دانشمند و بزرگوارش را با دیگر متهمان به « سوءالاعتقاد » بردار کنند (۴۰۸ هجری) . رك . طبقات الشافعية الكبرى ج ۴ ص ۳۰۶

معصومی (۱) را ، که همه از دست بخون آغشته محمود شربت مرك نوشیدند ، از پیش بروشنی ببیند ؛ از اینروى تا آنجا که از دستش بر مى آمده کوشیده است تا شاید خوارزم را از بلای تعصب قومى که بفرموده فردوسى بزرگ ، زبان کسان از پی سود خویش بجویند و دین اندر آرند پیش مصون نگاه دارد. راست آنکه ابوریحان ، پس از فتح خوارزم ، سرانجام از چنگال قهر محمود جان بدر برده و سالیان درازى در دربار غزنویان زیسته و طى آن بمطالعه و تألیف کتب مشغول بوده است ، اما ، همانگونه که استاد دکتر صفا در کتاب «تاریخ علوم عقلی در تمدن اسلامى» توضیح داده اند ، شك نیست که بیرونى در روزگار سراسر تعصب محمود از آزادى كافى برای بیان اندیشه ها و عقاید خویش برخوردار نبوده است (۲)

۲- ابوریحان ادیب

با آنکه ابوریحان ؛ بمعنی درست کلمه ، «مرد علم» بوده و بیشتر آثارش را در زمینه های ریاضی و نجوم و هیئت و معدن شناسی و داروشناسی ... و غیره نوشته است ، معهذا با شعر و ادب نیز چندان بیگانه نبوده و همانند بسیاری از عالمان و اندیشمندان روز گاران گذشته از آنچه که «علوم ادبى» نامیده میشده بهره كافى داشته است .

- ۱- ابوعبداله محمد (یا أحمد) بن احمد الفقیه المعصومى از مشهورترین و بقولى برترین شاگردان ابن سینا است محبت و عنایت ابوعلى نسبت باین شاگرد خود تا بدانجا بوده که «رسالة العشق» خود را بنام او نوشته و نیز مشهور است که درباره وی گفته است : « هو منى بمنزلة ارسطو من افلاطن » . این دانشمند ، چنانکه نوشته اند از جمله کسانی است که بفرمان محمود غزنوى شربت مرك نوشیده اند. رك . فرخى سیستانی ، دکتر غلامحسین یوسفى ص ۳۱۱-۳۱۲ و نیز رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح اله صفا ج ۱ ص ۲۹۱
- ۲- رك . تاریخ علوم عقلی ، ج ۱ ص ۲۸۲

بنظر میرسد که آشنائی ابوریحان با زبانهای متعدد فارسی و عربی و سانسکریت و عبری و سریانی (۱) وی را از شمی لغوی و ذوقی ادبی برخوردار کرده و موجب آمده است که در ترجمه‌ها و تألیفاتش، از لحاظ شیوه تعبیر اسلوبی استوار و از لحاظ انتخاب کلمات دقتی استادانه داشته باشد.

شیوه نگارش بیرونی در دو زبان عربی و فارسی دقیق و استوار و در عین حال ساده و بی‌پیرایه است و این نکته بویژه در خور گفتن است که اسلوب ساده و بی‌پیرایه و روشن او در نثر عربی، با شیوه معمول ادیبان روزگارش، که غالباً به پیروی از پسند ناساز زمان، گرفتار آرایش‌های لفظی و سجع بافی و صنعت پردازی بوده‌اند، بکلی متفاوت است بگونه‌یی که انسان - بقول «گاستون ویه» (۲) - از اینکه ابوریحان روشن و بی‌پیرایه نویس همدوره عتبی (۳) نویسنده متکلف و صنعت پرداز مشهور بوده است در شگفت می‌شود (۴)

۱- رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ص ۱۹

۲- Gaston wiet , Professeur Honoraire au collège
do France

۳- ابونصر محمد بن عبدالجبار عتبی متوفی بسال ۴۲۷ هجری از ادیبان و تاریخ نویسان مشهور نیمه دوم قرن چهارم و اوائل قرن پنجم هجری است . وی در جوانی، از زادگاهش، ری بخراسان رفته و چندی در خدمت ناصرالدین سبکتکین و ابوعلی سیمجور بسر برده و از آن پس نیز در دستگاه غزنویان باقی مانده است . عتبی کتاب مشهور خود «التاریخ الیمینی» را در شرح سلطنت سبکتکین و سلطان محمود، بنام یمین الدوله محمود، به نثر مصنوع عربی تألیف کرده است، این کتاب که آگاهی‌های سودمندی را در بر دارد، در آغاز قرن هفتم بوسیله ابوالشرف ناصح بن ظفر جر فادقانی (گلیایگانی) به نثر مصنوع فارسی ترجمه شده است .

رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۶۴۱

۴- Introduction à la Littérature Arabe , Paris 1966 ,
P.182

گذشته از این ، ابوریحان در زمینه‌های ادبی آثار و تألیفاتی دارد که وی را در شمار ادیبان نیز قرار داده است و بیهوده نیست که یاقوت حموی شرح حال وی را در معجم‌الادباء آورده است . یاقوت خود در این باره میگوید : از آنروی ذکر ابوریحان را در معجم‌الادبا بمیان آوردم که وی مردی زبان‌شناس و ادیبی اریب است (۱) . یاقوت سپس برخی از تألیفات ادبی بیرونی را که خود دیده است نام می‌برد و از آن جمله است کتاب شرح شعر ابی‌تمام و کتاب مختارالشعار والآثار . (۲)

نوشتن شرح بر شعر شاعر دشوارگوی پیچیده خیالی چون ابوتمام‌نشانه آگاهی بسیار ابوریحان از دقائق شعر عربی است همانگونه که تألیف گزیده‌یی از شعر و دیگر آثار ادبی نیز کمال ذوق و علاقه وی را بشعر و ادب عربی نشان می‌دهد .

ابوریحان گاه ، بمناسبت‌هایی که پیش می‌آمده و بر سبیل تفریح ، خود نیز بحر بی شعر میسروده است . از جمله سروده‌های وی اییساتی است که در پاسخ شاعری که وی را مدح گفته و از سر تملق بیزرگی نیاگاناش اشارت کرده است ، سروده . بیرونی در این اییسات سخت بر شاعر متملق ناخته و نازیدن به نیاگان را بباد ریشخند گرفته و در این راه از بکار بردن کلمات و معانی زشت نیز بعمدا ، خودداری نکرده است :

۱ و ۲ - ... و انما ذکرته ههنا لان الرجل كان ادیباً اریباً لغویاً له تصانیف فی ذلك رأیت أنا منها : کتاب شرح شعر ابی‌تمام رأیته بخطه لم یتمه ، کتاب التعلل باحالة الوهم فی معانی نظم اولی الفضل ، کتاب تاریخ ایام السلطان محمود وأخبار أیه ، کتاب المسامرة فی أخبار خوارزم ، کتاب مختار الأشعار والآثار ، و اما سائر کتبه فی علم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصر و رأیت فهرستها فی وقف الجامع بمرو فی نحو الستین ورقة بخط مکتنز ... رک . معجم‌الادبا ج ۱۷ ص ۱۸۵

یا شاعراً جاعنی یخری علی الأُدب
 وجدته ضارطاً فی لحیتی سفهاً
 و ذاکراً فی قوافی شعره حسبی
 إذ لست أعرف جدی حق معرفة
 إنی ابولهب ، شیخ بلا أدب
 والمدح و الذم عندی یا أباحسن
 فاعفنی عنها و لا تشغل بهما
 وافی لیمدحنی و الذم من ادبی
 کلاً فلحیته عشونها ذنبی
 و لست والله حقاً عارفاً نسبی
 و کیف أعرف جدی إذ جهلت أبی
 نعم و والدتی حمالة الحطب
 سیان مثل استواء الجد واللعب
 بالله لا توقع مفساك فی التعب (۱)
 بنظر بیرونی بزرگی راستین جز از راه کوشش بدست نمی آید :
 و من حام حول المجد غیر مجاهد
 ثوی طاعماً للمکرمات و کاسیا
 و بات قریر العین فی ظل راحة
 و لکنه عن حلة المجد عاریا (۲)
 نباید پنداشت که بیرونی همواره همان طالب علم نرم خوی و آرام
 است . چه ، وی در هنگام سختی چابکتر از همسکان بسوی نبرد و مرک
 می شتابد ! :

فلا یغرک منی لین مسی
 فانی أسرع الثقلین طراً
 تراه فی دروس و اقتباس
 إلی خوض الردی فی وقت باس (۳)
 درباره روابط خویش با پادشاهان و رفتاری که با وی داشته اند میگوید :
 مضی اکثر الأيام فی ظل نعمة
 قال عراق قد غلونی بدرهم
 علی رتب فیها علوت کراسیا
 و منصور منهم قد تولی غراسیا
 و شمس المعالی کان یرتاد خدمتی
 علی نفرة منی و قد کان قاسیا

۱- رک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۹

۲- همان کتاب

۳- همان کتاب

و أولاد مامون و منهم عليهم
و آخرهم. مأمون رفه حالتي
و لم ينقبض محمود عني بنعمة
عفا عن جهالاتي و أبدى تكرّما
عفاءً على دنيای بعد فراقهم
ولما مضوا واعتضت منهم عصابة
و خلقت في غزنین لحماً كمضغة
فأبدلت أقواماً و ليسوا كمثلهم
بجهد شأوت الجالين أئمة
فما برکوا للبحث عند معالم
فسائل بمقداری هنوداً بمشرق
فلم يشنهم عن شكر جهدي نفاسة
أبو الفتح في دنيای مالک ربقتي
فلا زال للدنيا و للدين عامراً

تبدی ب صنع صار للحال آسیا
و نوّه باسمی ثم رأس راسیا
فاغنی وأقنی مغضياً عن مکاسیا
و طرّی بجاه رونقی و لباسیا
و واحزنی إن لم أزر قبل آسیا
دعوا بالتناسی فاغتمت التناسیا
على وضم للطیر للعلم ناسیا
معاذلهی أن یكونوا سواسیا
فما اقتبسوا فی العلم مثل اقتباسیا
ولا احتبسوا فی عقدة کاتباسیا
وبالغرب من قد قاس قدر عماسیا
بل اعترفوا طرا و عافوا انتکاسیا
فهات بذكراه الحميدة کاسیا
ولا زال فیها للغواة مواسیا (۱)

بنظر میرسد که داوری یا قوت حموی که در باره ارزش شعر ابوریحان گفته است ، : «اگر شعر وی در شمار اشعار درجه اول نیست از چنان عالمی، خوب و پسندیده است» (۲) ، چندان دور از حقیقت و انصاف نبوده است. از جمله آثار ادبی ابوریحان داستانهای است که از فارسی به عربی ترجمه کرده است. وی داستان شاد بهر و عین الحیوة را با عنوان «قسیم السرور و عین الحیوة»

۱- رک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۶

۲- «... وکان یقول شعراً ان لم یکن فی الطبقة العليا فانه من مثله حسن ..»

رک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۶

و داستان سرخ بت و خنك بت را که مربوط به دوبت در بامیان بلخ بوده است با عنوان « حدیث صنمی البامیان » و همچنین چند داستان دیگر را بعربی برگردانده است . دو داستان شادبهر و عین الحیوة و سرخ بت و خنك بت را بنا بر وایت لباب الالباب عنصری شاعر نیز بنظم فارسی درآورده است (۱)

از نوشته‌های فارسی ابوریحان، بدبختانه جز کتاب ارزنده «التفهیم...» چیزی برجای نمانده است اما همین يك اثر توانایی و استادی ابوریحان را در زبان فارسی و بویژه دریافتن برابرهایی روشن و دلپذیر برای ترجمه مصطلحات علمی عربی نشان میدهد . برخی از واژه‌ها و ترکیباتی که بیرونی برای ترجمه اصطلاحات علمی عربی برگزیده است چنان روشن و درخور و دلپذیر است که فارسی زبان بمحض شنیدن ، آنها را در می‌یابد و می‌پذیرد و ای بسا که با خود پیمان می‌بندد که آنها را از آن پس همواره بکاربرد. برای نمونه می‌توان واژه‌ها و ترکیبات بسیار پهلوی بجای کثیرالاضلاع ، بیمارناک بجای علیل المزاج ، اندام بریده بجای مقطوع الأعضاء ؛ بر سو یا زبرسو بجای سمت فوقانی و بایست‌ها بجای شروط و امور لازم و ضروری را ذکر کرد (۲) جا دارد که بحث ابوریحان ادیب را با نقل چند جمله از مقدمه‌یی که نیکمرد فرزانه استاد جلال‌الدین همایی بر کتاب التفهیم نوشته‌اند پایان بریم :

« ... ابوریحان در دو زبان پارسی و تازی استاد و از همه علما و دانشمندان عصر خویش در انشاء این هر دو زبان زبردست‌تر و فصیح‌تر و بلیغ‌تر بود . احاطه وی بنکات و دقایق زبان فارسی و عربی بحدی است که

۱- رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص ۵۶

۲- رك . مقدمه استاد جلال‌الدین همایی بر کتاب التفهیم

اگر جزاین هیچ فضیلت دیگر نداشت شایسته بود که او را در ردیف بزرگترین ادبای فارسی و عربی و در عداد برگزیده‌ترین مفاخر ملی خویش شمار کنیم چه جای اینهمه فضل و فضیلت که در وجود یگانه وی جمع بود ...» (۱)

۳- ابوریحان عالم

ابوریحان بیگمان عمیق‌ترین و مبدع‌ترین دانشمندان اسلامی در قرون وسطی است (۲). وی در علوم مختلف حساب و هندسه و نجوم و طبیعی و فیزیک و جغرافیا و تاریخ متبحر بوده و بعنوان شاهد بیطرف آداب و رسوم و معتقدات اقوام و ملل امتیازی خاص دارد و بخاطر همین شایستگی‌ها است که او را از دیرباز و شاید از روزگار حیاتش «استاد» خوانده‌اند (۳)

کتاب التفهیم وی از زمان تألیف تا روزگاران اخیر همواره از مراجع مهم و اساسی علوم حساب و هندسه و هیئت و نجوم بوده است و غالب دانشمندانی که پس از وی در این زمینه‌ها کتابی تألیف کرده‌اند از آن تقلید و اقتباس نموده‌اند (۴)

نظامی عروضی مقاله نجوم کتاب مشهور خود، چهارمقاله، را با نام ابوریحان آغاز نموده و شرایط منجمی را از کتاب التفهیم نقل کرده است (۵)

۱- رك . همان مصدر ص کو

۲- کارل بروکلمان، خاورشناس مشهور بیرونی را یکی از بزرگترین دانشمندان

سراسر دنیای اسلام توصیف کرده است. رك . تاریخ الشعوب الاسلامیة، ج ۲ ص ۱۲۱

۳- حکیم لبیبی، شاگرد ابوریحان از وی با عنوان «الاستاذ الرئيس» نام برده

است. رك . مقدمه پرفسور زاخاو بر الاثار الباقیه ص LXX

۴- رك . مقدمه استاد جلال‌الدین همایی بر کتاب التفهیم ص (ما) ببعد

۵- «ابوریحان بیرونی در کتاب التفهیم فی صناعة التنجیم باب اول بگوید که مرد

نام منجمی را سزاوار نشود تا در چهار علم او را غزاتی نباشد: یکی هندسه دوم حساب،

سوم هیأت، چهارم احکام ..» رك ، چهارمقاله، باهتام دکتر محمد معین، ص ۸۷

کتاب قانون مسعودی وی نیز در نجوم و ریاضی از شهرت و اعتباری
 بیمانند برخوردارست . یاقوت میگوید که این کتاب بر همه کتابهایی که در
 نجوم و حساب وجود داشته خط بطلان کشیده است (۱)

پرفسور هانری کُربِن (۲) معتقد است که قانون مسعودی ابوریحان در
 هیئت و نجوم همپایه قانون ابن سینا است در پزشکی ، و اگر این کتاب نیز
 همانند قانون ابن سینا به لاتین ترجمه شده بوده بیگمان ، در مغرب زمین ، بهمان
 اندازه ارزش و اعتبار بدست می آورد. (۳) آلدومیلی (۴) نیز کتاب قانون مسعودی
 را دائرة المعارف ارزنده و راستینی میخواند که آگاهی های کاملاً تازه یی را
 در بر دارد (۵)

شماره نوشته های ابوریحان در هیئت و نجوم بسیار است تا بدانجا که
 برخی از آنها هنوز مورد مطالعه دقیق قرار نگرفته است اما در آغاز قرن حاضر
 چندتن از دانشمندان اروپایی مانند نالینو (۶) و شوی (۷) و ویدمان (۸) درباره
 کتب نجومی وی تحقیقاتی دقیق کرده اند (۹)

۱- «... و کتابه المترجم بالقانون المسعودی یعنی (یغطی) علی اثر کل کتاب صنف

فی التنجیم أو الحساب ..» ر.ک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۵

۲- Henri Corbin , Directeur d'étude à l'Ecole des
 Hautes - Etudes (sorbonne)

۳- Histoire de la Philosophie islamique .P. 209

۴- A . Miéli

۵- La Science Arabe et son role dans l'evolution
 Scientifique mondiale .P.98

۶- Nallino

۷- Schoy

۸- Wiedmann

۹- ر.ک . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکتر نصر ، ص ۱۸۰

آراء دقیق و نظریات علمی ابوریحان ، در این آثار ، بویژه اگر از یاد نبریم که وی ده قرن پیش از این میزیسته است برآستی مایه شگفتی است و بر شخصیت علمی نادر و نبوغ بیمانند وی گواهی میدهد :

با آنکه ابوریحان ظاهراً در شمار کسانی بوده است که بمرکزیت زمین عقیده داشته‌اند ، از نظریه مخالف آن - که خورشید را مرکز ، و زمین را سیاره‌یی میدانند که بدور آن در گردش است - نیز آگاه بوده و رد این نظریه را بسیار دشوار نامیده است . (۱)

اگر چه استاد دکتر نصر در کتاب « نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت » نوشته‌اند که ابوریحان ظاهراً تا پایان عمر در انتخاب هر يك از این دو نظریه در تردید بوده است (۲) اما این امکان نیز وجود دارد که ابوریحان از بیم متعصبان عقیده راستین خود را در این باره با صراحت بیان نکرده باشد . شاید نقل عین نوشته ابوریحان عقیده واقعی وی را در این باره روشن‌تر سازد . ابوریحان در کتاب « الاستیعاب » می‌نویسد ؛

« از ابوسعید سنجری اسطرلابی دیدم که از شمالی و جنوبی مرکب نبود و آن را زورقی نامیدی آن عمل مرا زیاده پسند افتاد ، وی را بسیار تحسین کردم چه آن را بر اصلی قرار داده بود قائم بذات ، بنیان آن عمل و مدار آن صنعت بر عقیدت مردمی است که ارض را متحرك دانسته و حرکت شبانه روزی را بفلك منسوب ندانسته‌اند . قسم بجان خود که آن عقیدت شبهه‌ایست که تحلیلش در نهایت دشواری است و قولی است که رفع و

۱- رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علامه دهخدا ، ص ۱۲

۲- رك . نظر متفکران اسلامی .. ، ص ۱۸۵

وابطالش در کمال صعوبت است « (۱)

ویژگی بزرگی که شخصیت ابوریحان را کم نظیر و ممتاز میسازد دقت

نظر شگفت وی در بررسیهای علمی است :

بیرونی در تحقیقات نجومی و طبیعی و جغرافیایی خود ، بجای پذیرفتن عقاید پیشینیان ، مبنای کار را بر مشاهده گذارده و از این طریق به نتایج شگفت آوری دست یافته است . مثلاً در کتاب « تحقیق ماللهند ... » می بینیم که وی با استدلال علمی مبتنی بر مشاهده ، رسوبی بودن سنگهای وادی هند را اثبات کرده است (۲) و یادر یافته است که در پهنه زمین دگرگونیهای بزرگی از قبیل تبدیل دریا بخشگی ویا بالعکس رخ داده است که شاید برخی از آنها. پیش از پیدایش انسان روی داده باشد (۳)

۱- ر.ك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علامه دهخدا ص ۱۲ ؛ شادروان دهخدا نص نوشته ابوریحان را نیز از کتاب استیعاب بدینگونه نقل کرده است : «.. و قد رأيت لابي السعيد السجزي اسطرباً من نوع واحد بسيط غير مركب من شمالي و جنوبي سماه الزورقي فاستحسنه جداً لاختراعه اياه على أصل قائم بذاته مستخرج مما يعتقد بعض الناس من أن الحركة المرئية من الارض دون الفلك و لعمرى هو شبهة عسرة التحليل صعبة المحق ليس للمعولین على الخطوط المساحية من نقضا شيء... »

۲- «... و ارض الهند من تلك البراري يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور و دن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، و اليها مصاب مياهها بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها و فی احجارها المد ملكة الموجودة الى حيث يبلغ الحفر عظيمة بالقرب من الجبال و شدة جریان مياه الانهار و اصفر عند التباعد و فتور الجری و رمالا عند الرکود و الاقتراب من المناياض و البحر لم تكذب تصور أرضهم الابحراً فی القديم قد انكس بحمولات السيول .. » ر.ك . تحقیق ماللهند ، چاپ حیدرآباد ص ۱۵۷ ؛ و نیز ر.ك . نظر متفکران اسلامی ، دکتر نصر ص ۱۷۰

۳- در کتاب تحدید نهایات الاماکن چنین میگوید : « و علی مثله ينقل البحر الى البر والبر الى البحر فی أزمنة ان كانت قبل كون الناس فی العالم فغير معلومة و ان كانت بعده فغير محفوظة لان الاخبار تنقطع اذا طال عليها الامد و خاصة فی الاشياء الكائنة جرواً بعد جرو » ر.ك . نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت ، دکتر نصر ، ص ۱۹۹

بیرونی همچنین ماهیت «فسیل» یاسنگواره را که تا دوره رنسانس در اروپا ناشناخته بود باقیمانده حیوانات دریائی شناخته است (۱)

با همین دقت نظر علمی است که ابوریحان، در درستی بعضی از اصول طبیعیات ارسطو تردید میکند، پرسش دوم او از ابن سینا نمونه آشکاری از این دقت نظر بیرونی در مشاهدات علمی است. ابوریحان می‌پرسد:

«اگر مقرر است در نزد ماکه وجود خلأ در خارج و داخل عالم محال است پس چرا شیشه مخصوصه را که بشدت مکیده شود سرازیر روی آب گذاریم آب را متصاعداً بطرف بالا میکشد؟» (۲)

ابوریحان در بررسی‌های علمی خود تنها بمشاهده بسنده نمی‌کند و بتجربه و اندازه‌گیری نیز می‌پردازد و بعبارت دیگر دانش ریاضی خود را در بررسی طبیعت و آزمایشهای فیزیکی بکار میگیرد؛ وی مثلاً برای اندازه‌گیری مسداز زمین و فاصله میان شهرها از دانش ریاضی خویش بهره می‌جوید و بدینگونه در حقیقت مؤسس علم مساحت (Geodesie) میگردد. (۳) برای اندازه‌گیری مدار زمین، ابوریحان طریقه‌ی خاص اختراع کرده است که به رفتن بقله کوهی مشرف بر دریا و یا مشرف بر دشتی مسطح و رصد کردن غروب آفتاب و محاسبه زاویه انحطاط و اجرای سلسله محاسبات ریاضی

۱- استاد دکتر نصر، آنچه را که بیرونی در این باره در کتاب تحدید نهایات الاماکن نوشته است، از روی نسخه خطی سلطان فاتح اسلامبول شماره ۳۳۸۶ نقل کرده‌اند. ر.ک. نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ص ۲۰۰

۲- ر.ک. شرح حال نابغه شهیر ایران، علامه دهخدا، ص ۵۷

۳- ر.ک. نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت، دکتر نصر، ص ۱۷۴

خلاصه میگرد (۱)

بیرونی طریقه مذکور را برای اندازه گیری مدار زمین ، در گرگان
بمرحله آزمایش در می آورد اما از آنجا که وسائل کافی در اختیار ندارد کارش
بناکامی می انجامد . با اینهمه هرگز دستخوش ناامیدی نمی گردد و از پیگیری
اندیشه خویش باز نمی ایستد و سرانجام ، ده سال بعد ، در هند فرصتی می یابد
و طریقه مخترع خویش را باز دیگر به آزمایش میگذارد و این بار ، چنانکه
خود در کتاب « تحديد نهايات الأماكُن » میگوید بر نتیجه دلخواه دست
می یابد (۲)

دقت کار بیرونی در این اندازه گیری تا بدانجاست که اگر زمین بشکل
بیضی نمی بود و بصورت کرهیی کامل می بود ، اندازهیی که وی برای مدار
زمین بدست آورده است با اندازه گیری های جدید کاملاً برابر بود (۳)

۱- نلینو خاورشناس ایتالیائی این طریقه ابوریحان را از کتاب « فی الاسطرلاب »
وی (نسخه خطی کتابخانه برلین شماره ۵۷۹۴) بدینگونه نقل میکند : « ... و هو أن تصعد
جبلًا مشرفاً على بحر أو برية ملساء و ترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط
ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل و تضربه في الجيب المستوي لتمام الانحطاط الموجود
و تقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب ضعف ماخرج من القسمة
في اثنين و عشرين أبداً و تقسم المبلغ على سبعة فيخرج مقدار أحاطة الأرض بالمقدار
الذي به قدرت عمود الجبل و لم يقع لنا بهذا الانحطاط و كميته في المواضع العالية
تجربة و جرأنا على ذكر هذا الطريق ماحكاه ابوالعباس النيریزی عن ارسطو لسان أطوال
أعمدة الجبال خمسة أميال و نصف بالمقدار الذي به نصف قطر الأرض ثلاثة آلاف و مائتا ميل
بالتقريب فان الحساب يقضى لهذه المقدمة أن يوجد الانحطاط في الجبل الذي عموده هذا
القدر ثلث درجات بالتقريب و الى التجربة يلتجأ في مثل هذه الأشياء و على الامتحان فيها
يعول و ما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم . » رك . علم الفلك تاريخه عند العرب في
القرون الوسطى ، ص ۲۹۰ - ۲۹۱

۲- رك . نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت ، دكتر نصر ، ص ۱۷۶

۳- رك . همان كتاب ص ۱۷۷

از نمونه‌های استفاده بیرونی از اندازه‌گیری ، روشی است که وی
برای بدست آوردن وزن مخصوص اجسام بکار برده است :

ابوریحان جسمی را در هوا و سپس در آب وزن کرده و تفاوت میان
این دو وزن را برابر با وزن آب هم‌حجم آن چیز یافته است و با استفاده از
این روش وزن مخصوص نه فلز را نسبت به طلا و نه گوهر را نسبت به یاقوت ،
در کتاب الجواهر فی معرفة الجواهر ، تعیین کرده است بگونه‌یی که این
اندازه‌ها تنها در اعشار سوم با ارزش‌هایی که اینک مورد قبول است تفاوت
دارد . (۱)

بیرونی خاصیت فیزیکی ظروف مرتبطه را بخوبی دریافته (۲) و در
الآثار الباقية درباره آنچه که در روزگار ما چاه‌آرترین خوانده میشود اینگونه

۱- رك . نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت ، دكتر نصر ص ۱۷۸ . و نیز رك .

J.J. Clement-Mullet , «Pesenteur Spécifique de diverses
Sudstances minerales , Procédé Pour l'obtenir d'apres Abou
L - Raihân Al- Birouny » Journal Asiatique (5) vol.11 , 1858,
P.384

و نیز رك .

Aldo Mieli , La Science arabe et son role dans l'evolution
Scientifique mondiale , P.99

۲- ابوریحان در الآثار الباقیه ، هنگام شرح ایزاری بنام «سارقة الماء» از خاصیت
ظروف مرتبطه اینگونه سخن گفته است : «.. فانك اذا ملاتها ماءً و وضعت كلا طرفيها في
آنيتين سطح مافيها من الماء سطح واحد فان الذي فيها من الماء يقف ولو دهرأ لاينصب
الى احدي الانيتين لانها ليست بأولى من الاخرى ولا يمكن أن يتكافأ الانصباب الى الانيتين
كليهما لان الالة تخلو حينئذ والخلا اما غير موجود ، كما عليه بعض الفلاسفة ، واما موجود
ممسك للاجسام ، كما عليه بعضهم فاذا كان ممتنع الوجود لم يوجد و اذا كان ممسكا للاجسام
أمسك الماء و لم يتركه يسيل الا بعد أن يبادل جسم آخر ثم اذا صير أحد طرفيها في موضع
أسفل قليلا سال اليه ما في الينة...» رك . الآثار الباقية ص ۲۶۲-۲۶۳

سخن گفته است :

« آب چاه‌ها گاه از اطراف چاه تراوش میکند و در آن صورت بسوی بالا نمیرود و منابع آنها آبهای نزدیک چاه است و سطح آبی که در چاه جمع میشود موازی سطح آب منبع آن است اما گاه آب از ته چاه فوران میکند و در آن حال ممکن است تا سطح زمین نیز جستن کند و بر آن جاری گردد و این بیشتر در زمین‌های نزدیک کوه‌ها یافت میشود و میان چاه و منبع آن ، دریاچه و یا رودخانه ژرف قرار ندارد. هرگاه منبع آب برتر از سطح زمین باشد آب چاه ، اگر محصور شود ، بی‌الا فوران میکند و هرگاه منبع پایین‌تر باشد بی‌الا نمی‌جهد و گاه میشود که منبع آب ، در کوه ، و هزاران ذرع برتر از زمین باشد و در آن صورت آب چاه می‌تواند مثلاً به قلعه‌ها و بالای مناره‌ها برسد » (۱)

ابوریحان نور را جسم میداند و بر ارسطو و پیرو وی ، ابن سینا ، که آن را از لوازم و ذاتیات جسم شفاف می‌پندارند خرده می‌گیرد و پیداست که نظریه وی در این باره به حقیقت علمی نزدیکتر است (۲)

بیرونی با آن ذهن علمی و نقاد خود پیداست که هرگز تسلیم باورهای

۱- «... فان من مياه الابار ما يجتمع بالرشح من الجوانب فذلك لا يصعد ويكون مأخذها من المياه القريبة اليها ، و سطوح ما يجتمع منها موازية لتلك المياه التي هي مادتها ومنها ما يفور في القعر فذاك هو المرجو الممكن أن يفور الى الارض و يجرى على وجهها و اكثر ما يوجد هذا في الارضين القريبة من جبال بحيث لا يتوسطها بحيرات و لا أنها رمية عميقة فاذا كان مأخذ من خزانة أعلى من سطح الارض صعد الماء بالفوران اذا حصر ، و ان كانت خزانته أسفل لم يتم ارتفاعه اليها ولم ينبجج و ربما كانت الخزانة أعلى بالوف أذرع في جبال فيمكن أن يصعد الى القلاع و رؤوس المنارات مثلاً ... » رك . الاثار الباقية ص ۲۶۳ ، و نیز رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ص ۱۵

۲- رك . تاريخ علوم عقلی ، دكتر صفا ج ۱ ص ۲۸۶

عامیانه نمی‌شود و هیچ چیزی را بی آنکه خود مورد بررسی و تجربه و تحلیل علمی قرار دهد نمی‌پذیرد؛ وی مثلاً در مورد اعتقادی عامیانه که میگوید: «... در ششم ماه (کانون الاخر) ساعتی است که در آن همه آبهای شور زمین شیرین میگردد...» (۱)، پس از تحلیل علمی سبب شوری آب، با قاطعیت نتیجه میگیرد که شیرین شدن آبهای شور در ساعتی معین بهیچ روی درست نیست و آزمایش‌های پیاپی نادرستی آن را روشن میسازد. (۲) وی همچنین در کتاب الجماهر فی معرفة الجواهر درباره عقیده‌ی عامیانه در مورد چگونگی شرائط بوجود آمدن مروارید و اصلاح مرواریدهای فاسد چنین میگوید: «... و این باب مورد نظر، بگونه‌ی که بما رسیده است؛ به پندار کیمیا گران میماند و جز آزمایش و تجربه هیچ شاهد و دلیلی درستی آنرا نشان نمیدهد. (۳)

ابوریحان در پزشکی و داروشناسی نیز رنج‌ها برده و نتیجه مطالعات خود را در کتاب الصيدلة فی الطب گردآورده است. وی در این کتاب نام و ماهیت داروها و آراء و نظریات پزشکان قدیم را در باره آنها شرح داده

۱- «... ان فی السادس (من شهر کانون الاخر) ساعة تعذب فیها جمیع مياه الارض المالحة..» رک. الاثار الباقية ص ۲۵۰

۲- «... و الاعراض الموجودة فی المياه انما هی علی حسب الاماکن من الارض التي تنحصر فیها ان كانت راکدة والتي تجری علیها ان كانت جاریة و هی لازمة لها غیر متغيرة الا علی مراتب الاستحالات من التدرج بالوسائط، فلا وجه لما ذکره من کون المياه عذبة فی تلك الساعة والتجربة المتوالية فی أناة الزمان ستظهر للمجرب کذب ذلك...» رک. الاثار الباقية ص ۲۵۰، و نیز رک. نظر متفکران اسلامی ..، دکتر نصر، ص ۱۷۲

۳- «... و هذا الباب المقصود فیما بلغناه شیه بما علیه أصحاب الکیماء لاشاهد علیه سوی الامتحان ولا دلیل یودی الیه غیر التجربة..» رک. الجماهر فی معرفة الجواهر چاپ حیدرآباد ص ۱۳۵

است . (۱)

بیرونی به بررسی‌های تاریخی و مطالعه در ادیان و معتقدات و آداب و رسوم اقوام مختلف و مقایسه آنها با یکدیگر نیز علاقه بسیار داشته است چنانکه در «تحقیق ماللهند...» عقاید هندوان را با معتقدات یهودیان و مسیحیان و مسلمانان مقایسه کرده (۲) و در «الآثار الباقية» آداب و رسوم ملل مختلف را با یکدیگر سنجیده و بدینگونه در شمار نخستین دانشمندانی در آمده است که بمقایسه معتقدات مذهبی و آداب و رسوم اقوام و ملل مختلف دست یازیده‌اند .

پژوهش‌هایی که بیرونی در باره ادیان مانوی و زردشتی و یهودی و مسیحی و برهمایی نموده و مطالبی که بویژه از کتب برهمایی نقل کرده است به نوشته‌های وی در تاریخ ادیان ارزشی فوق‌العاده بخشیده است . پرفسور زاخائو کتاب «تحقیق ماللهند...» بیرونی را، در مقدمه‌یی که بر آن نوشته‌است، رساله‌یی محققانه یا دانشنامه‌یی در باستانشناسی ، بمفهوم‌روزرگار ما ، دانسته است (۳) . نام ثقیل و طولانی این کتاب : «تحقیق ماللهند من مقوله ، مقبولة فی العقل أو مردولة» ، همانگونه که پرفسور زاخائو میگوید ، (۴) خود نشانه بی‌طرفی و حقیقت‌جویی و فکر دقیق نویسنده است . بیرونی در این کتاب آنچه

۱- ابن ابی أصیبة درباره این کتاب می‌نویسد : «... کتاب الصيدلة فی الطب استقصی فیہ معرفة ماهیات الادویة و معرفة أسمائها و اختلاف آراء المتقدمین و ما تکلم کل واحد من الاطباء و غیرهم فیہ و قد رتبه علی حروف المعجم» رک . عیون الانباء چاپ بیروت ج ۳، القسم الاول ص ۲۹

۲- رک . تحقیق ماللهند . ص ۲۷ ببعد

۳- رک . ترجمه فارسی مقدمه زاخائو در کتاب «شرح حال نابغه شهیر ایران، دهنخدا

ص ۶۹

۴- رک . همان کتاب

را که درباره دانشها و معتقدات و آداب و رسوم هندیان دیده و شنیده و یا خوانده است ، همه را ، خواه مقبول و خواه مردول ، بایبی طرفی تمام (۱) برای ما حکایت میکند و مسائل را ، با ذوق ریاضی و فلسفی خویش ، بگونه‌یی مورد بررسی قرار میدهد که با روح انتقادی عصر ما سازگاری کامل دارد و اعجاب و اعتماد ما را برمی‌انگیزد .

از روزگاران قدیم و قرن‌ها پیش از بیرونی جهانگردان دیگری به سرزمین هند سفر کرده و هر یک گزارش‌های ارزنده‌یی درباره آن دیار نوشته‌اند. هون تسانگ (۲) روحانی چینی که چهارصد سال پیش از بیرونی بهند سفر کرده از آن جمله است. این روحانی پس از بازگشت ، کتابی از دیده‌ها و شنیده‌های خویش درباره هند و مردم آن سرزمین فراهم آورده است ، (۳)

آگاهی‌هایی که این سیاحان در نوشته‌های خویش بدست داده‌اند برای شناخت تاریخ هند اهمیت بسیار دارد اما ارزش کار بیرونی باعتقاد استادان اروپایی ، با هیچیک از نوشته‌های مذکور در خور قیاس نیست (۴) ؛ پرفسور زاخائو از بوهلر (۵) که یکی از بزرگترین استادان و صاحب‌نظران اروپایی در زمینه هندشناسی است چنین نقل میکند :

۱- بیرونی در مالهند ، به بیطرفی خود در بیان حقایق بدینگونه اشارت میکند :
« و لیس الكتاب کتاب حجاج وجدل حتی استعمل فیه بایراد حجج الخصوم و مناقضة الزائغ منهم عن الحق ، و انما هو کتاب حکایة فأورد کلام الهند علی وجهه وأضيف الیه ماللیونانین من مثله لتعریف المقاربة بینهم ... » رک . مالهند ، چاپ حیدرآباد ص ۵

Hwentsang - ۲

۳- رک . ترجمه فارسی مقدمه زاخائو بر مالهند در شرح حال نابنه شهر ایران ،

دهخدا ، ص ۶۸

۴- رک . همان مصدر

Buhler - ۵

« یادداشت‌هایی که از یونانیها و زائران چینی بماند رسیده در مقابل کتاب بیرونی درست همانند کتابهای کودکان یا مسودات مردم عامی و خرافی است که بعالمی پر از عجائب افتاده و از مشهودات خود دچار شگفتی و بهت شده و نتوانسته باشند از حقایق و امور واقعی جز مقداری ناچیز درک کنند» (۱)

زاخائو درباره حقی که ابوریحان بر مردم هند دارد چنین میگوید :

« ... اگر مسلمانان حق دارند باو افتخار کنند ، هندیان نیز باید وجود او را سعادت‌ی بشناسند که تصویری از مدنیت اجداد آنان با بیطرفی بدست داده است» (۲)

خلاصه‌گفتار آنکه ، ابوریحان برآستی مرد دانش بوده و سراسر زندگی خود را وقف مطالعه و پژوهش و تألیف و ترجمه کرده است . روح علمی و علاقه وی بگسترش دانش بگونه‌یی بوده است که گوئی در برابر دانش ، برای خویش وظیفه و مسئولیتی احساس میکرده است . مسئولیتی که وی را بر آن میداشته است تا ، مثلاً ، اگر کتابی علمی با اسلوبی پیچیده و دشوار و نامفهوم تألف یافته است آنرا بزبانی ساده و روشن و مفهوم در آورد (۳) و یا اگر کتاب ارزنده دیگری ناتمام باقی مانده و یا خطاهایی در آن راه یافته است بهتذیب و اتمام آن همت گمارد (۴) بیگمان همین احساس مسئولیت در برابر

۱- رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ص ۸۶-۹۶

۲- رك . همان کتاب ، ص ۷۰

۳- در فهرستی که ابوریحان بر مؤلفات رازی نوشته است چنین میخوانیم :
« و - و هذبت زیج الارکند و جعلته بألفاظی از کانت الترجمة الموجودة منه غیر مفهومة و الفاظ الهند فیها لحالها متروكة » رك . بخش عربی این کتاب ، ج ۱۵

۴- بیرونی در این باره می نویسد :

« د - و عملت کتاباً سمیته بتکمیل زیج حبش و تهذیب أعماله من الزلل .. » رك .

بخش عربی این کتاب ، ج ۱۵

حقیقت و دانش وی را بر آن داشته است تا مردانه به حمایت از دانشمندی که بخاطر اظهار عقیده‌یی درست مورد بهتان قرار گرفته است برخیزد و بنوشتن کتابی در آن باره بپردازد (۱)

از درخشانترین ویژگی‌های این دانشمند بی‌همال، خستگی ناپذیری وی بوده است و عدم تسلیمش در برابر آراء و عقاید گذشتگان. وی قرن‌ها پیش از «بیکن» و «دکارت» بجویندگان دانش آموخته است تا در پژوهش‌های علمی خویش، اساس کار را، بجای کورکورانه پذیرفتن عقاید پیشینیان، برمشاهده و آزمایش بگذارند.

ابوریحان خود بابکار بستن این روش و با دقت نظر و نبوغی که خداوند بوی ارزانی داشته است در زمینه‌های گوناگون علمی به پیروزی‌ها و نوآوری‌های شگفت انگیزی دست یافته و بدینگونه بصورت یکی از درخشانترین چهره‌های عالم دانش در آمده است. بیهوده نیست اگر وی را از بزرگترین دانشمندان سراسر دنیای اسلام بشمار آورده‌اند (۲)

۴- ابوریحان فیلسوف

آیا ابوریحان براستی فیلسوف بوده است؟ یافتن پاسخ درست این پرسش نیازمند اندکی تأمل و دقت است چه، از سوئی ابوریحان با فیلسوف نامدار روزگاو خویش، ابوعلی سینا، پرسشهایی را در میان میگذارد که متضمن اعتراضاتی سخت بر آراء ارسطو است. و از سوی دیگر، ابوالحسن علی بن

۱- «و عمل ابوطلحة الطلیب فی ذلک (زیج الخوازمی) شیئاً یوجب مناقضته، فعملت ابطال البهتان بایراد البرهان علی أعمال الخوازمی فی زیجه...» رک. بخش عربی این کتاب ص ۱۵

۲- رک. تاریخ الشعوب الاسلامیة، کارل بروکلمان ج ۲ ص ۱۲۱

زید بیهقی صاحب تتمه صوان الحکمة اعتراضات وی را بر ابن سینا و ارسطو ، پای از گلیم خویش فراتر نهادن ، می داند و اساساً دخالت او را در امور فلسفی ناروا می شمارد ؛ (۱) .

محمد بن محمود شهرزوری نیز گفته بیهقی را در کتاب خود «نزهة الارواح و روضة الافراح فی تواریخ الحكماء» ، بی کم و کاست ، تکرار میکند (۲) گذشته از این ، ابوریحان ، برخلاف ابن سینا ، شاگردانی در میدان فلسفه تربیت نکرده است تا از طریق آنان از آراء و مکتب فلسفی وی آگاهی یابیم . از مؤلفات فلسفی او نیز نوشته مستقل و با اهمیتی که نشان دهنده آراء وی در فلسفه باشد برجای نمانده است . با این ترتیب باید دید که آیا سخن بیهقی بر پایه یی درست بوده است ؟ و دانشمندی چون ابوریحان حتی صلاحیت آن را نیز نداشته است که در مسائل فلسفی دخالت کند ؟

افکندن نگاهی سریع بر کتاب مشهور تحقیق ماللهند . مدلل میدارد که ابوریحان گذشته از آراء فیلسوفان مسلمان با عقاید فلاسفه یونان و هند و همچنین با آراء فلسفی مانویان نیز آشنایی کافی داشته است .

وی فی المثل ، در باب دوم این کتاب عقاید هندیان را در باب ذات خداوند و اختلافات عامه و خاصه را در آن باره بیان داشته است (۳) و یا در باب سوم از موجودات عقلی و حسی سخن بمیان آورده و ابتدا نظریات فلاسفه قدیم یونان را ذکر کرده و سپس آراء آنان را با نظریات فلاسفه هند ، در باب وحدت موجودات مقایسه کرده و پس از آن بشرح رأی صوفیه درباره

۱- «... و له مناظرات مع أبي علي و لم يكن الخوض في بحار المعقولات من شأنه وكل ميسر لما خلق له ...» رك . تتمه صوان الحکمة ، چاپ لاهور ص ۶۲-۶۳

۲- رك . مقدمه زاخاؤو بر الاثار الباقية ص ۱۱۱L

۳- رك . تحقیق ماللهند ، چاپ حیدرآباد ص ۲۰-۲۳

وجود حقیقی پرداخته است و آنگاه بحث درباره نفس و روح را بمیان کشیده و از تسمیه آن به الهه در یونان قدیم سخن گفته و اقوالی از جالینوس و افلاطون نقل کرده است (۱). در باب سی و سوم نیز بمسأله آفرینش گیتی و فناء عالم پرداخته و نظریات محمدبن زکریای رازی و برخی دیگر از فلاسفه مسلمان و همچنین فلاسفه هندو را درباره معنی زمان شرح داده و اشاره کرده است که ابومعشر نظریه خود را درباره طوفان از فلاسفه هند گرفته است (۲)

با اینهمه آیا میتوان گفت که ابوریحان، دانشمندی که مباحثی از این دست را با تسلط مورد بررسی قرار داده است، صلاحیت سخن گفتن از مسائل فلسفی را نداشته است؟! باید دانست که ماللهند.. سرشار از اینگونه مباحث فلسفی محضی است که آگاهی ابوریحان را از آراء فلاسفه - چه فلاسفه قدیم و چه فیلسوفان معاصرش - مدلل میدارد و آنچه ذکر کردیم تنها برسبیل نمونه بود و اندکی بود از بسیار.

ابوریحان، در فهرست کتب محمدبن زکریا الرازی از مطالعات فلسفی خویش سخن گفته و یادآور شده است که بیش از چهل سال در انتظار یافتن «سفر الاسرار» رازی بسر برده است (۳)

با آنکه از آثار فلسفی ابوریحان چیزی برجای نمانده است اما در

۱- ر.ك . تحقيق ماللهند ص ۲۴-۳۳

۲- ر.ك . همان کتاب ص ۲۷۰-۲۷۹

۳- در مقدمه فهرستی که بر کتب رازی نوشته است میگوید :

«... و ذلك اني طالعت كتابه (أی كتاب الرازی) فی العلم الالهی و هو یبادی فیه بالدلالة علی کتب مانى و خاصة كتابه الموسوم «سفر الاسرار» فترتنی السمة كما یفر المبیض و المصفر فی الکیماء غبری فحرصنی الحدائة بل خفاء الحقیقة علی طلب تلك الاسرار من معارفی فی البلدان والاقطار و بقیت فی تباریح الشوق نیفاً و أربعین سنة .. » ر.ك . مقدمه زاخائو بر الاثار الباقية ص XXXIX

فهرست کتب و مولفات او میخوانیم که وی کتاب «الشامل» را که در باب موجودات محسوسه و معقوله بوده است از سانسکریت به عربی ترجمه کرده است (۱) و این نشان میدهد که بیرونی گذشته از آشنایی با فلسفه یونان از فلسفه هند نیز آگاهی بسیار داشته است. بیرونی همچنین کتابهای فلسفی «فی التوسط بین ارسطوطاليس و جالينوس فی المحرك الاول» و «رياضة الفكر و العقل» و مقالات «فی البحث عن الآثار العلوية» و «فی صفات اسباب السخونات الموجودة فی العالم...» را تألیف کرده است (۲)

با در نظر گرفتن این آثار، روشن است که سخن بیهقی و شهرزوری و کسانی که بر طریق آنان رفته و دخالت ابوریحان را در مسائل فلسفی ناروا خوانده اند بر اساسی درست استوار نبوده است و شك نیست که ابوریحان گذشته از منزلت بیمانندی که در دنیای علم دارد در میدان فلسفه نیز دستی داشته است تا بدانجاکه وی را در عداد فیلسوفان نیز میتوان بشمار آورد. بی مناسبت نیست که قول خاورشناس و دانشمند مشهور فرانسوی، پرفسور هانری کربن را در این باره بیاوریم آنجا که میگوید:

«مکاتبات ابوریحان با ابن سینا آشکارا نشان میدهد که بیرونی گذشته از آنکه ریاضی دان و منجم و جغرافی دان و زبان شناس و موسس علم مساحت است، در شمار فیلسوفان نیز قرار دارد» (۳)

اینک که ابوریحان را در صف فیلسوفان روزگار خویش قرار دادیم حق اینست که از عقاید و آراء فلسفی وی نیز سخنی بمیان آوریم و بکوشیم تا مشرب فلسفی وی را، تا آنجا که ممکن است، مشخص سازیم. اما، گذشته

۱- ر.ك . بخش عربی این کتاب حص ۱۹

۲- ر.ك . نظر متفكران اسلامى ... ، دكتر نصر ص ۱۴۸

۳- ر.ك . Historié de la philosoPhie islamique P.209

از اینکه نگارنده در میدان فلسفه سخت پیاده است و یارای وارد گشتن در اینگونه مباحث را ندارد ، بنظر میرسد که اساساً مکتب فلسفی خاصی را به ابوریحان نسبت نمی‌توان داد ، چه همانگونه که اشارت رفت تألیفات مهم و مستقلی در زمینه فلسفه از وی برجای نمانده است . با اینهمه ، آنقدر هست که از خلال آثارش درمی‌یابیم که وی برخی از نظریات فلسفی محمد زکریای رازی و نوشته‌های هرمسی وی را می‌پسندیده است هر چند که در پاره‌ای از مسائل ، بویژه در مباحث دینی ، با وی همداستان نبوده است (۱) و نیز میدانیم که وی با فلسفه مشائیان موافق نبوده و در آن روزگار شدیدترین حملات را بطبیعیات مشائی کرده است (۲)

نکته درخور توجه در باره آراء فلسفی ابوریحان اینست که وی ؛ در فلسفه نیز ، همانند ریاضیات ، در پی یافتن حقایقی مسلم است و هرگز در برابر عقاید رائج روزگار خویش ، که توسط کندی (۳) و فارابی (۴) و امثال آنان

۱- رك . نظر متفكران اسلامى در باره طبيعت ، دكتر نصر ، ص ۲۱۳

۲- رك . همان كتاب

۳- الكندى : ابويوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح ، متوفى بسال ۲۶۰ هجرى ، از فرزندان ملوك كنده و بزرگترين فيلسوفان روزگار خویش است . وی در بصره پرورش یافته و سپس برای آموختن دانش بیغداد رفته و در آنجا ، پس از چندی در طب و فلسفه و موسیقی و هندسه و نجوم شهرت یافته است . الكندی بیش از سیصد کتاب را تألیف یا ترجمه و یا شرح کرده و بواسطه مرتبه بلندش در دانش ، در دستگاه خلفای عباسی ، منزلتی یافته است اما المتوكل ، بسعایت بدگویان یکبار بروی خشم گرفته و او را گوشمالی داده و کتابهایش را ضبط کرده و سپس از گناه وی در گذشته و آنها را بوی پس داده است از جمله مولفات مشهور او است . «رسالة فی التنجیم» و «اختیارات الايام» و «تحاويل السنين» و «الهیات ارسطو» و «رسالة فی الموسيقى» و «الادوية المركبة» که بلاتین ترجمه و چاپ شده است ، و «المد والجزر» و «ذات الشعبین» و خمس رسائل (پنج رساله) که نخستین آنها «ماهية العقل» است و به لاتین ترجمه شده است . رك . الاعلام ، زرکلی ، چاپ مصر ص ۱۱۹۷ و نیز رك . طبقات الاطباء ج ۱ ص ۲۰۶

۴- ابونصر محمد بن محمد الفارابی (۳۶۰-۵۳۳۹) مشهور به معلم ثانی بزرگترین

بقیه در صفحه بعد

تدوین یافته بوده است ، سر تسلیم فرود نمی آورد :

بیرونی با شجاعتی در خور ستایش در درستی برخی از آراء معلم اول ارسطو تردید میکند و در این راه از دشمنی ها و انکارهای کسانی که انتقاد و خرده گیری از بزرگان را برندی تابند، نمی هراسد و ای بسا که همین بی پروایی، بیهقی و شهرزوری و دیگران را واداشته است تا بر وی بتازند و دخالت وی را در مسائل فلسفی ، چنانکه گفتیم ، ناروا بشمارند

ایرادات بیرونی به برخی از آراء و نظریات ارسطو ، در پرسشهای هیجده گانه یی که وی با فیلسوف بزرگ روزگار خویش ، ابن سینا در میان نهاده ، بیان شده است (۱)

ابن سینا پرسشهای مذکور را بشرح پاسخ گفته و از نظریات ارسطو دفاع کرده است (۲) اما این پاسخ ها ، بجای آنکه بیرونی را قانع سازد، وی را بر آن داشته است تا بی پروا بر سخنان بوعلی خرده بگیرد و از نو بر پاسخهای او اعتراضاتی بنویسد. (۳)

فیلسوف دنیای اسلام است وی در قازاب ، در کنار رود سیحون متولد شده ، و برای آموختن دانش بیغداد رفته و سپس بمصر و شام سفر کرده و در دمشق بخدمت سیف الدوله همدانی درآمد است . فارابی بیشتر زبانهای شرقی مشهور آن روزگار را بخوبی تکلم نمیکرده و نزدیک به صد کتاب تالیف کرده است که از آن جمله است : «الفصوص» و «احصاء العلوم والتعریف باغراضها» و «مبادی آراء أهل المدينة الفاضلة» و «المدخل فی الموسيقى» و «الاداب الملوكية» و «السیاسة المدنیة» و «جوامع السیاسة» و «النوامیس» و «الخطابة» و «دیوان الادب» و «ماینبغی أن یقدم الفلسفة» ... مشهور است که فارابی « قانون » آلت معروف موسیقی را ساخته است . رك . الاعلام ، زرکلی ص ۹۶۸

۱- رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح اله صفا ، ج ۱ ص ۳۴۰-۳۴۳

۲- رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح اله صفا ، ج ۱ ص ۲۳۱ و ۲۸۵

۳- شادروان ، علامه دهخدا ترجمه فارسی پرسشهای هیجده گانه بیرونی و پاسخهای ابن سینا و اعتراضات ابوریحان بر پاسخهای مذکور را از نامه دانشوران نقل کرده است . رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، ص ۲۹-۶۴

اگر ابوریحان در درستی برخی از نظریات ارسطو تردید میکرده است نباید پنداشت که وی منزلت بیمانند معلم اول را نمی‌شناخته و یا او را چنانکه باید، گرامی نمی‌داشته است؛ حقیقت اینست که بیرونی برای ارسطو احترامی درخور مقام والایش قائل بوده است اما این معنی را هرگز مانع از آن نمی‌دانسته است که اگر برخی از نظریات وی را درست نپندارد؛ عقیده خویش را در آن باره بی‌پروایان دارد. وی درباره کسانی که ارسطو را مصون از هرگونه لغزشی می‌پنداشته‌اند چنین گفته است:

« عیب این اشخاص اغراق در احترام به آراء ارسطو است و آنان فکر می‌کنند که امکان ندارد اشتباهی در نظریات او رخ داده باشد گرچه آنها می‌دانند که او فقط ناحدی که از استعداد و عهده او برمی‌آمده به تدوین نظریات خود پرداخت و هیچگاه ادعا نکرد که خداوند او را از خطا محفوظ داشته و از اشتباه مصون بوده است. » (۱)

باید دانست که اعتراض به آراء ارسطو و انتقاد از فلسفه مشائی تنها ویژه ابوریحان نبوده است چه، از سویی حکیمان و عارفان اشراقی، از آنروی که دامنه تنگ استدلال‌ها و قیاس‌های منطقی را برای ظهور و دریافت حقیقت کافی نمی‌دانسته‌اند (۲) بمخالفت با مشائیان برخاسته‌اند و از سوی دیگر متکلمانی چون ابوالحسن اشعری و بی‌ویژه امام فخر رازی و غزالی که یکی دو قرن پس از بیرونی میزیسته‌اند، از دو نظر کلام و تصوف، بسختی بر فلسفه استدلالی تاخته و بدینگونه زمینه را برای گسترش تصوف و حکمت

۱- استاد دکتر نصر این گفته ابوریحان را از -

S.H. Barani, « al- Biruni's Scientific Achievements, »
Lec. Cit , ص ۴۱

بفارسی ترجمه کرده‌اند . رك . نظر متفکران اسلامی .. ص ۲۱۴

۲- رك . همان کتاب ص ۲۱۳

اشراقی فراهم ساخته‌اند . (۱) گذشته از این دو دسته ، گروه اندکی از دانشمندان نیز ، فارغ از کلام و تصوف ، از راه برهان عقلی بر ارسطو خرده گرفته و برخی از آراء وی را نادرست شمرده‌اند (۲) . شاید تفاوت بیرونی با دیگر مخالفان فلسفه مشائی در این باشد که وی ، همانگونه که آقای دکتر نصر نوشته‌اند ، همه این راه‌ها را برای انتقاد از ارسطو پیموده و « از کتب آسمانی و براهین عقلی و مشاهده طبیعت مدد گرفته است . » (۳)

ابوریحان با تصوف اسلامی و افکار و معتقدات صوفیان نیز بخوبی آشنا بوده ، هرچند که اصل کلمه «صوفی» را بخلط یونانی پنداشته است (۴) بهترین نشانه آشنایی ابوریحان با افکار و عقاید صوفیه اقدام وی به ترجمه کتاب «پاتنجل» است چه ، این کتاب ، که موضوع آن «رها ساختن جان از بند تن» (۵) است ، همانگونه که «ریتر» (۶) خاورشناس مشهور آلمانی میگوید عقاید و افکاری را دربر دارد که غالباً با اندیشه‌ها و معتقدات صوفیه

۱- ر.ک . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکتر نصر ص ۲۱۴

۲- ر.ک . همان کتاب

۳- ر.ک . همان کتاب

۴- در «تحقیق ماللهند...» ص ۲۴-۲۵ درباره اصل کلمه صوفی چنین آمده است :

«... و هذا رأى السوفية وهم الحكماء فان « سوف » باليونانية الحكمة و بها سمى الفيلسوف «پلاسوپا» أى محب الحكمة ولما ذهب فى الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل الى « الصفة » و أنهم أصحابها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ثم صحف بعد ذلك فصار من صوف التيوس ، و عدل ابو الفتح البستى عن ذلك أحسن عدول فى قوله :

قدما و ظنوه مشتقاً من الصوف
صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

تفازع الناس فى الصوفى واختلفوا
و لست أنحل هذا الاسم غيرفتى
۵- تخلص النفس من رباط البدن

۶- Prof . Helmüt Ritter

شبهات بسیار دارد (۱). ریتز می‌افزاید که ابوریحان در ترجمه این کتاب مصطلحات صوفیه مسلمان را برای بیان مفاهیم تصوف هندی بکار گرفته و همین امر خطاهایی چند را در ترجمه سبب شده است. (۲)

پیداست که پرداختن به ترجمه کتابی در تصوف هندی و بکار گرفتن مصطلحات صوفیه برای بیان مفاهیم آن جز بر توجه و علاقه ابوریحان به تصوف و آگاهی وی از اندیشه‌ها و معتقدات عارفان دلالت نمی‌تواند داشت. گذشته از این، از لابلاي صفحات کتاب «تحقیق ماللهند...» نیز آشنائی ابوریحان را با افکار و معتقدات صوفیان آشکارا می‌توان دید چه، وی در این کتاب بارها عقاید صوفیه مسلمان را با معتقدات هندوان مقایسه میکند (۳) و در این باره خود در مقدمه کتاب می‌گوید:

۱- رڪ . جشن نامه ابن سینا ، ج ۲ ص ۱۳۴-۱۴۸

۲- رڪ . همان مصدر

۳- مثلاً در صفحه ۲۴ عقیده صوفیه را درباره وجود حقیقی و در صفحه ۴۴ رأی آنان را درباره تناسخ و حلول و ظهور کلی بیان میکند و در صفحه ۵۲-۵۳ همچنانکه در صفحه ۵۷، معتقدات آنان را با عقائد هندوان درباره کیفیت رهایی از دنیا و راه وصول بحق مقایسه میکند و نیز در صفحات ۶۲ و ۶۶ و ۶۷ میان آنچه که در کتاب پاتنجل آمده و معتقدات صوفیه مقایسه می‌کند و قول ابوبکر شبلی و بایزید بسطامی را بدینگونه نقل میکند: «صوفیه در اشتغال بحق بر طریق پاتنجل گام برداشته و گفته‌اند: مادمت تشیر فلست بموحد حتی یستولی الحق علی اشارتك بافتنائها عنك فلا یبقی مشیر ولا اشاره؛ و می‌افزاید که در کلام آنان سخنانی هست که براءعتقاد به اتحاد دلالت دارد همچون پاسخ یکی از آنان که درباره حق از وی پرسش شده بود: و کیف لا یتحقق من هو «أنا» بالانیة و «لا أنا» بالانیة، ان عدت فیالعودة فرقت وان أهملت فیالاهمال خفت و بالاتحاد ألفت؛ و چون سخن ابوبکر شبلی: اخلع الكل تصل الینا بالکلیة فتکون ولا تكون اخبارك عنا وفعلك فعلنا؛ و همچون پاسخ بایزید بسطامی هنگامیکه از وی پرسیدند که چگونه بمرتبتی که رسیدی دست یافتی؟: انی انسلخت من نفسی کما تنسلخ الحیة من جلدها ثم نظرت الی ذاتی فاذا انا هو... و کتاب تحقیق ماللهند سرشار از اینگونه اشارات و مقایسه‌ها است.

« با سخن آنان سخن دیگران را نمی‌آورم مگر آنکه از آن صوفیه و یا یکی از فرقه‌های مسیحی باشد چه ، اینان همه در امر حلول و اتحاد بیکدیگر نزدیک اند » (۱)

با اینهمه شك نیست که ابوریحان خود صوفی نبوده است هر چند که همانند بسیاری از مسلمانان ، برای آنان احترام و فضیلت بسیار قائل بوده است (۲) و شاید بتوان گفت که آشنایی با شیوه تفکر انسانی آنان که سختگیری و تعصب را خامی می‌شمارند و راه‌های رسیدن پیروردگار را بشماره نفوس بندگان خدای میدانند (۳) بوی، آن آزاداندیشی و سعه صدری را ارزانی داشته است که می‌تواند از دولت آن ، فارغ از هرگونه تعصب ، با پیروان ادیان گونه‌گون و حکیمان ملل مختلف آمیزش کند و از دانش‌ها و معتقدات آنان بهره‌ها برگیرد .

۵- ابوریحان انسان :

از داستان زندگی و دانش‌ها و آثار بیشمار ابوریحان کم و بیش سخن گفته آمد . اینک جا دارد که بکوشیم تا از خلال آگاهی‌هایی که از زندگانی و آثار وی داریم ، تا آنجا که ممکن است ، چهره معنوی ابوریحان را نیز ببینیم . ببینیم انسانی که در پس اینهمه دانش و این انبوه مؤلفات و آثار نهفته است کیست ؟ چگونه می‌اندیشد ؟ بر کدام آیین و مذهب است ؟ با دیگران چگونه رفتار میکند ؟ به چه چیز عشق می‌ورزد و راز پیرویش در چیست ؟ آیا با ما ، با جوانان ایران ، بادانشجویان و استادان ایران و دیگر سرزمین‌های اسلامی

۱- «... ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم الا أن يكون للمصوفية أو لأحد أصناف

النصاري لتقارب الامر بين جميعهم في الحلول والاتحاد...» رك تحقيق ماللهند ص ۵ و ۶

۲- رك . نظر متفكران اسلامي درباره طبيعت ، دكتر نصر ، ص ۱۵۴-۱۵۵

۳- الطرق الى الله بعدد انفس الخلائق

سخنی برای گفتن ندارد؟

- مسلمانان ابوریحان :

ابوریحان بیگمان بوجود پروردگار یگانه و رسالت پیامبر اسلام ایمان راسخ داشته است و این اعتقاد استوار وی را در همه مؤلفاتش بروشنی می‌توان دید. اما دانستن اینکه وی بر مذهب تشیع بوده است یا بر طریق اهل تسنن، نیازمند اندکی تأمل است چه، وی از سویی، در خطبه‌یی که در آغاز کتاب الآثار الباقية آورده است، آل پیامبر را، همانند شیعیان، امامان و راهنمایان بر حق خوانده و وجود امام عادل را لازم شمرده است (۱) و یا مثلاً از روز عاشورا و شهادت حضرت سیدالشهداء (ع) همچون راویان شیعی سخن گفته است (۲)؛ و از سوی دیگر، لحن سخنش در بسیاری از موارد به شیوه گفتار اهل سنت و جماعت میماند. شاید همین امر «آلدومیلی» خاورشناس مشهور را معتقد ساخته است که وی در جوانی بر مذهب تشیع بوده و سپس بمذهب اهل سنت و جماعت گرویده است (۳)

۱- در خطبه الآثار الباقیه میگوید :

« الحمد لله المتعالی عن الاضداد و الاشياء والصلوة علی محمد المصطفی خیر الخلق و علی آله أئمة الهدی و الحق و من لطائف تدبیر الله تعالی فی مصالح بریته و جلال نعمه علی كافة خلایقه تقدیره النافذ أن لا یخلى فی عالمه زماناً عن امام عادل یجعله لخلقه أماناً لیفرغوا الیه فی النوائب و الحوادث من السوعات و الكوارث... » . رك . الآثار الباقیه ، چاپ زاخاؤ ، ص ۳

۲- «... و كانوا یعظمون هذا الیوم (یوم عاشوراء) الی أن اتفق فیہ قتل الحسین بن علی ! بی طالب رضی الله عنهم و فعل به و بهم مالم یفعل فی جمیع الامم باشرار الخلق من القتل بالعطش و السیف و الاحراق و صلب الرؤوس و اجراء الخیول علی الاجساد فتشاء موا به ... و أما الشیعة فانهم ینوحون و یتأسفون لقتل سید الشهداء فیہ و یتظاهرون ذلك بمدينة السلام و أمثالها من المدن و البلاد و یزورون فیہ التربة المسعودة بکربلاء... » . رك . الآثار الباقیه ، ص ۳۲۹
La Science Arabe, Leiden, P. 98
۳- رك .

آنچه که در این باره درست‌تر بنظر میرسد اینست که ابوریحان ، بلند اندیشه‌تر و برتر از آن بوده است که نسبت به فرقه‌ی مذهبی در برابر مذهبی دیگر ؛ چه تسنن باشد و چه تشیع ، تعصب بورزد . وی دانشمند مسلمان آزاد اندیشی بوده است که پیروان هر دو مذهب را بیک چشم می‌نگریسته و همه مسلمانان را ، بی‌آنکه تفاوتی میانشان قائل باشد ، دوست میداشته است . با این ترتیب اگر آل‌رسول (ص) را گرامی داشته و آنان را ، همانند شیعیان ، به «أئمة الهدی والحق» وصف کرده است جای شگفتی نیست همانگونه که احترام وی نسبت به علماء سنی نیز نمیتواند مایه شگفتی گردد .

شاید بهترین نشانه بی‌تعصبی ابوریحان در امر مذهب نکته‌ی باشد که وی در کتاب «الجماهر فی معرفة الجواهر» ، هنگام سخن گفتن از دو سنک «خماهن» و «کرك» ، ذکر کرده است :

بیرونی می‌نویسد که شیعیان نگین انگشتی‌های خود را از كرك (سنک سپید) اختیار میکردند و سنیان ، برخلاف آنان ، از خماهن (سنک سیاه) ! آنگاه بالحنی که هر دو فرقه را یکسان بباد طنز می‌گیرد می‌افزاید که وی این هر دو نگین را در دو انگشتی بدست می‌کرده است تا هر دو گروه را فریب دهد ! (۱)

نباید فراموش کرد که دین‌داری و ایمان بیرونی دیگر است و دین‌داری خامان و قشریان متعصب دیگر ؛ اگر متعصبان بنام دین ، باعلوم عقلی دشمنی

۱- نص سخن ابوریحان در کتاب الجماهر فی معرفة الجواهر ، چاپ حیدر آباد ص ۲۱۵ ، در «ذكر الخماهن والكرك» چنین است :

«هذان حجران لا يكاد يكون لهما اقيمة الا كقيمة الخرز لولا مناكدة الشيعة نواصبهم في التختم بأبيضها و نواصبهم بأسودها للتمايز كتمايز الجيل عن جنبتی اسبندر و بذکر العلم الاسود والعلم الابيض مكان العقيدة والمذهب - وقد كنت أجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كباداً للفريقين ...»

ورزیده‌اند ، ابوریحان فراگرفتن دانش و پژوهش در همه زمینه‌های مختلف علمی را وظیفه هر مسلمانی میدانسته است (۱) وی با استناد به آیه شریفه «...ویتفکرون فی خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه» (۲) معتقد بوده است که خدای در قرآن به بندگان خویش فرمان داده است که در آفرینش آسمانها و زمین بیندیشند تا دریابند که پروردگار آنان گیتی را بیهوده نیافریده است (۳) و پیدا است که اندیشیدن در آنچه که خدای آفریده است را جز بفراگرفتن دانش و جستجوی حقیقت تعبیر نمیتوان کرد.

از همینجاست که بیرونی با کسانی که ، با توسل بتعالیم دینی ، دانایی را ویژه پروردگار می‌دانند و آن را عذری موجه برای نادانی خود می‌پندارند و در پی فراگرفتن دانش نمی‌روند بمبارزه برخاسته است. وی در الآثار الباقیه از ستیزه جویی‌هایی که اینگونه دین‌داران باوی داشته‌اند اینگونه یاد کرده است: «... و بسیاری از کسان که نادانی خود را در طبیعیات بدانند خداوند حواله می‌کنند با من به ستیزه برخاستند.» (۴)

در حقیقت برای ابوریحان ، میان علوم دینی و غیر دینی تفاوتی موجود نیست زیرا همه دانشها پدیده‌های گوناگون طبیعت را بررسی می‌کنند و ناچار بشناخت نیرویی منتهی می‌گردند که خداوند آن را برای اداره جهان هستی

۱- رك . نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت ، دكتر نصر ، ص ۲۲۳

۲- آیه ۱۹۱ از سوره آل عمران و صورت کامل آن چنین است :

الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار .

۳- رك . نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت ، دكتر نصر ، حاشیه ص ۱۵۴

۴- «...و كثير من الناس ممن يعبر علم الله ما جهلوه من علم الطبيعيات نازعونى ...»

رك . الآثار الباقية ص ۲۶۲

قرار داده است . (۱) و از اینرو است که بنظر وی آموختن دانش وظیفه هر فرد مسلمان است .

ابوریحان با بررسی عمیق دیگر ادیان باین نتیجه میرسد که حقیقتی واحد در همه دین ها وجود دارد و این حقیقت در هر دینی بگونه‌یی متجلی شده است وی این اعتقاد را نیز بر پایه تعلیمات اسلام و اصل عمومیت وحی میان همه افراد بشر می‌شمارد (۲) . با این ترتیب مسلمانی ابوریحان هرگز او را بدشمنی با پیروان دیگر آئین ها بر نمی‌انگیزد و از اینرو است که وی بقول پروفیسور زاخائو با آنکه مسلمان است با فلاسفه هندوی کافر بعطوفت رفتار می‌کند و با آنان بامهربانی به بحث و گفتگو می‌پردازد و آراء و عقایدشان را قبول یا رد می‌کند .

بیطرفی وی در نوشته‌هایش تا بدانجاست که خواننده ممکن است بسیاری از آثار او را بخواند و اثری از اینکه نویسنده مسلمان است نبیند (۳)

- میهن دوستی ابوریحان :

ابوریحان بمیهن خویش ، ایران عشق میورزیده و آداب و رسوم نیاکانش را سخت گرامی می‌داشته است .

یاقوت حموی در شرح احوال وی می‌نویسد که با همه بلندی مرتبت آنی از آموختن دانش و تألیف و تصنیف کتب باز نمی‌ایستاده و در همه سال تنها در دو روز نوروز و مهرگان ، بر پای داشتن این دو جشن را ، قلم از

۱- رك . نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت ، دكتور نصر ، ص ۲۲۳

۲- رك . همان كتاب ، ص ۱۵۳ ؛ آقای دکتر نصر در حاشیه همان صفحه عبارت زیر را نیز از « تحقیق ماللهند . » چاپ لایپزیک ص ۱۴۷ ، برای تأیید این نظر ذکر کرده اند : « ... ولزم من قوله أن أهل الأرض كلهم والهندي في لزوم التكليف شرع واحد »

۳- رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ؛ علامه دهخدا ، ص ۶۹-۷۰

کف فرو می نهاده است . (۱)

پیدا است که این رفتار - آنهم از دانشی مردی که پرداختن به دانش را بر همه کار مقدم میداشته - دل بستگی عمیق وی را به آداب و رسوم ملی ایران بروشنی نشان میدهد و بدین ترتیب جای شگفتی نیست اگر ابوریحان خود زادگاه خویش خوارزم را شاخه‌یی از باغ ایران بنامد (۲) .

دیگر از نشانه‌های انکار ناپذیر ایران دوستی ابوریحان دفاعی است که وی از ایرانیان در برابر اهانت‌های ابومحمد عبدالله بن مسلم بن قتیبة الجبلی کرده است :

این ابومحمد عبدالله بن مسلم که نواده قتیبة بن مسلم ، سردار خون آشام بنی امیه در خراسان است ، چنانکه میدانیم ، کتابی در تفصیل عرب بر عجم نوشته و در آن علاوه بر آنکه قوم عرب را داناترین مردمان در شناخت ستارگان و مطالع و مساقط آنها شمرده ، ایرانیان را بکفر و دشمنی با اسلام متهم ساخته و بدترین و پست‌ترین صفات را بآنان نسبت داده است .

ابوریحان که از خون آشامی‌ها و نامردی‌های قتیبة بن مسلم ، جد نویسنده در خراسان و بویژه خوارزم ، بخوبی آگاه بوده در رد مزاعم وی نوشته است که سخن ابومحمد عبدالله بن مسلم بردشمنی و کینه دیرینی که با ایرانیان داشته

۳- « . . و کان - رحمه الله - مع الفسحة فی التعمیر و جلالة الحال فی عامة الامور مکبا علی تحصیل العلوم منصباً علی تصنیف الکتب یفتح أبوابها و یحیط بشواکله‌ا و أقربها ولا یکاد یفارق یدیه القلم و عینه النظر و قلبه الفكر الا فی یومی النیروز و المهرجان من السنة لاعداد ماتمس الیه الحاجة من المعاش من بلغة الطعام و علقة الریاش... » رک . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۱ ؛ شهرزوری نیز قول یاقوت را عیناً ذکر کرده است . رک . مقدمه زاخائو بر الاثار الباقية ص ۱۱۱ L

۲- « . . و أما اهل خوارزم و ان کانوا غصناً من دوحة الفرس و نبعة من سرحتهم فقد کانوا مقتدین بأهل السند فی اول السنة... » رک . الاثار الباقية ص ۴۷

است دلالت دارد . چه ، وی به برتری نهادن تازیان بر آنان نیز بسنده نکرده است تا بدانجا که ایرانیان را فرومایه ترین مردمان خوانده و آنان را بیش از آنچه که خداوند در سوره التوبة درباره اعراب گفته است (۱) ، به کفر و دشمنی با اسلام متهم ساخته و زشتی هایی را بایشان نسبت داده است که اگر اندکی در آن می اندیشید ، و حقوقی را که بر تازیان دارند بیاد می آورد ، بیگمان خود سخنانی را که از روی گزافه گویی و تعصب درباره دو گروه گفته است تکذیب میکرد! (۲)

۱- اشاره است به آیه ۹۷ از سوره التوبة :

«الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسولہ والله عليم حكيم»

۲- نص دفاع ابوریحان چنین است :

«... و ان كان ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجبلي يهول و يطول في جميع كتبه وخاصة في كتابه في تفضيل العرب على العجم و زعم أن العرب أعلم الامم بالكواكب ومطالعها و مساقطها ولا أدري أجهل أم تجاهل ما عليه الزراعون و الاكرة في كل موضع و بقعة من علم ابتداء الاعمال و غيرها و معرفة الاوقات على مثل ذلك فان كان السماء سقفه ولم يكنه غيرها و دام عليه طلوع الكواكب و غروبها على نظام واحد علق مبادئ أسبابه و معرفة الاوقات بها بل كان للعرب ما لم يكن لغيرهم و هو تخليد ما عرفوه أو حدسوه ، حقاً كان أو باطلاً حمداً كان أو ذماً ، بالاشعار و الارحوزة و الاسجاع و كانوا يتوارثونها فتبقى عندهم أو بعدهم ولو تأملتها من كتب الانواء و خاصة كتابه الذي وسمه بعلم مناظر النجوم و مما أوردنا بعضه في آخر الكتاب لعلمت أنهم لم يختصوا من ذلك بأكثر مما اختص به فلاحو كل بقعة و لكن الرجل مفرط فيما يخوض فيه و غير خال عن الاخلاق الجبلية في الاستبداد بالرأى و كلامه في هذا الكتاب المذكور يدل على احن و ترات بينه و بين الفرس اذ لم يرض بتفضيل العرب عليهم حتى جعلهم أرذل الامم و أخسها و اندلها و وصفهم بالكفر و معاندة الاسلام بأكثر مما وصف الله به الاعراب في سورة التوبة و نسب اليهم من القبائح ما لو تفكر قليلاً و تذكر أوائل من فضل عليهم لكذب نفسه في أكثر ما قاله في الفريقين تفرطاً و تعدياً ..» رك . الانار الباقية ص ۲۳۸-۲۳۹

حقیقت دوستی ابوریحان :

ابوریحان عاشق راستین حقیقت است و برای رسیدن بآن هر دشواری و رنجی را با بردباری تحمل میکند و خود را از هر میل و رغبت یا خوی و خصالتی که مانع رسیدن وی بحقیقت باشد دور نگه میدارد .

ایمان پیروردگار و دیانت اسلام را ، چنانکه دیدیم از سختگیری و تعصب جدا میکند و پیروان همه آیین ها را درخور احترام می شمارد و بدینگونه فرصت آن را می یابد که از اندیشه ها و دانش های آنان آگاه و بهره مند گردد از منصب و جاه و مقام چشم می پوشد تا بدانجا که درخواست شمس المعالی قابوس را که میخواست است فرمانروایی قلمرو خویش را بوی واگذارد ، از سر و ارستگی و بی نیازی ، نمی پذیرد (۱)

به مال و ثروت دنیاوقعی نمی نهد و از تن پروری و راحت طلبی سخت بیزار است : اگر برای آموختن دانش و رسیدن بحقیقت لازم بداند که در بزرگی زبانی بیگانه را بیاموزد در آموختن آن تردید بخود راه نمیدهد و اگر آموختن علوم یونان به هندیان مستلزم تحمل دشواری ترجمه کتابهای اقلیدس و المجسطی باشد (۲) از بدوش کشیدن باری که در راه انتشار حقیقت و دانش بعهده گرفته است تن نمیزند و بالاخره هرگاه نوشتن کتابی ارزنده ایجاب کند ، همانگونه که یاقوت و دیگران نوشته اند ، در همه سال جز در دو روز نوروز و مهرگان قلم از کف فرو نمیگذارد (۳)

۱- رك . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۲

۲- ابوریحان خود در این باره میگوید :

«... و اکثر كتبهم «شلوکات» و أنا منها فی بلایا فیما أمثله للهند من ترجمة

كتاب اقلیدس و المجسطی و أمیله فی صنعة الاسطرلاب علیهم حرصاً منی علی

نشر العلم» . رك . تحقیق ماللهند . ص ۱۰۶

۳- رك . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۱

با این ترتیب آیا می توان پنداشت که هیچ انسانی باندازه ابوریحان که از جاه و مال و راحت طلبی و لذت جوئی ، چشم پوشیده و خود را از هر گونه تعصبی که دیدن حقیقت را بروی دشوار سازد دور نگاهداشته است - به «حقیقت» عشق ورزیده و در راه آن گذشت و ایثار کرده باشد ؟

آوای ابوریحان :

ابوریحان با ما ، با جوانان ایران ، با دانشجویان و با استادان ایرانی و دیگر سرزمین های اسلامی سخنانی برای گفتن دارد !
گوی اینك آوای او ، از پس قرون و اعصار ، بآرامی بگوش ما فرامیرسد !

از آهنگ سخنش پیداست که ابوریحان چندان از ما خوشنود نیست !
وی بالحنی سرزنش آمیز میگوید :

سرزمین بلند آوازه ایران جایگاه مردان با همتی بوده است که عاشقانه بآموختن دانش می پرداخته اند ؛ همه دانشهای روزگار خویش را فرامیگرفته اند و با نیروی همت و اندیشه به گسترش و پیشرفت دانشهای بشری خدمتها میکردند ! و اینك نوبت شما است !
شما نیز باید از پیشینیان خویش سرمشق بگیرید و بنوبه خود نام این سرزمین دانش پرور و کهنسال را زنده نگاهدارید !
ابوریحان سپس راز پیروزی خود را برای ما باز میگوید :

راز پیروزی من در آن بود که از همه کار روی بر تافتم و جز بآموختن دانش نپرداختم و در همه عمر آنی از مطالعه و تحقیق غفلت نکردم . شما نیز اگر براستی اهل دانش اید چنین کنید !
من همانگونه که یاقوت حموی برایتان نقل کرده است ، درخواست شمس المعالی قابوس بن وشمگیر را که میخواست فرمانروایی ملک خویش را بمن سپارد نپذیرفتم (۱) زیرا حکمرانی را با مطالعه و تحقیق سازگار

ندیدم !

من همانگونه که سیوطی و یاقوت و دیگران بگوشتان رسانده اند هنگامیکه مسعود غرنوی ، بعنوان جایزه کتاب قانون مسعودی ، یک بار فیل سکه نقره برایم فرستاد از پذیرفتن آن پوزش خواستم (۱) زیرا آنهمه ثروت را شایسته صرافان و سوداگران دیدم نه درخور اهل دانش ! من هرگز همچون کودکان، از ستایش این و آن شاد و از نکوهشان دلتنگ نگشتم و نیز بزرگی پدرانم را برای خود مایه مباهات ندانستم چه ، از این صفات هیچیک را در خور مرد دانش نیافتم ! مگر نشنیده اید بشاعری که مرا ستوده و از بزرگی اجدادم سخن گفته بود چه پاسخ گفتم ؟

بوی گفتم : ایکه در شერთ از نیاگان من نام برده یی خدای داناست که من خود اجدادم را چنانکه باید نمی شناسم ! چگونه جدم را بشناسم و حال آنکه پدرم را نیز بدرستی نمی شناسم ! ای شاعر ! بیهوده رنج مبر که ستایش و نکوهش در نظر من یکسان است ! (۲)

شما نیز اگر براستی دوستدار و جویای دانش اید ، و در پی آیند که در این راه پیروز و سربلند باشید ، عنوان های عاریتی را بر کار مقدس دانش بر تری منهدم و همچون صرافان و سوداگران در پی جمع مال مباشید !

و بهوش باشید تا فریب ستایشهای دروغین مردمان را نخورید و

۱- در بغیة الوعاة جلال الدین السیوطی ، چاپ قاهره ص ۲۰ چنین آمده است :
«... و لما صنف القانون المسعودی أجازہ السلطان بحمل فیل فضة فردہ بعد الاستغناء عنه...» و یاقوت این داستان را در معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۱ اینگونه نقل کرده است
«... وبلغنی أنه لما صنف القانون المسعودی أجازہ السلطان بحمل فیل من نقده الفضی فردہ الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه...»

۲- اشاره باین اثبات ابوریحان است :

ولست والله حقاً عارفاً نسبی	و ذا کراً فی قوافی شعره حسبی
وکیف أعرف جدی اذ جهلت أبی	اذ لست أعرف جدی حق معرفة
نعم و والدی حمالة الحطب	انی ابولهب شیخ بلا أدب
سیان مثل استواء الجدواللعب	والمدح و الذم عندی یا اباحسن

از نگوهِش‌های آنان نیز دلتنگ نگردید که این هر دو ، بیگمان ، آفت دانش‌اند !

زینهار ، زینهار تا دل به تن آسایی و راحت طلبی نسپارید که دانش را دشمنی آشتی ناپذیرتر از تن آسایی نیست :

مگر در معجم‌الادباء نخوانده‌اید که من آنی قلم از کف فرو نمی‌نهادم و جز در روزهای نوروز و مهرگان از مطالعه و تحقیق و تألیف باز نمی‌ایستادم ؟ (۱)

مگر نشنیده‌اید که من زبان و ادب سانسکریت را در بزرگی آموختم ؟ مگر در تحقیق‌ماللهند برایتان حکایت نکرده‌ام که چگونه دانشهای یونان و بویژه دو کتاب اقلیدس و مجسطی را بزبان سانسکریت بهندیان می‌آموختم ؟ (۲)

آیا با تن آسایی و راحت طلبی بر آنهمه پیروزی دست میتوانستیم یافت ؟!

وای بر شما که جامه اهل دانش در بردارید اما جز گهگاه بکار دانش نمی‌پردازید و آنگاه هم که کاری میکنید تنها بامید پاداش است ! گویی آنچه را که در کتاب « تحدید نهایات الاماکن ... » نوشته‌ام نخوانده‌اید ! من در آن کتاب نوشته‌ام :

« الفضيلة الذاتية للشيء غير المنفعة العارضة لاجله » (۳)
منظورم اینست که ارزش دانش را با میزان سود و زیان آن انسجید و دانش را تنها بخاطر دانش دوست بدارید .

نمیدانم فقیه ابوالحسن علی بن عیسی و لوائجی از دیداری که در آخرین لحظه‌های زندگیم با من داشت برایتان سخن گفته است یا نه ؟ در بستر بیماری مرگ بودم که و لوائجی به بیمار پرسیم آمد از او خواستم تا حساب جدات فاسده را بر ایمن شرح دهد تا پیاموزم در شگفت شد که اینک با این بیماری چه جای علم آموختن است ؟ گفتم ، بیگمان تو اگر این مسأله را بدانم و بمیرم بهتر از آن نیست که نادانسته و جاهل در گذرم ؟ پذیرفت و مسأله را شرح داد و آموختم و از در که بیرون رفت جان

۱- رك . معجم‌الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۱

۲- رك . تحقیق‌ماللهند . ص ۱۰۶

۳- رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکتر نصر ، حاشیه ص ۱۵۴

سپردم ! (۱)

این است راز پیروزی من ! من استاد ابوریحان از آن شدم که دانش را تنها برای دانش دوست داشتم و در راه آن از مقام و منصب و ثروت و آسایش گذشتم !

من نیک میدانم که آدمی بمقتضای طبیعت خویش مال و جاه و تن آسایی و لذت جویی را دوست میدارد اما این حقیقت را نیز میدانم که، مرد دانش و انسان متعالی ، و آنکه میخواهد بکوی حقیقت راه یابد باید پای از سرای طبیعت بیرون نهد . اگر سخن مرا قبول ندارید گفته خواجه شاعران گیتی حافظ را بپذیرید که برآستی بهتر از آن سخن نمی توان گفت :
تو کز سرای طبیعت نمیروی بیرون
کجا بکوی حقیقت گذر توانی کرد ؟

۱- یاقوت این حکایت را بدینگونه نقل میکند :

« حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في السطور عن الفقيه أبي الحسن علي ابن عيسى الولولاجي قال دخلت على أبي ریحان و هو يوجد بنفسه قد حشرج نفسه (تردد في ضيق) و ضاق به صدره فقال لي في تلك الحال : كيف قلت لي يوماً حساب الجندات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي يا هذا أودع الدنيا و أنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيراً من أن أخليها و أنا جاهل بها ؟ فأعدت ذلك عليه و حفظ و علمني ما وعد ، و خرجت من عنده و أنا في الطريق فسمعت الصراخ .. رك . معجم الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۲ و نیز رك . بنية الوعاة ، سيوطي ، چاپ قاهره ص ۲۰

المراجع

الف - المراجع العربية :

- ١- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة دار الفكر ، بيروت عام ١٩٥٧
- ٢- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة القاهرة ، عام ١٣٥٢ هـ .
- ٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان طبعة مصر عام ١٩٤٨
- ٤- ابن النديم : الفهرست تحقيق رضا تجدد طبعة طهران ١٩٧١
- ٥- احمد أمين : ظهر الاسلام ، طبعة القاهرة عام ١٣٧١ هـ .
- ٦- » » : ضحى الاسلام ، « « « ١٩٥٦ هـ .
- ٧- بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية الدكتور نبيه امين فارس و منير البعلبكي ، بيروت ١٩٥٣
- ٨- البيرونى ، ابوالريحان : الاثار الباقية ، طبعة لايزيغ ، ١٩٢٣
- ٩- البيرونى ، ابوالريحان : الجماهر فى معرفة الجواهر ، طبعة حيدرآباد عام ١٣٥٥ هـ .
- ١٠- البيرونى ، ابوالريحان : تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، طبعة حيدرآباد ، عام ١٩٥٨
- ١١- البيرونى ، ابوالريحان : رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازى

المراجع

- ١٢- البيرونى ، ابو الريحان : رسائل البيرونى ، طبعة حيدرآباد ،
عام ١٩٤٨
- ١٣- البيهقى ، ابو الحسن على بن زيد: تنمة صوان الحكمة ، طبعة لاهور
- ١٤- البيهقى ، ابو الفضل : تاريخ البيهقى ، ترجمه الى العربية يحىي
الخشاب وصادق نشأت ، القاهرة، عام ١٩٥٦
- ١٥- تاج الدين السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، طبعة مصر ،
١٣٢٤ هـ
- ١٦- الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى و الثقافى
والاجتماعى طبعة مصر ، ١٩٦٢ م
- ١٧- الزركلى ، خير الدين : الأعلام طبعة مصر
- ١٨- الزيات ، احمد حسن : تاريخ الأدب العربى ، الطبعة الخامسة
والعشرون ، القاهرة
- ١٩- السمعانى : الأنساب ، طبعة حيدرآباد عام ١٩٣٦ م
- ٢٠- السيوطى ، جلال الدين : بغية الوعاة ، طبعة القاهرة ، عام ١٤٢٦ هـ .
- ٢١- المسعودى : مروج الذهب ، طبعة مصر
- ٢٢- نالينو : علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون
الوسطى ، طبعة روما سنه ١٩١١
- ٢٣- ياقوت الحموى : معجم الادباء تحقيق الدكتور احمد رفاعى بك
طبعة مصر

المراجع

ب - المراجع الفارسية :

- ۱- بیرونی ابوریحان : التفهیم لاوائل صناعة التنجیم، مصصح استاد جلال الدین همائی ، تهران ۱۳۱۸
- ۲- بیهقی ، ابوالفضل : تاریخ بیهقی ، چاپ دانشکده ادبیات دانشگاه مشهد
- ۳- تقی زاده سیدحسن : مانى و دین او
- ۴- دهخدا ، علی اکبر : شرح حال نابغه شهیر ایران
- ۵- صفا ، دکتر ذبیح اله : تاریخ ادبیات در ایران، ج ۱ چاپ ششم، تهران ۱۳۴۷ ، ج ۲ چاپ اول تهران ۱۳۳۶
- ۶- « « « : تاریخ علوم عقلی در تمدن اسلامی ، ج ۱ چاپ دوم تهران ۱۳۳۶
- ۷- منتجب الدین منشی یزدی : درة الأخبار و لمعة الأنوار (ترجمه تئمة صوان الحکمة) ضمیمه سال پنجم مجله مهر تهران ۱۳۱۸
- ۸- جشن نامه ابن سینا ج ۲ ، تهران ۱۳۳۴
- ۹- معین ، دکتر محمد : فرهنگ فارسی معین
- ۱۰- نصر ، دکتر سیدحسین : نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت تهران ۱۳۴۲
- ۱۱- نظامی عروضی سمرقندی : چهار مقاله ، باهتمام دکتر محمد معین تهران ۱۳۴۱
- ۱۲- یوسفی ، دکتر غلامحسین : فرخی سیستانی ، چاپ مشهد ، ۱۳۴۱

ج - المراجع الاجنبيه

- 1- Histoire de la litterature arabe,
J . M . Abd - El - Jalil
Maisonneuve .Paris 1960
- 2- Encyclopédie de l'Islam
- 3- Histoire de la philosophie islamique
Henri Corbin,
Paris 1964
- 4- Introduction à la litterature arabe
Gaston Wiet
Paris 1966
- 5- Langue et littérature arabe
Charles Pellat,
Collection u., Arman Colin , paris 1970
- 6- La litterature arabe
André Miquel
Que sais-je? No 1355
- 7- La science arabe et son rôle dans
l'évobtion scientifique mondiale
Aldo Mieli
Leiden 1936

غلطنامه بخش فارسی

صفحه	سطر	نادرست	درست
۸۱	۲۲	نسخه بدلها	نسخه‌ها
۸۲	۶	بازیچه‌هایی نیستند	بازیچه‌هایی بیش نیستند
۸۳	۱۶	وی ی از سال	وی از سال
۸۵	۲۳	ص	ص ۴۲۲ بيمد
۸۸	۴	عهد است با روی ...	..عهد است که با روی...
۹۵	۱۶	کتاب	کتاب
۱۰۳	۳	فروافکند	فروافکنند
۱۰۷	۵	راست که ابوریحان	راست است که ابوریحان
۱۱۵	۱۴	ابوسعید سنجری	ابوسعید سنجری
۱۱۷	۱۶	اجرا يك سلسله	اجراء يك سلسله
۱۱۹	۹	طروف مرتبطه	ظروف مرتبطه
۱۲۴	۱۶	بتهدیب اتمام ..	بتهدیب و اتمام ..
۱۲۶	۶	ایوریحان	ابوریحان
۱۲۸	۲۳	Histoire	Histoire
۱۳۱	۲۱	Actrievements	Achievements
۱۳۹	۱۴	نامردی‌های قتیبة	نامردمی‌های ...

الفهرست

ص الف	مقدمة بقلم الدكتور قاسم معتمدی رئیس جامعة اصفهان
ص ۱	ابو الريحان البيروني ، مولده و نسبته
ص ۴	بيئة ابي الريحان
ص ۹	حياة ابي الريحان و آثاره
ص ۲۲	ابو الريحان السياسي
ص ۳۱	ابو الريحان الاديب
ص ۳۶	ابو الريحان العالم
ص ۴۷	ابو الريحان الفيلسوف
ص ۵۵	ابو الريحان الانسان
ص ۵۶	۱- ايمانه بدينه
ص ۵۸	۲- حبه لوطنه
ص ۶۰	۳- ايثاره للحقيقة
ص ۶۱	صوت ابي الريحان
ص ۶۶	استدراك
ص ۶۷	جدول الخطأ والصواب
ص ۷۳	پيشگفتار، بقلم دکتر قاسم معتمدی رئیس دانشگاه اصفهان
ص ۷۸	قطره‌ام من وصف دریا چون کنم ؟
ص ۷۹	ابو ريحان بيروني ، زادروز و زادگاه وی
ص ۸۱	محیط پرورش ابو ريحان
ص ۸۸	زندگی ابو ريحان و آثار وی
ص ۹۶	ابو ريحان سياستمدار

الفهرست

ص ۱۰۷	ابوریحان ادیب
ص ۱۱۳	ابوریحان عالم
ص ۱۲۵	ابوریحان فیلسوف
ص ۱۳۴	ابوریحان انسان
ص ۱۳۵	مسلمانی ابوریحان
ص ۱۳۸	میهن دوستی ابوریحان
ص ۱۴۱	حقیقت دوستی ابوریحان
ص ۱۴۲	آوای ابوریحان
ص ۱۴۶	المراجع
ص ۱۵۰	غلطنامه بخش فارسی
ص ۱۵۱	الفهرست



L. Université d, Ispahan.

Publication No 136

LA VOIX D' ABOU RAÏHĀN

Etude, en arabe et Persan, de Dr . Gh . A. KARIMI

Directeur de La Section d' Arabe

à L' Université d' Ispahan

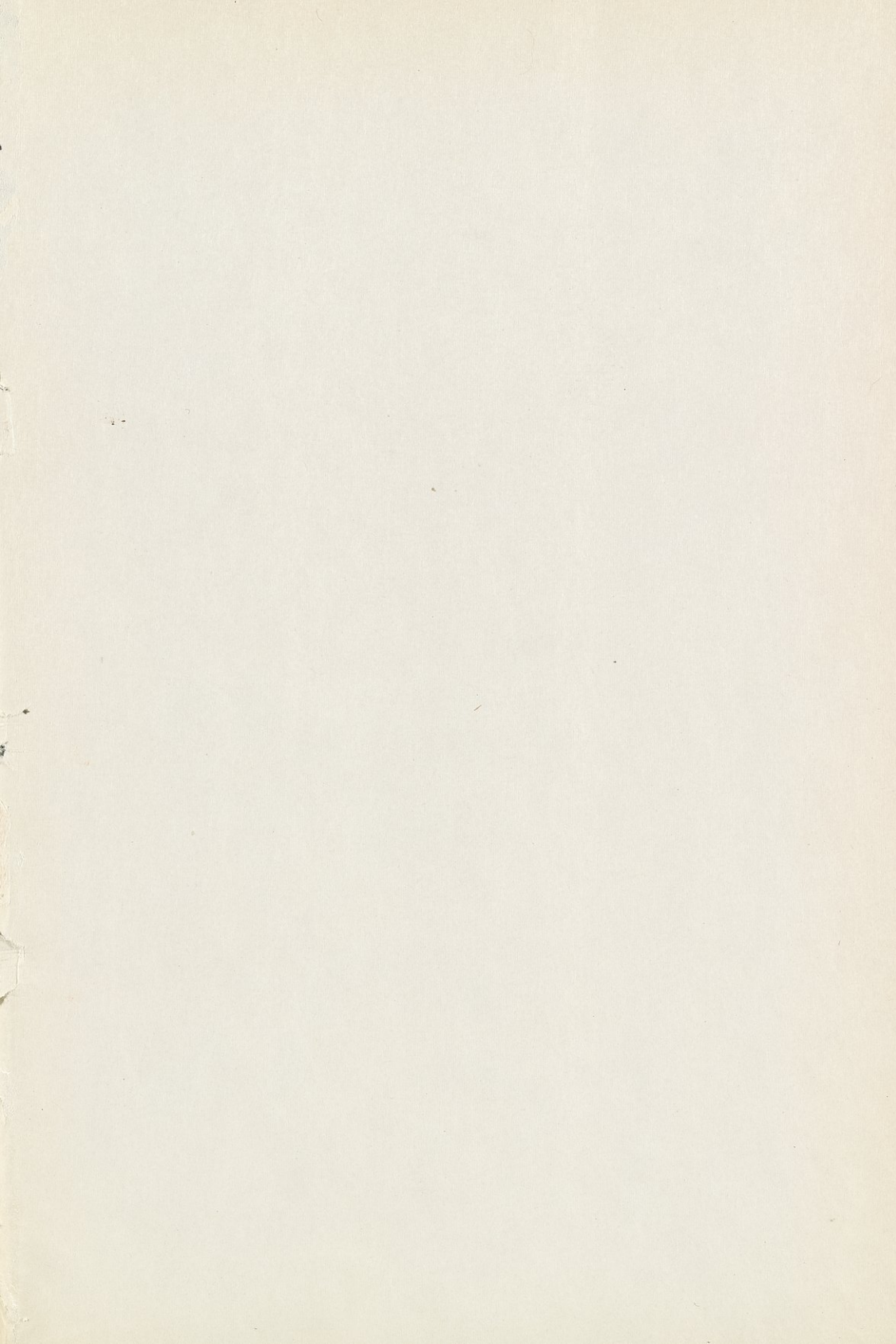
Publiée à L' occasion du Millénaire

d' Abou Raïhan Al – Birouni

Octobre 1973

بها ۱۰۰ ریال

چاپ دانشگاه اصفهان





PROPERTY OF
PRINCETON UNIVERSITY
LIBRARY

L. Université d, Ispahan.

Publication No 136

LA VOIX D' ABOU RAÏHĀN

Etude, en arabe et Persan, de Dr . Gh . A. KARIMI

Directeur de La Section d' Arabe

à L' Université d' Ispahan

Publiée à L' occasion du Millénaire

d' Abou Raïhan Al – Birouni

Octobre 1973

بها ۲۰۰ ریال

چاپ دانشگاه اصفهان

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073547190

**(NEC)
Q143
.B57
K375
1973**